# النزعة التأملية

## في شعر محمود عماد


دكتور

**محمد عبد العزيز عبد العزيز عبد الحميد**

مدرس الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بالمنصورة



١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

ض

ض

ض

# مقدمـــة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، نَحْمَدُهُ – سبحانه – حَمْدَا يَبْلُغُ رضاه، ونستعيذُ به، ونستغفره، ونستلهمه العفو والعون والعافية. والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– سيد الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله – تعالى– للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فظاهرة التأمل من الظواهر المهمة التي برزت في الشعر العربي الحديث، ولها أثرها الواضح وأهميتها البالغة، ذلك أنها تمنح الشاعر القدرة على التفكير بتأن وتؤدة، وتكشف عن النوازع الداخلية والأحاسيس والمشاعر التي تمور في نفسه تجاه شيء معين تأمله، أو تفكر فيه، وهي تقرب الشقة بين العقل والفن، وتفسح المجال لهما أن يلتقيا في إطار فني يتسم بالدقة والأناة والعمق، تغلفه العاطفة، وتصيغه تجربة الشاعر الذاتية.

والدارس لشعر محمود عماد يجد ظاهرة التأمل بادية واضحة، ومادة خصبة للدرس والبحث، وقد جاءت التجربة التأملية في شعره شاملة، فتأمل في الكون والوجود، والحياة والموت، ومشاهد الطبيعة ومظاهرها المختلفة، والمرأة والجمال، وغيرها، وقد عبر عن تأملاته في صورة واضحة صادقة، خالية من الزيف والمغالاة، وتتسم بالصفاء والشفافية.

وقد استطاع أن يوافق بين فكره وتأمله وبين تجربته الشعرية، فجاءت تأملاته متوائمة مع شعوره وأحاسيسه، معبرة عن خلجات نفسه، امتزجت فيها العاطفة مع الفكرة، والمشاعر والأحاسيس مع التأمل، في عاطفة قوية وأحاسيس فياضة، تنبئ عن انفعال حقيقي بالتجربة، وإحساس صادق بالموقف الذي يعالجه.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عوامل كثيرة، منها:

- بروز ظاهرة التأمل بروزا واضحا في شعر محمود عماد، بما يغري الدارس بالبحث عن البواعث والدوافع التي كانت سببا في بروز نزعة التأمل في شعره، والكشف عن مدى صدق الشاعر في تجربته التأملية، وعمق إحساسه بها.

- بكارة هذا الموضوع وجدته، إذ لم أجد – فيما وصل إليه علمي– من عني بدراسة ظاهرة التأمل في شعر محمود عماد على جودة شعره، وصدق عاطفته، وامتلاكه أدوات الفن الشعري.

- وجدت الشاعر يمتلك أدوات الشعر وآليّات الفن والإبداع، فجاءت هذه الدراسة محاولة للكشف عن القيم الجمالية والفنية التي ينطوي عليها شعره التأملي، واستجلائها، والتحاور مع أبعادها وموضوعاتها.

هذه الدوافع وغيرها كانت سببا في إغرائي بدراسة هذا الموضوع.

**وقد قسمت البحث بعد هذا التقديم إلى تمهيد وخمسة فصول، وخاتمة**. تناولت في التمهيد– بإيجاز– النزعة التأملية، وأهمية التأمل، وتطور النزعة التأملية، وعوامل تطورها وبروزها في الشعر الحديث، ثم أردفت ذلك بالحديث عن محمود عماد الإنسان والشاعر.

**وفي الفصل الأول**: (**بواعث التأمل**) عرضت للبواعث النفسية والفكرية التي دفعت بالشاعر إلى التأمل؛ فتحدثت عن أخلاقه وشخصيته، وثقافته، وعصره، والنزعة الإنسانية المسيطرة عليه، وحنينه إلى الريف والطبيعة، وكلها عوامل دفعت الشاعر إلى التأمل، وجعلته نزعة بادية في شعره.

**ثم كان الفصل الثاني**؛ (**مظاهر التأمل**) وفيه وقفت مع تأملات الشاعر في الكون والوجود، والحياة والموت، ومشاهد الطبيعة، والمرأة، وقد جاءت التجربة التأملية في شعره متوائمة مع شعوره وأحاسيسه،

يمتزج فيها التأمل مع الفن، والفكرة مع العاطفة، وقد كشفت عن براعته الأدبية، وامتلاكه أدوات الفن.

**وجاء الفصل الثالث (الصياغة الفنية)**: وفيه تناولت معجم الشاعر التأملي ولغته، أردفت ذلك بدراسة أساليب التعبير التي توسل بها للتعبير عن التجربة التأملية، فتحدثت عن الاستفهام، والتكرار، والنداء، والتناص الشعري، والحس القصصي، والتضاد.

**أما الفصل الرابع (الصورة الفنية)** فعرضت فيه للصورة وأهميتها، والوسائل التي اعتمد عليها الشاعر في تشكيل صوره، فذكرت التصوير البياني الذي تحدثت فيه عن التشبيه، والاستعارة، والكناية، أردفته بالتصوير التقريري، وختمت هذا الفصل بالصورة الكلية.

**أما الفصل الخامس**:(**الموسيقى الشعرية**) رصدت فيه ما يتصل بالموسيقي الخارجية التي تمثلت في الوزن والقافية والتصريع، والموسيقى الداخلية التي شملت موسيقى الحرف، وموسيقى الكلمة، وموسيقى العبارة.

ثم كانت **الخاتمة**؛ وفيها أشرت إلى ما تضمنته فصول هذا البحث من حقائق، وانتهت إليه من نتائج. ثم ختمت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

دكتور/ محمد عبد العزيز عبد العزيز

# تمهيـــــد

## أولا- النزعة التأملية

جاء في لسان العرب: والتَّأَمُّلُ: التَّثَبُّت، وتأَمَّلت الشيءَ أَي نظرت إليه مُستثْبِتاً له. وتَأَمّل الرجلُ: تَثَبَّت في الأَمر والنظر(١)، فالكلمة تدور حول التثبت وإمعان النظر، والتدقيق في الشيء، وترديد النظر إليه لمعرفة الحقيقة أو الاهتداء إلى الصواب.

وقد دعا القرآن الكريم إلى التأمل والتدبر، واشتملت آياته البينات على ألفاظ تدعو إلى التأمل في الكون ومخلوقات الله- تعالى- مثل النظر، والتدبر، والتفكير، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُون﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾(٣). وقال جل شأنه: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَت، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَت، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَت﴾(٤). وغيرها من الآيات التي تحث على النظر وتدعو إلى التأمل في خلق الله تعالى، وفي مظاهر الكون التي أبدعها الخالق سبحانه، والمراد بالنظر هنا التأمل، والتدبر، وإطالة النظر للعظة والعبرة.

---

(١) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، مادة (أمل)، دار المعارف، القاهرة، بدون.

(٢) سورة الأعراف: الآية(١٨٥) .

(٣) سورة الروم: الآية(٥٠) .

(٤) سورة الغاشية: الآيات: (١٧-٢٠).

فدعوة الإسلام والقرآن إلى التأمل للوصول إلى الحقيقة والصواب، لذا كرم الله الإنسان بالعقل وميزه به عن سائر المخلوقات ليتأمل ويتدبر، وليتمكن من الاستدلال على وجود الخالق سبحانه، والوقوف على قدرته، والتعرف على الكون من حوله، "وإذا كان لدى الإنسان نزعة تأملية فطرية فإنها تستطيع أن تخلق دافع الإبداع عند الشخص الذي يتمتع بهذه العادة الذهنية، ودافع الإبداع هو الذي يخلق موضوعات التأمل، وكلما كان الموقف التأملي قويا كانت الطاقة الإبداعية حيوية ومثمرة"(١).

وفي دراستنا هذه لا نعني بالشعر التأملي ذلك الشعر الذي يقوم على نظريات فلسفية أو يتبع منهجا فلسفيا معينا، إنما نعني به ذلك الشعر الذي ينبع من تجربة الشاعر الذاتية، وتأملاته في الكون والحياة، تلك التأملات التي أثرت فيه، وسار فيها خلف موقف معين تأمله وأثر في نفسه، وهز مشاعره فترجمه شعرا، ومزجه بأحاسيسه ومشاعره،أما أن يتحول الشعر إلى نظريات فلسفية عقيمة تكد الذهن، وتبتعد به عن وظيفته الأساسية، وهي إثارة العواطف والتأثير في النفوس، فهذا ما لا نقبله ولا نرضى به.

إن تجربة التأمل تجربة وجدانية عقلية تعتمد الفكر والعاطفة معا، وتقوم على الحقيقة والخيال معا، وتتجلى فيها عبقرية الشاعر التي تمكنه من استخدام اللغة الشاعرة ذات الدلالة والظلال والإيحاءات، وكيفية تناوله للصورة الفنية الموحية التي تقرب البعيد، وتظهر المعنوي في صورة

(١) المنحى التأملي في الشعر المهجري (رسالة دكتوراه مخطوطة): د/إبراهيم أحمد إبراهيم ص٦، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

**المحسوس، وهي تجربة خصبة عميقة واسعة لا تبيح نفسها لأي شاعر، وإنما الشاعر العظيم هو الذي يلج تجربة التأمل، فلا يستحيل شعره إلى نظريات فلسفية ولا إلى مواعظ دينية، وإنما يتسم بالعمق والسعة، والصدق والجمال(١).**

**والتجربة التأملية تكشف لنا عن النوازع الداخلية والأحاسيس والمشاعر التي تمور بداخل الشاعر تجاه شيء معين تأمله، أو وقف أمامه، أو تفكر فيه ثم صاغ ما تأمله شعرا فأضفى عليه من شاعريته وفنه، وهي تقرب الشقة بين العقل والفن، وتفسح المجال لهما أن يلتقيا في إطار فني يتسم بالدقة والأناة والعمق، تغلفه العاطفة، وتصيغه تجربة الشاعر الذاتية.**

**والنزعة التأملية ليست وليدة العصر الحديث، فلا يكاد يخلو عصر أدبي من التأمل، والقارئ في ديوان الشعر العربي القديم يجده حافلا بالحكم والعظات والتأملات التي أوحت بها تجارب الحياة ومعاناتها، وقد ظهرت آثار هذه التجربة في التأمل في مظاهر الكون، ومظاهر الطبيعة، وشعر الحكمة(٢)، وغير ذلك.**

**إن بعض هذه النظرات التأملية تبدو في شعرهم على نحو ما نجد في شعر زهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وأمية بن أبي الصلت، والإمام**

---

(١) النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث (رسالة دكتوراه مخطوطة): د/ حسن عبد السلام ص ٤٧، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ١٩٨٦م.

(٢) انظر: الفكرة في الشعر العربي القديم دراسة نقدية وتطبيقية: د/ رفعت التهامي عبد البر، ص٨٩ وما بعدها، مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

**علي-كرم الله وجهه- وأبي تمام، والمتنبي، وأبي العلاء المعري، والشريف الرضي، وغيرهم.**

**من نماذج ذلك قول زهير:**

**رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمر فَيَهرَمِ**

**وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَهُ وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ**

**فالمنايا لا تبصر أمامها ولا تميز بين أمير أو صعلوك، والغد مجهول لا يعلمه إلا الله، وهي نظرات نابعة من تجربة الشاعر التأملية في الحياة .**

**ويقول لبيد:**

**أَلا كلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ وَكلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ(٢).**

**ومن نماذج شعر المتنبي قوله:**

**ذو العقل يشقى في النعيم وأخو الجهالة في الشقاوة**

**وقوله:**

**إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول(٤).**

**وكان أبو العلاء رائدا في هذا الاتجاه، وقد أفرغ تأملاته ونظراته في الحياة والناس في شعره، وكان ساخطا على الدنيا متبرما بها، ونظر إليها نظرة**

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمي: صنعة أبي العباس ثعلب، ص ٢٩، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٣ه- ١٩٤٤م. والأبيات من الطويل.

(٢) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق: د/إحسان عباس ص ٢٥٦، الكويت ١٩٦٢م.

(٣) شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي ٢٥١/٤ ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.(من الكامل)

(٤) السابق : ١٣٨/٣ .

ازدراء وسخرية، لذا غلب على شعره التشاؤم والسخط(١). ومن نماذج شعر أبي العلاء قوله:

والروح شيء لطيف ليس عقل ويسكن من جسم الفتى
سبحان ربك هل يبقى الرشاد وهل يحس بما يلقى إذا

وقوله:

وزهدني في الخلق معرفتي به وعلمي بأن العالمين هباء(٣).

والأمثلة كثيرة تؤكد أن التأمل وارد في الشعر العربي القديم.

وفي العصر الحديث اتسعت آفاق التأمل، وأخذ الشعر التأملي في التطور والتجديد من الفكر والفلسفة والحكمة إلى التأمل والاستبطان الذاتي، "فلم يعد الشعر الحديث يحفل بالفكرة في ذاتها، ولا بالحكمة في ذاتها، بل يحفل بتأمل الأفكار والحقائق تأملا وجدانيا، أي بالتعبير عن وقع هذه الحقائق والأفكار والحكم في النفس البشرية، وتأثيره فيها عن طريق التأمل، والنظر في تأثيرها في حياة الإنسان، ومصيره وسعادته أو شقائه بحيث يمكن القول: إن ما نسميه قديما بشعر الفكرة قد أصبح من الواجب أن يصبح اليوم شعر التأمل الفكري"(٤).

---

(١) انظر: الفكرة في الشعر العربي القديم: ص ١٨٣ وما بعدها.

(٢) شرح اللزوميات: نظم أبي العلاء المعري، تحقيق: سيدة حامد وآخرين ٣١٦/١، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.(من البسيط)

(٣) السابق: ٥٤/١ . (من الطويل)

(٤) انظر: فن الشعر: د/محمد مندور ص ١٠١، ١٠٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.

وقد ظهرت عوامل ساعدت على ظهور هذا الاتجاه وبروزه، وتغير نظرة الشعراء، منها: ازدهار الثقافة الأدبية، واتصال الآداب العربية بالآداب الغربية، واتساع حركة الترجمة، وظهور المدارس الحديثة، وكان لهذه العوامل أثر واضح على الناحية الأدبية، حيث مهدت الطريق لظهور حركات التجديد في شعرنا الحديث(١).

وقد حملت جماعة الديوان ومدرسة المهجر راية التجديد في الأدب العربي المعاصر، واتجه شعراؤهم إلى الثقافة الغربية ينهلون منها ويصقلونها بموهبتهم الفطرية التي دفعتهم إلى الابتكار مع تمسكهم بتراثهم العربي الأصيل.

وقد اتجهت دعوتهم إلى أن الشاعر يجب أن يتسلح بالفكر ويطيل التأمل في الحياة والكون والناس من حوله، فالشاعر العظيم تتجلى في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها، وجلالها، وعلانيتها، وأسرارها، أو أن يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة، ومذهبا في حقائقها وفروضها أيا كان هذا المذهب، وأيا كانت الغاية الملحوظة فيه(٢).

من هنا ساد الاتجاه التأملي في العصر الحديث، وراح يهتم بالإنسان ويعنى به ويعالج شؤونه، وقد برز هذا الاتجاه التأملي عند كثير من شعراء هذا العصر؛ أهمهم شعراء مدرسة الديوان: عبد الرحمن شكري، والعقاد، والمازني، وشعراء مدرسة المهجر، وغير هؤلاء وهؤلاء نجد الشعر التأملي في شعر إبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، ومطران،

(١) انظر: المنحى التأملي في الشعر المهجري ص ٦٩ .

(٢) انظر: مطالعات في الكتب والحياة: عباس محمود العقاد ص ١٤٧، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م.

وشاعرنا محمود عماد، إذ تشكل ظاهرة التأمل في شعره مساحة بارزة تدعو إلى دراسة هذا الجانب المهم في شعره وأسباب بروزه.

إن نزعة التأمل بادية في شعر محمود عماد؛ وهي عنده تجربة شعورية، وصورة حية، تمتزج فيها الفكرة مع الشعور والأحاسيس، فنجد الشاعر يخرج علينا من خلال تأملاته بحكم هي فيض انفعال وتأمل، وثمرة نظرات طويلة في الوجود والكون، والحياة والموت، والناس والمجتمع.

وقد برزت هذه النزعة التأملية في شعره بروزا جعل بعض الشعراء يلتفتون إليها ويشيدون بها، يقول علي أحمد باكثير مؤكدا بروز هذه النزعة التأملية في شعر محمود عماد: "يمتاز شعره بالعمق وصدق التجربة، ودقة الوصف في أسلوب سهل يتدفق في سلاسة ويسر، ويمتاز كذلك بالتوازن التام بين عناصر الفكر والشعر والخيال، ولعل قصيدة (الربيع السرمد) خير نموذج يحمل خصائص شعره القائمة على التأمل الفلسفي الهادئ، يفصح عنه شعور متقد في غير اضطراب، وخيال سابح في تؤدة ورفق"(١).

ويؤكد صلاح عبد الصبور ولع عماد بالتأمل فيقول: "والشاعر محمود عماد مولع بالفكر والتفلسف، يريد أن يستخرج من التأمل في وقائع الحياة وتجلياتها، ومن معطيات العلم وافتراضاته صورا شعرية، وهو في ذلك النهج يصدر عن مدرسة كان علمها ورائدها عباس محمود العقاد، ولعل هذا – فضلا عن الصداقة الطويلة بين الشاعرين– هو ما جعل كثيرا من الدارسين يذكرونه في ظل ذكر العقاد... كانت لمحمود عماد مقدرته

(١) مجلة المجلة: العدد ٧٤، فبراير ١٩٦٣م، جوائز الدولة التشجيعية تحقيق ثقافي، (الشاعر محمود عماد) ص ٧١ .

**الشعرية، وسبحات فكره المتعمق، وقد استطاع في كثير من الأحيان أن يخرج الفكر والشعر، وأن يوافق بين التأمل والغناء"(١).**

**بل إن عمادا نفسه قد أعلن رأيه في الشعر مؤكدا بروز هذه النزعة التأملية في شعره بقوله: "لا أحب من الشعر إلا ما كان ضاربا في العلم والفلسفة، بريئا من التقليد أو من التشيع للقديم"(٢).**

**لقد كان محمود عماد من الشعراء القلائل الذين تأملوا في حقائق الأشياء، وصوروها بدقة، ومزجوا بين تأملهم الدقيق، وما تكنه نفوسهم من أحاسيس ومشاعر، ووازنوا بينهما في تلاؤم وتواؤم، إنه دائم التأمل في مظاهر الكون والوجود، والحياة والموت، والطبيعة، والناس، وقد استطاع أن يوافق بين فكره وتأمله وبين تجربته الشعرية، وهو بهذا يؤكد على براعته الأدبية، ومقدرته الفنية.**

**وقد صدق عامر محمد بحيرى حين قال: "ما أبعد ما كانت نظرة عماد إلى الكون، إنه دائما ينظر إلى السماء، فإذا ما خفض بصره إلى الأرض فلكَيْ ينظر إلى زهرة البنفسج، أو عباد الشمس، أو غير ذلك من مظاهر الجمال الرقيق الذي يأخذ بلب الشاعر ويستحوذ على شعوره وإحساسه، وهذه ظاهرة واضحة في شعر محمود عماد، إنه الشاعر الذي لا يخطئ النظرة الفاحصة لدقائق الأشياء يستجلي غامضها، ويستكشف سرها، فإما أن**

---

(١) خمسة من شعراء الوطنية: عبد الرحمن الرافعي (المقدمة) ١٢/٢، ١٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م.

(٢) مشاهير شعراء العصر (القسم الأول): أحمد عبيد، ص ٣٠٧ ، مطبعة الترقي، دمشق، الأولى ١٩٢٢م.

**يخاطبها خطاب الصديق المتودد، وإما أن يستخلص منها العظة والعبرة بعد أن يسبر غورها، وينفذ إلى أعماقها"(١).**

**ثانيا- عماد الشاعر والإنسان**

**في أحضان الطبيعة الفاتنة في الريف ولد محمود عماد(٢)، وعاش أيام صباه الأولى وسط المزارع المخضرة، والمياه العذبة الصافية، حيث الهدوء والسكون، والمساحات الخضراء الواسعة التي تبعث على التأمل والهدوء والسكينة، وتملِّي الجمال، فأثر ذلك في تكوين شخصيته، فكان هادئ الطباع، لين الجانب، دمث الخلق، وادع النفس.**

---

(١) خمسة من شعراء الوطنية ٢/٢٥٩.

(٢) ولد محمود عماد في السابع من أغسطس١٨٩١م في قرية ميت الخولي، مركز فارسكور، وكانت تتبع محافظة الدقهلية في ذلك الوقت، انتقل بعد ذلك مع والده إلى القاهرة وعاش فيها في حي حدائق القبة.

حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٧م، ثم التحق بالدراسة الثانوية وبقي بها ثلاث سنوات، انقطع بعدها عن المدارس والتعليم، وخرج ليكسب عيشه، إذ اضطرته ظروف المعيشة إلى الانقطاع عنها والالتحاق بوظيفة كتابية في ديوان الأوقاف، وهناك تدرج في سلك الوظائف الحسابية طوال اثنين وأربعين عاما. انظر: مجلة الأديب(كانت تصدر في لبنان)، العدد الثاني، فبراير ١٩٧١م، (الشاعر الكاتب محمود عماد): بقلم: نقولا يوسف، ص٢-٤.

فاز بالجائزة الأولى من المجمع اللغوي في شعر المدرسة الحديثة الابتداعية عام ١٩٤٧م عن الجزء الأول من ديوانه، كما نال وسام العلوم والفنون، وميدالية عيد العلم الثامن في ديسمبر ١٩٦٢م، وكان وكيلا لجمعية الشعراء، كما كان عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

اضطرته ظروف المعيشة أن يلتحق بوظيفة كتابية في ديوان الأوقاف، وهناك تدرج في سلك الوظائف الحسابية طوال اثنين وأربعين عاما، قضى فيها الشاعر زهرة العمر، وعاش متبرما بها، حتى تقاعد عن العمل، خرج منها خاوي الوفاض، لكن نفسه عامرة بالتقوى والقناعة، فهما زاده الذي تزود به في رحلته الطويلة مع الوظيفة يقول في قصيدة العائد:

لكن بأي زاد قد عاد الظعين إلى البنين؟
نادى بخير الزاد بالتقوى بكنز القانعين(١).

زامل محمود عماد في وظيفته عددا من أدباء عصره وشعرائه كانوا موظفين معه في وزارة الأوقاف، جال معهم في ميادين الصحف والمجلات، وساجلهم الشعر، وبادلهم النقد، وجالسهم في ندواتهم، وتعرف إلى أصحابهم الأدباء، منهم: عباس محمود العقاد، ومحمد مصطفى الماحي، وأحمد الكاشف، ومحمد المويلحي، وعبد العزيز البشري، وكامل كيلاني، وغيرهم.

وكان العقاد أقربهم إلى قلب عماد، فقد دامت صلتهما الأدبية طوال حياتهما، وجمعت بينهما مشابهات عديدة، فهما متقاربان في السن، وفي الميول الأدبية، والمبادئ الإنسانية، وكلاهما يكتب الشعر العمودي التقليدي الرصين الداعي إلى الصدق والابتكار، وتقديم المعاني والأفكار الجديدة، كما كان كلاهما عصاميا في التثقيف الذاتي والعيش المادي(٢).

---

(١) ديوان عماد: محمود عماد ٨٥/٢، القاهرة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م. (من مجزوء الكامل)

(٢) انظر: مجلة الأديب، العدد الثاني، فبراير ١٩٧١م، (الشاعر الكاتب محمود عماد): بقلم: نقولا يوسف ص ٤.

**احتل محمود عماد مكانة عالية بين معاصريه من الشعراء والأدباء، في عصر كان يزخر بأعلام الأدباء والنقاد، وقد شهدوا له بدماثة الخلق، وعلو المنزلة الأدبية، والمكانة الرفيعة العالية في مجال الشعر.**

**يقول الأستاذ العقاد في تقديمه لديوان عماد: "ثم لا ينسى الزمن مع هذا فضل الشاعر الملهم، الذي راض للشعر هذه المطايا الصعاب، وفسح للنفوس والخواطر هذه الشعاب الرحاب، وجاء بالجديد الذي يصلح القديم، ولا يزال يصلح على التجديد"(١).**

**ويقول الأستاذ إبراهيم سعفان: "نبضات قلب، وخلجات نفس، وأحاسيس إنسان عرك الحياة وخبرها، وتجارب سنين عاشها فأخرجها للناس مثلا، ومبادئ صاغها في كلمات شعرية فجاءت صورة صادقة من نفسه، وومضة من روحه، تظل تشع في قلوبنا الحكمة والأمل، هذا ما يشعر به قارئ شعر الأستاذ محمود عماد رحمه الله"(٢).**

**وتقول جريدة الهلال (٣) في تقديمها لديوان محمود عماد: "هذا شاعر من شعراء التجديد بالمعنى الرصين للكلمة، لا بالمعنى الشائع هذه الأيام في الصحف والمجلات، فهو شعر متين وليس "سائبا"، ولكنه شعر جديد لأنه تعبير عن إحساس حي". وغير هؤلاء كثير ممن يشهدون لمحمود عماد بعلو المنزلة الشعرية، وارتفاع مكانته الأدبية(٤).**

---

(١) ديوان عماد: الشاعر محمود عماد (المقدمة) ١٠/١، مطبعة شبرا الفنية، القاهرة ١٩٤٩م.

(٢) مجلة الفكر المعاصر: العدد(١٣)، مارس ١٩٦٦م، مقال (محمود عماد عاش في صمت ومات في صمت) ص ١٠١ .

(٣) العدد الرابع، أبريل ١٩٦٢م ص ١٧١.

(٤) منهم: محمود جبر، العوضي الوكيل، أحمد عبد المعطي حجازي،

**ظل محمود عماد يكتب الشعر حتى قبيل وفاته(١)، وقد ترك عددا من الدواوين الشعرية التي تكشف عن امتلاكه أدوات الفن الشعري، وتشف عن شاعر خبر دروب الشعر(٢)، فجاء شعره يتفاعل مع جوانب الحياة، ويناقش قضايا الكون والوجود، والحياة والموت، ويعبر عن مجتمعة، ويصدر فيه عن نفسه وعاطفته، فكان بحق شاعرا جديرا بالدراسة والبحث.**

---

وعبد الفتاح الديدي، وغيرهم. انظر: ديوان عود على بدء لمحمود عماد ص ٥، ٢٠- ٢٤، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

(١) توفي محمود عماد في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٥م.

(٢) صدر له الجزء الأول من ديوانه بعنوان (ديوان عماد) سنة ١٩٤٩م، بعد أن فاز بالجائزة الأولى من المجمع اللغوي في شعر المدرسة الحديثة الابتداعية عام ١٩٤٧م. وصدر له الجزء الثاني من ديوان عماد ١٩٦١م. أما الجزء الثالث وهو: عود على بدء فنُشر بعد وفاته ١٩٦٧م ، مصدرا بمقدمة جامعة لنجله محمد محمود عماد.

كما نظم محمود عماد قصة شعرية بعنوان كليو باترا ومارك انطونيوس صدرت سنة ١٩١٧م، وأعيد نشرها ١٩٦٧م في ديوانه عود على بدء، من ص ١٥٧ إلى نهاية الديوان.

- كما نظم قصة شعرية أخرى بعنوان الشاعرة والمصور صدرت سنة ١٩١٧م، وأعاد نشرها في الجزء الأول من ديوانه ١٩٤٩م ص ١٧٢- ١٧٩.

# الفصل الأول:

# بواعث التأمل في شعر محمود عماد

في هذه الصفحات حاولت أن أقف على الأسباب والدواعي التي دعت محمود عماد إلى التأمل، وجعلت التأمل نزعة بادية في شعره، فالشاعر لم يرصد بواعث تأملاته ولم يسجلها قلمه، وإنما هي استنباطات استلهمتها من دراستي للشاعر وحياته وشعره.

## أولا- أخلاقه و شخصيته

كان محمود عماد شاعرا وقورا هادئا، فيه خلق كريم وصفات حسنة، يبدو عليه الحزن والأسى، متى ما رأيته تشعر أنه غريب ولو كان بين أهليه وذويه، إنسان يكره الزيف، والخداع، والغش، والكذب والنفاق، عاش معتزا بنفسه وشخصيته بعيدا عن معترك الحياة بما فيها من زيف ونفاق وخداع، عف اللسان، قانعا من الدنيا بوظيفته الكتابية المتواضعة، وقد آثر العزلة وقبع في زاويته يرصد ما تجري به الأيام في هدوء وصبر وتأمل.

يقول العوضي الوكيل: "وكان عماد أبي النفس عيوفا لا يقبل الهوان، ولا يرضى أن يكون بطانة لأحد، ويكره التزلف ولا ريب أن ذلك كان سببا من أسباب تخلفه في ميدان الوظائف في عهد لم ترج فيه أخلاق رجل كمحمود عماد، ولهذا عاش غبين الحظ في الدرجات، وفي الترقيات"(١).

---

(١) مجلة الفكر المعاصر(كانت تصدر في القاهرة): العدد (١٦)، يونيه ١٩٦٦م، لقاء كل شهر: مهرجان الشعر السابع في غزة (محمود عماد الشاعر) ص ٩٠ .

**ويقول عامر محمد بحيري: "إن شخصية عماد- وهذه حقيقة عرفتها عن صلتي به- كانت شخصية الرجل الجاد المترفع - الذي يحب الناس، ولكنه يحب من الناس في نفس الوقت أن يتركوه لعالمه الفكري الذي يعيش فيه، وربما قلت لعالمه المثالي الذي يتطلع إليه، ويخاطبه، ويصدر عنه في حديثه"(١).**

**وكتبت جريدة الاتحاد(٢) في وصف الشاعر محمود عماد: "فطرة هادئة الظاهر وفي باطنها انفعالات شديدة كالبحر يسجو سطحه ومن تحت السطح تيارات قوية... وحكاية تربيته من غريب الحكايات، كان أبوه من أهل الحفاظ الوعر به بعض الاضطراب في الأعصاب، فلم يدع للطفل شيئا من الحرية، فشب محمود على نظام كنظم العسكر دقة وصرامة وجدية فغلبت عليه السوداء، حدثنا فقال: "لم اعرف في طفولتي لذة اللهو كما عرفها الأطفال، فلما شببت واشتددت لم أدر ما الخمر وما اللذات".**

**وكان عماد يحب من ساعات النهار ساعة الشروق والغروب، وينفر نفورا تاما من المناظر الجامدة الميتة، ويفر إلى الرياضة حيث يكثر النبت والماء، وكان محبا للعزلة والانفراد جهد الطاقة، غير أن صاحبنا من الذكاء ودقة الحس والشعور ولطفاتهما على ما تشاء، يطيب للجالس حديثه، وتصدق ملحوظته، وتبدو بشاشته، فإذا ترك وشأنه وجم واكتأب، وأنت ترى في شخصيته التواضع والقناعة والعزلة والانكماش والإباء كلها**

---

(١) خمسة من شعراء الوطنية: (الشاعر محمود عماد: عامر محمد بحيري) ٢٥٩/٢.

(٢) بتاريخ الأربعاء ٣٠ سبتمبر ١٩٢٥م. نقلا من عود على بدء ص٢٧ ، ٢٨ .

مجسمة، وعماد من خيرة شبابنا الذين نأسف على سكوتهم وانزوائهم خصوصا بعد مقاربتهم سن النضج وارتوائهم بالتجارب(١) .

هذه الأخلاق الكريمة كانت تدفعه إلى اعتزال الناس في أكثر الأحيان، والانزواء في صومعته يتأملهم من بعيد، ويرقب الحياة، كما كانت باعثا من بواعث نزوعه إلى التأمل، والنظر إلى الأشياء نظرات طويلة يستبطن دواخلها، ويتأملها في هدوء وتؤدة.

كما أن تكوين شخصية عماد وطبيعته كانت باعثا له على العزلة وداعية إلى التأمل، وباعثا قويا من بواعث بروز الجانب التأملي في شعره، فالرجل كان يجلس طويلا مع نفسه يراقب حركة الكون من بعيد، ويتأمل في الطبيعة ومشاهدها، ويتدبر عظمة الخالق سبحانه الذي خلق هذا الكون البديع في هذا النظام البديع، وقد تأخذه تأملاته إلى بعيد فيتساءل عن الوجود، وعن حقيقة الحياة والموت، وطبيعة الحياة الأخرى كما تأمل في حياة الناس وأهوائهم.

يقول عبد الفتاح الديدي: "وإذا كانت ظاهرة العمق قد تمثلت في شعر الأستاذ عماد بوضوح فقد جاء هذا ملائما لما فيه من طبيعة النزوع إلى التأمل، ولما في عينيه من بريق التطلع والنظر، فليس أجمل من الشعر الذي يحاول الأستاذ عماد أن يجعل منه سبيلا إلى ملاحظة الحياة في مظاهرها وشياتها المختلفة، وهاهنا نجد المحور الأصيل للعمل الشعري لديه، فالأستاذ عماد وصاف من الدرجة الأولى، وقواه الفنية التي يلتقط بها شكول الحياة ومشاهد الطبيعة هي أبرز ما في شعره، والمقدرة الفائقة

(١) انظر : عود على بدء ص ٢٩.

التي استحوذ عليها في معرض الوصف إنما جاءت من باب العناية بالتأمل والنظر"(١).

**ثانيا- ثقافته**

عكف عماد على تثقيف نفسه ذاتيا بعد أن انقطع عن الدراسة في المدرسة الثانوية، فقرأ في التراث العربي القديم، وفي أشعار القدماء.

تقول جريدة الإتحاد(٢): "ويتعصب عماد للعصر والجديد من الأدب، ولا حرمة عنده لأحد من المتقدمين إلا إذا كان صاحب شخصية بارزة، كابن الرومي، والمتنبي، وأبي العلاء، وكان دائم النظر في كتب التراث العربي يتزود منها، فقد رغب في استكمال تعليمه وتثقيفه الذاتي، فكب على مطالعة الكتب الأدبية والفكرية في اللغة العربية والانجليزية التي كان ملما بها".

وقد ورد في شعره ما يكشف عن اطلاعه وقراءته لتراث هؤلاء الشعراء فهو يقول مخاطبا أبا العلاء المعري:

بثالث محبسيك أبا العلاء ثويتَ، وطال صبرك في الثواء
فيا ضيف المنية ألف عام أفيها قد عثرت على الرجاء؟
أمن بعد الفناء يقر عينا سخين العين من قبل الفناء؟
أهذه الضجعة العظمى أراحت -كما قدرتَ- جسمك من عناء؟
قضايا منطق لك أمس ماذا لديك اليوم فيها من قضاء؟

---

(١) عود على بدء: ص ٢٤ .

(٢) بتاريخ الأربعاء ٣٠ سبتمبر ١٩٢٥م ، نقلا عن عود على بدء: ص ٣٠ .

أرأيـــك بعـــد رأيـــك أم تصـــدى لـــه مـــا بـــالردى مـــن كيميـــاء؟(١).

هذا النص الشعري يشف عن تأثر الشاعر بأبي العلاء وقراءة شعره، وكانت له نظرات خاصة وتأملات في الموت، فيتساءل: هل عثر في قبره على ما كان يتمناه في حياته الدنيا؟، وهل قرّت عينه بعد الموت واستراح؟ وهل ما يزال مؤمنا بآرائه وفلسفته الخاصة في الموت، أم أن الموت أتي عليها فبليت كما بلي جسمه؟.

وأثر أبي العلاء واضح في شعر محمود عماد، وقد تأثر بفلسفته في بعض تأملاته في الحياة والموت، ويظهر ذلك في قصيدة تأملات في الكون، وقصيدة ولدي الأول(٢) والتي بدا فيها تأثر الشاعر بفلسفة أبي العلاء.

كما كانت الثقافات المختلفة التي مني بها العصر الذي عاش فيه الشاعر باعثا قويا للتأمل والنظر الدقيق في الكون والحياة والمجتمع.

يقول سعد الدين الجيزاوي: "تأثر شعراؤنا في معانيهم بما قرءوا من أشعار الغرب وبما درسوا من الشعر العربي القديم من مختلف صوره، وقد نزع كثير من هؤلاء إلى العمق في المعنى ولو أدى ذلك إلى التعقيد والخفاء، كذلك أثرت دراسة العقائد والفلسفات قديمها وحديثها، شرقيها وغربيها على كثير من شعرائنا، ونحن نعلم أن عقيدة الدين فطرية كامنة في النفوس، فلم يكن عجيبا أن نرى من شعراء الفترة التي ندرسها من يتجه بمعانيه وجهة صوفية تتحدث عن الفناء، وعما وراء الطبيعة، والإله، والقدر، أو فلسفية تتحدث عن الضمير، والنفس، ومعرفة الغيب، استجابة

(١) ديوان عماد: ٢٨٩/١.(من الوافر)

(٢) انظر: السابق ١/ ١٧ ، ٢٣٠.

لنداء الفطرة، متأثرين بثقافة العصر الذي يعيشون فيه، وبروح التفكير العام فيه"(١).

وتؤكد جريدة الاتحاد تأملات الشاعر في الكون والحياة فتقول: "ولا يزال يجيل النظر في الآداب العربية والانجليزية، وأحب المطالعات إليه ما تناول البحث في الكون والحياة من نواحيها إلا الناحية المالية"(٢).

ومحمود عماد كان يحيا في ذلك العصر التي تلاقحت فيه الآداب العربية بالآداب الغربية، وتلاقت فيه الثقافات المختلفة، وقد تأثر بها وعاش معها، وبدت آثار ذلك واضحة في شعره، فوجدت له قصائد كثيرة يتأمل فيها في الكون، والوجود، والضمير الإنساني، والحياة والفناء، والموت، والغيب، ومشاهد الطبيعة، ووجود الله سبحانه(٣)، بما يؤكد أن ثقافة عماد المختلفة والمتنوعة كانت باعثا قويا من بواعث التأمل في شعره.

**ثالثا- عصره**

عاش محمود عماد في عصر يموج بالاضطرابات والنزاعات، وكثرة الأحداث وتلاحقها، والقلق السياسي والفكري، مما كان سببا في تفتق الأقلام وتسجيلها هذا الواقع القلق المضطرب محاولين رصد أحداثه.

يقول المازني واصفا هذا العصر: "إننا نعيش في عصر تفكير عميق، وعهد قلق عظيم، واضطراب كبير، وشك مخيف، عصر تعتصر فيه

---

(١) العامل الديني في الشعر المصري الحديث: سعد الدين الجيزاوي، ص ٣٥٦، المجلس الأعلى للآداب، القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) عود على بدء: ص ٢٩ .

(٣) انظر- على سبيل المثال – ديوان عماد: ١٧/١، ٢٧،٥١ ، ٧٤، ١٠٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧، ٢٣٠، ٢٩٠، ٢٨٩، ٣٤٠ ، وغيرها.

**العقول، ويستنفد في حيرته مجهود القلوب، وقد استولت الظلمة على عوالمنا السياسية والخلقية والعقلية، وصارت حياتنا محيطا زاخر العباب، يضطرب بنا متنه في عشيّ ليالينا المتجاوبة بصيحات الشك والظمأ إلى المعرفة، والحنين إلى النور"(١).**

**وكان الناس آنئذ متبرمين متوجسين من هذا العصر ضائقين به، يقول العقاد معبرا عن ذلك: "إن كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس وفتح أغلاقها-كما قلنا- فلقد فتحها على ساحة من الألم، تلفح المطل عليها بشواظها، فلا يملك نفسه من التراجع حينا والتوجع أحيانا، وهذا العصر طبيعته القلق والتردد بين ماض عتيق، ومستقبل مريب، قد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون، وبين ما هو كائن، فغشيتهم الغاشية، ووجد كل ذي نظر فيما حوله عالما غير الذي صورته لنفسه حداثة العصر وتقدمه"(٢).**

**هذه الاضطرابات كانت تدعو الشاعر إلى التأمل في الحياة والمجتمع والناس، وتدعوه إلى العزلة، والانزواء في زاويته يرصد أحوال الناس، ويرقب الحياة من بعيد، ويتأمل في أحوال المجتمع.**

**وقد صور العقاد صورة المجتمع في شعره، بما فيها من جهالات منتشرة، وحق خافت الصوت لا تسمع له إلا همسا، وباطل تعلو صيحاته لا يجد من يرده، بل يتردد صداه في كل ناحية، يقول مؤكدا هذه الحقيقة:**

**فشت الجهالة، واستفاض المنكر فالحق يهمس، والضلالة تجهر**

---

(١) الديوان في الأدب والنقد: عباس العقاد، إبراهيم المازني، ص ١١٠، دار الشعب، القاهرة، الرابعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٢) مطالعات في الكتب والحياة: ص ٢٨٩، ٢٩٠.

والصدق يسري في الظلام ملثما ... ويسير في الصبح الرياء فيسفر
إنا لفي زمن كأن كباره ... بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذي وجه لو أن صفاته ... تندى، لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان! لقد حسبت هواءه ... دنسا، وأن بحاره لا تطهر
وكأن كل الطيبات يردها ... فيه إلى شر الأمور مدبر
وثب اللئام إلى ذراه فقهقهوا ... إن القرود لبالتسلق أخبر
ما نِيل فيه مطلب إلا له ... ثمن من العرض الوفير مقدر(١)

هذه هي صورة العصر الذي كان يحيا فيه الشاعر، وكان هذا العصر بما فيه من تناقضات باعثا قويا من بواعث التأمل عند شاعرنا، فقد تأمل فيه متعجبا حينا ومتبرما أحيانا، محاولا أن يضبط هذا العوار الذي أصاب المجتمع، وراح ينخر في جسده.

فها هو ذا يقرر أن أهل الباطل في هذا العصر في الصدارة والمقدمة، بينما أهل الفضل متأخرون، يتجرعون كئوس الذل والهوان، يقول:

كذبوا علينا يوم كا ... نوا يشرحون لنا الرذيلة
ويصورون لنا الفضيلة ... في عواقبها الجميلة
فإذا بنا من بعد نـ ... ـد رك أن ما ذكروه حيلة
وإذا الرذيلة في مرا ... قي العز والنعمى نزيلة
أما الفضيلة فهي عنـ ... ـد الباب واقفة ذليلة(٢)

(١) ديوان من دواوين: عباس محمود العقاد، ص ٢١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م.(من الكامل).
(٢) ديوان عماد: ٣٣/١ ، (من مجزوء الكامل).

لقد تقدم أهل الرذائل وأصحاب التفاهات، وتأخر أهل الفضيلة والمروءة وذوو الكفاءات، وسيطر النفاق والغش والخداع على المجتمع، وأصبح كل شيء لا ينال إلا بالتنازل عن الكرامة والعرض، وهذه أمور لا يرضى بها أهل الصدق، ويتبرم بها الأسوياء ، ويضيقون بها ذرعا.

إن هذه الصورة التي صورت لنا عصر الشاعر كانت سببا من الأسباب المهمة التي دفعت بعماد إلى العزلة وابتعدت به عن الناس، ودافعا قويا إلى بروز نزعة التأمل في شعره، مما دعاه أن يتأمل في المجتمع والناس من حوله، ينظر إليه نظرات طويلة متتابعة متعجبا حينا ومتبرما أحيانا، فعماد شاعر رقيق، هادئ النفس والطباع، شديد التأثر والحساسية، لذا فقد اعتزل هذا المجتمع وابتعد عن ضجيجه وراح ينظر إليه من بعيد نظرات طويلة متأملا في أحوال الناس، حتى كان الاهتمام بالإنسان باعثا من بواعث تأملاته.

**رابعا- النزعة الإنسانية**

إن شخصية الشاعر وأخلاقه الكريمة، وشخصيته الهادئة المتزنة، فرضت عليه العناية بالإنسان والارتقاء به، وجعلته يتأمل في الناس من حوله، ويتفاعل مع مجتمعه، فمال إلى التعاطف مع الإنسان، وتاقت نفسه إلى نشر الفضيلة، وتمنى أن يرى الأخلاق والمعاني الرفيعة تعم المجتمع، وقد انعكست هذه النزعة الأخلاقية في شخصيته على إبداعه الأدبي، وكانت باعثا قويا من بواعث تأملاته، فتطلع إلى الخلق القويم، والسلوك الأمثل، والقيم الرفيعة، ودعا إلى الفضيلة والعدل والمساواة والرحمة، وما من شأنه أن يرقى بالإنسان، وغيرها من الصفات الإنسانية التي ينبغي أن يتصف بها الإنسان السوي.

**إن عنايته بإنسانية الإنسان كانت من دواعي تأملاته في الحياة والناس؛ "ولقد كان يرى أن من واجبه كشاعر أن يكشف القناع عن الزيف والآفات التي تنخر في جسد المجتمع، يجب أن يكشف عن هؤلاء الذين يغيرون الحقائق ويلونونها لصالحهم، وسيدهم في ذلك الجشع، ودافعهم الطمع والرغبة في جمع المال، لقد أفسد هؤلاء الدنيا ودنسوا الجمال"(١).**

**من هنا رأيت أن محمود عماد شاعر إنساني، بكل ما تحمله الكلمة من معان، وأعني بكلمة إنساني: أنه يهتم في شعره بالإنسان، ويخاطب وجدانه، ويتجه إلى تقويمه، ويأخذ بيده إلى الطريق القويم، محاولا أن يرسم له الطريق الصحيحة التي ينبغي أن يسلكها، وهذا كله كان يدعوه إلى النظر طويلا والتأمل في حياة الناس والمجتمع من حوله يتأمل، ويدرس، ويحلل، وينقد، يظهر العيوب والآفات محاولا تقديم العلاج النافع لها.**

**هذه النزعة الإنسانية دفعته إلى التأمل وأن يتجه بشعره نحو المجتمع، فعلا صوته مناديا بإصلاح عيوبه، وتنقيته مما أصابه من أمراض وعلل، فعمل على تصوير هذه المفاسد في شعره تصويرا تنفر منها النفوس السوية، محاولا علاج هذه الأمراض والأوبئة الاجتماعية التي تنخر في جسد المجتمع والأمة.**

**وفي ديوان الشاعر كثير من القصائد التي تؤكد بروز الجانب الإنساني في شعره، واتجاهه نحو المجتمع، فقد دعا إلى الرحمة، والعدل،**

---

(١) مجلة الفكر المعاصر (كانت تصدر في القاهرة) العدد (١٣)، مارس ١٩٦٦م، لقاء كل شهر، مقال الأستاذ إبراهيم سعفان: (محمود عماد عاش في صمت ومات صمت) ص ١٠١ .

والمساواة، والعطف على اليتيم(١)، كما عالج قضية الفقر(٢)، ودعا إلى التخلص من الجهل والتخلف، ونبذ الجشع، والزيف، والنفاق، والخيانة(٣)، وكلها من الجوانب الإنسانية الداعية للتأمل، وتهتم بالإنسان وتعنى به، وتحافظ على إنسانيته.

كما عالج الاستهتار الخلقي في الشباب في قصيدة (فتيان العصر)(٤)، وعالج بعض المظاهر والسلوكيات التي وفدت علينا من الغرب ولهثت خلفها المرأة(٥)، وغيرها من الأمراض والأوبئة التي تنخر في جسد المجتمع ومن شأنها أن تهدد حصونه، وتلوث طهارته ونقاءه، وتقطع أواصره، وتجني على الشرفاء من أبنائه.

إن إنسانية الشاعر وعنايته بالإنسان في شعره كانت باعثا من بواعث تأملاته في الإنسان وفي الحياة، هذه الإنسانية تنبع من إحساسه الصادق والعميق بالإنسان، وانشغاله بقضاياه الفكرية والذاتية والاجتماعية، والشاعر بهذه النظرة الإنسانية يدعو إلى تأمل الإنسان والحفاظ على إنسانيته، ويتطلع إلى المثل العليا، والأخلاق الكريمة، ويتوافق مع الفطرة السليمة، ويتحد شعره مع التصور الصحيح للدين، فالدعوة إلى سمو الأخلاق وحب الإنسانية، والخير، والعدل، كلها صفات ترفع من الأديب، وتجعله مثاليا، "وليس الدين في لبابه إلا دعوة صريحة

---

(١) انظر: ديوان عماد ١/ ٢٣، ٤٢، ٧٩، ١٤٦ .

(٢) انظر: السابق ٣٣/١، ٥٥،٧٣، ٣٣٣ .

(٣) انظر: السابق ١/ ٢٧، ١٥١، ٣٥٦.

(٤) انظر: السابق ١/ ٣٧١ .

(٥) انظر: السابق ١٤٤/١، ١٩٥ ، ٢٠٩، ٢٥٧ ، ٧٠/٢.

**إلى الخلق العالي، والإنسانية الكاملة، والحق النزيه، والعدل المنصف، والجمال الصريح، فالدين والأدب يلتقيان لا محالة إذا طمح الأديب إلى أسمى الرسالات في الحياة"(١).**

## خامسا- اتجاهه الشعري

**جاء في جريدة الدستور تحت عنوان(شعراء مصر في حياتهم الخاصة) عدة إجابات للشاعر محمود عماد يقول في إحداها ردا على سؤال وجه إليه: "تسألني بعد ذلك كيف أنظم الشعر وأفرغ له، وجوابي أني لست أدري، فقد أجدني في أي لحظة سواء أكانت لحظة عمل، أم فراغ، أعالج نظم بعض الأبيات، ولكن على أثر حافز قوي أنسى فيه أني أعمل شيئا، وقد أقف النظم يوما أو يومين أو أكثر في الغرض الواحد، ثم أعود إليه عرضا بوازع خفي ما دام الغرض لم يزل مالكا شعوري، أما إذا فتر تأثري به فقد لا أعود إلى استكمال نظمي فيه وأهمل ما نظمته، أما الأغراض العادية الفاترة فقلما أقول فيها شعرا، ولذلك قل شعري وخلا من الكثير من أغراض الشعر المطروقة كالمدح، والتهنئة، والرثاء، والمجون، والمساجلات وما إليها، ولا أعرف لي قصيدة إلا عرفت باعثها القوي في نفسي، وتأثرت بهذا الباعث إذا عدت فقرأتها بعد عدة سنوات من نظمها"(٢).**

---

(١) البيان النبوي: د/ محمد رجب البيومي، ص ٢٦٣، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٧م.

(٢) جريدة الدستور، الأربعاء ٢١ ديسمبر ١٩٣٨م، (شعراء مصر في حياتهم الخاصة) ص٣، وما بعدها، نقلا من عود على بدء: ص ١١ ، ١٢ .

**ويقول ردا على سؤال آخر، وهو: "إلى أي حد راعيت في صناعة الشعر أذواق طلابه وقرائه؟ وهل كان للمجتمع أثر ما في أعمالك الأدبية؟ يجيب قائلا: "لا أراعي في نظمها- أي القصيدة- إلا التعبير الصادق عما يجيش بنفسي، سواء لدي أفازت بعد ذلك برضا القراء أم لم تفز، وليس هذا تعاليا على المجتمع أو استهانة بأذواق الناس، لأن الأصل في الشعر أن يكون تنفيسا لشعور صاحبه، فهو ملك الشاعر وليس ملكا لسواه، على أن هذا لا يمنع أن يأتي شعور الشاعر في بعض قصائده متفقا مع شعور المجتمع فتجيء معبرة عن رأيه أيضا ولكن بطريق غير مباشر، فقد نظمت في أغراض قومية كثيرة كنت فيها متفقا مع المجتمع، بينما تجنبت النظم في أغراض قومية أخرى لم تهزني كما هزت المجتمع، وشغلت بنظم قصيدة في وصف ساقية جافة مثلا، أو استقبال نجم جديد"(١).**

**ويقول في موضع ثالث معلنا عن مفهوم الشعر من وجهة نظره: "إن الشعر في رأيي لا يعدو أن يكون ترجمة للبسمة التي تطفو على شفتي الشاعر، أو الدمعة التي تترقرق في عينيه، أو العبسة التي تلوح بين حاجبيه، أو أية حالة أخرى من حالات نفسه التي لا يظهر أثرها أو لا يظهر على وجهه، وهذه الترجمة تعني الشاعر وحده، فهو يسجل بها خلجات نفسه كما يسجل قسمات وجهه بالتصوير الشمسي... ولا أعرف لي قصيدة في هذا الديوان لم تكن خلجة في نفسي قبل أن تكون كلاما على لساني"(٢). يقول عماد من قصيدة لي لا لهم:**

---

(١) الأسس المعنوية للأدب: د/ عبد الفتاح الديدي، ص ١٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الثانية ١٩٩٢م.

(٢) ديوان عماد: ١/ ١١ ، ١٢ .

لنفسي لا للناس أرتجل الشعرا فما أبتغي منهم جزاء ولا شكرا
فمن يرض عني بعد ذاك لقد صادفت نفسي لدى نفسه أمرا..
يريدون مني أن أقول فيطربوا ومن أين للورقاء أن تطرب الصخرا؟..
يريدون أن أبكي شجوني وإن أنا أضحك أقترض منهم الثغرا(١).

إن النصوص السابقة تكشف لنا عن اتجاه الشاعر، فهو يقترب في فهمه للشعر من مدرسة الديوان وفهمهم لوظيفة الشعر، فالشعر عندهم "تعبير عن النفس لا بمعناها الخاص ولكن بمعناها العام، وما تضطرب به من خير وشر وألم ولذة، وهو أيضا تعبير عن الطبيعة وحقائقها وأسرارها المبثوثة فيها، فليس الشعر أريحيات وطنية ولا قومية، ولا هو تسجيل لحوادث الأمة، وإنما هو قبل كل شيء تصوير لعواطف إنسانية تزدحم بها النفس الشاعرة، وتندفع على لسان الشاعر لحنا خالدا يصور صلته بالعالم والكون من حوله"(٢).

والقارئ لشعر محمود عماد على مهل، المتأمل فيه يجد الشعر عنده معبرا عن الوجدان تعبيرا يعكس إحساس النفس، ومرآة حية تصور الواقع والحياة تصويرا دقيقا حيا، وهو إحساس بما تخفق به القلوب وتشعر به النفوس. يقول مؤكدا ذلك: "ورأيي أن يكون الشعر صورة نفسية للشاعر كيف كان لونها وطابعها، سواء أعجبت الناس أو أغضبتهم، وإلا فهو متحذلق متكلف"(٣).

---

(١) السابق: ١/ ١٦٤، ١٦٥. (من الطويل).
(٢) الأدب العربي المعاصر في مصر: د/ شوقي ضيف ص ٨٥ ، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م.
(٣) مشاهير شعراء العصر(القسم الأول) ص٣٠٧.

وشاعرنا بنظرته هذه يتفق مع صديقه العقاد الذي يرى الشعر ترجمان النفس، يقول: "إنما الشعر حقيقة الحقائق، ولب اللباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين على لسانها، فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجي بينها وبين ضميرها فالشعر كاذب، وكل شيء في هذا الوجود كاذب والدنيا لها رياء ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء، وقد يخالف الشعر الحقيقة في صورته، ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ولا تخالف روحه روحها لأنه لا حقيقة للإنسان إلا بما ثبت للنفس واحتواه الحس، والشعر إذا عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى"(١).

وعماد يقرر أن وظيفة الشاعر وظيفة رفيعة ترتفع عن كل الوظائف؛ فهو رسول للبرايا، وهو روح شائع في شعاب الكون، وريح طيبة، ورحمة أرسل بها إلى الناس عامة ليريهم الدنيا، ويدلهم على مواطن الحسن والقبح فيها، هدفه النفع والهداية إلى السبيل القويم، يقول معبرا عن ذلك من قصيدة (قدوم شاعر):

إنما الشاعر روح شائع ... في شعاب الكون مأمون العثار
إنه الريح سرت طيبة ... ليس يثنيها بناء أو جدار
إنه الرحمة عمت واحتوت ... كل ما دب على الأرض وسار
هو في الأرض رسول من عل ... يتولى رعيها فوق المدار
من سواه نعت الدنيا إلى ... ساكنيها ونضا عنها الخمار؟

(١) مطالعات في الكتب والحياة: ص ٢٩٧ .

من سواه عرّف الحسن ومن عرف القبح فنحّى وأثار؟(١).

هذا هو مفهوم الشعر عند عماد، وهذه هي مهمة الشاعر في رأيه، وهذه النظرة الفنية تتفق مع مفهوم الشعر عند جماعة الديوان.

ومن أبرز ما يميز مدرسة الديوان قولهم بوحدة القصيدة، بحيث تكون وحدة عضوية متلاحمة كأنها جسد واحد. جاء في كتاب الديوان: "إن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصور بأجزائها... فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني عنه غيره في موضعه"(٢).

ومحمود عماد يتفق مع مدرسة الديوان في قولهم بوحدة القصيدة، فالقصيدة في شعره – كما يقول: "موضوع له مقدمات وعلل ونتائج، وكل بيت فيها يتمم معناها ويكمل مبناها، ولا تكاد تستغني عنه بحال"(٣). ويتفق معهم أيضا في سهولة أسلوبها ومتانته، يقول: "أما الأسلوب اللفظي فأراني آخذا برأي القائلين بالسهولة والبساطة ولكن في متانة واتساق"(٤).

كما نادى عماد بالثورة الفكرية، والتجديد والاستقلال في الفكر والرأي ولكن بما يوافق تراثنا العربي؛ يقول: "نادينا بالثورة الفكرية، وطالبنا بالاستقلال في الرأي، وليس ذلك بأن نهدم كل قديم ونقيم على أنقاضه جديدا، ولكن

---

(١) ديوان عماد: ١/ ٢٠٠ .(من الرمل)
(٢) الديوان في الأدب والنقد: ص ١٣٠.
(٣) الأسس المعنوية للأدب: ص ١٤٦ .
(٤) السابق: ص ١٤٧ .

بأن نقيس القديم إلى تطورات العصر، فإذا اتفق معها حَرَصْنا عليه، وإذا ندَّ عنها أهملناه واتخذنا منه بديلا"(١).

ولعل أهم ما يميز مدرسة الديوان أنها قد استوعبت التراث العربي القديم استيعابا شاملا، وفهمته فهما واعيا، كذلك قرأتْ الثقافات الغربية ولم تقف بمعزل عن تلك الثقافات، وأخذت منها ما يتفق مع رؤيتها واتجاهها محافظة على تراثها العربي، فأثمر هذا المزج وتفتحت وروده، وفاح أريجه، فاتجه شعراؤها نحو الإنسان، والتعبير عنه، وتأملوا في الطبيعة وأسرارها، وتكونت لديهم النظرة العميقة، والرؤية الشاملة المستوعبة، والبصيرة النافذة، وهذا واضح بيِّن لمن يقرأ نتاجهم الفني.

يقول د/عبد الله خليف: "في مطلع القرن العشرين ظهر جيل جديد من الشعراء يخالف جيل المحافظين في فهمه حقيقة الشعر ووظيفته فقد اتجهوا بالشعر إلى التعبير عن الطبيعة وأسرارها، وعن الإنسان ومشاعره، وعابوا على الشعراء المحافظين انصرافهم بالشعر إلى تسجيل الظواهر والمعالم الوطنية أو القومية بالأسماء والحوادث"(٢).

إن اتجاه محمود عماد الشعري كان عاملا مهما وباعثا قويا في اتجاهه إلى التأمل؛ التأمل في الكون والوجود، والموت الحياة، والاستغراق في تأمل الطبيعة، والتعبير عن القضايا التي يعاني منها مجتمعه، والترجمة عن مشاعره وأحاسيسه من خلال شعره، حتى وجدنا شعره يفيض بحكم

---

(١) عود على بدء ص ٨ .

(٢) التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر: د/عبد اللطيف خليف ص ١٧٤، القاهرة، ١٩٧٧م.

هي فيض انفعال وتأمل، وثمرة نظرات طويلة في الكون والحياة والموت، والناس والمجتمع.

ويؤكد الشاعر صلاح عبد الصبور أن النزعة التأملية البادية في شعر محمود عماد مصدرها اتجاهه الشعري وانتماؤه لمدرسة الديوان فيقول: "والشاعر محمود عماد مولع بالفكر والتفلسف، يريد أن يستخرج من التأمل في وقائع الحياة وتجلياتها ومن معطيات العلم وافتراضاته صورا شعرية، وهو في ذلك النهج يصدر عن مدرسة كان علمها ورائدها عباس محمود العقاد، ولعل هذا – فضلا عن الصداقة الطويلة بين الشاعرين– هو ما جعل كثيرا من الدارسين يذكرونه في ظل ذكر العقاد"(١).

## سادسا-حنينه إلى الريف والطبيعة

الطبيعة والريف مجال خصب للتأمل ودافع قوي إليه؛ ومصدر فياض من مصادر الإلهام، ذلك أن الطبيعة تبعث في النفوس النشوة والطرب والسرور، والهدوء والسكينة، فتجعل المرء يتأمل في هذه المشاهد التي أبدعها الخالق سبحانه، وبدت فيها قدرته وبديع صنعه.

ومحمود عماد ذو حس مرهف ومشاعر فياضة تقدر الجمال، لذا أحب الطبيعة وتمنى أن يحيا بين مشاهدها طيلة حياته، لقد هاله هذا الجمال، وتلك المشاهد الساحرة التي تأخذ بمجامع القلوب، فللطبيعة أثرها الملموس في شحذ الملكات، وتوليد الأفكار، وهي باعث قوي على التأمل في مخلوقات الله، وهذا الكون البديع .

يقول عن أثر الطبيعة في نفسه وكونها من بواعث التأمل المهمة في شعره: "ولا أعرف لي قصيدة إلا عرفت باعثها القوي في نفسي وتأثرت

(١) خمسة من شعراء الوطنية (المقدمة): ١٢/٢، ١٣ .

بهذا الباعث إذا عدت فقرأتها بعد سنوات من نظمها، ولكني أستطيع هنا أن أقرر أن شعري قد يكون أكثر سلامة وسهولة إذا توفر لي السكون، واتسعت أمامي الأرجاء، كأن أشرف على مرج أو بحر، فإن لهذا البحر فعلا سحريا في نفسي يحفزني إلى قول الشعر، لا في البحر وحده ولكن في أغراض الحياة المختلفة، وأحسب أني لو كنت أعيش في إحدى الموانى أو الجبال ولم أعش بين منازل القاهرة المتضاربة المزدحمة لكان محصولي من الشعر أكثر، وصداقة شاعرنا للبحر صداقة خالدة، ولو جمع شعره فيه وهو موزع على دواوينه لاكتمل لدينا ديوان قائم بذاته"(١).

ويقول في موضع آخر: "وليس كمنظر البحر ما يحفزني إلى قول الشعر، لا في البحر وحده ولكن في شتى مناحي الحياة"(٢). وعند البحر كان يحلو له أن يدوِّن ما عَرضَ له – أو يُعرض له– من الخواطر والسوانح الشعرية، وهي تدور– بطبيعة الحال– حول البحر ومناحيه(٣).

إن الشاعر يكشف لنا عن حبه للبحر وهيامه به، وأنه من المحفزات الرئيسة له في قرض الشعر، كما يكشف لنا عن كونه باعثا مهما من بواعث التأمل عنده حينما كان يخلو بنفسه عند البحر خاصة وقت غروب الشمس، إذ البحر صديق الشاعر الوفي الذي لا يستغني عنه، فهو يناجيه ويبثه همومه وآلامه، يقول:

---

(١) عود على بدء: ص ١٢، ١٣ .

(٢) ديوان عماد (المقدمة): ١/ ١٤ .

(٣) عن خطاب للأستاذ محمد محمود عماد (ابن الشاعر) بتاريخ ١٩٨٥/١/١٦م، نقلا من محمود عماد شاعرا (رسالة ماجستير مخطوطة) د/عبد الفتاح نور، ص ٢٨، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر ١٩٨٦م.

يا صديقي البحر يا خير صديق طالما فرّجَ من همي وضَيقي
أنا ماض عنك فاذكرني عسى تنفع الذكرى على بعد الطريق
ثم أوص البرَّ بي خيرا فقد عقني البرُّ وغالى في عقوقي(١)

ويقول مؤكدا أن البحر ملجأه وملاذه عند الهموم:

ألا أيها البحر أنت ملاذي إذا ما الهموم ألحّتْ عليّا
وقد عوَّق الدهر سعيي إليكَ فليْتك يا بحر تسعى إليَّا(٢)

وكان يهرب من ضجيج المدينة وزحمتها إلى هدوء الطبيعة، يتأمل فيها، ويناجيها، ويستجلي غوامضها، يقول مؤكدا ذلك: "لما كنت قد ولدت في الريف وأمضيت فيه طفولتي الباكرة، فإني أوثر السكنى في الأماكن الخلوية، حيث يتوفر لي السكون الذي ألفته، ومناظر السماء والأرض التي تفتحت عليها عيناي أول ما تفتحت، لذلك أسكن اليوم في منزل عال بحدائق القبة"(٣).

لقد كانت الطبيعة بمظاهرها المختلفة، ومشاهدها الفاتنة رافدا مهما من الروافد الرئيسة في تجربة عماد التأملية؛ وباعثا مهما من بواعث تأملاته، وسببا مباشرا في حقل التجربة الشعرية، حتى بدا تأمل الطبيعة والريف في شعر عماد "جلي الصورة، رائق المنظر، وإن كان هذا الرسم سوف يبدو لنا دائما بلون النفس الشاعرة التي أوحت به، وهو لون يميل بصاحبه إلى الفكر العميق، الحزين حينا، والمبتهج حينا آخر، وهو في كلتا الحالتين

(١) ديوان عماد: ٢٧٦/١. (من الرمل التام).
(٢) السابق: ٤٨/٢. (من المتقارب).
(٣) جريدة الدستور، ٢١ديسمبر ١٩٣٨م، مقال بعنوان:(شعراء مصر في حياتهم الخاصة)ص٣، نقلا عن محمود عماد شاعرا ص١٣ .

**بعيد الغور، يغوص وراء الحكمة، يستخرجها ويعرضها على الأنظار جميلة براقة تسر الناظرين"(١).**

**لقد حاولت في الصفحات السابقة أن أرصد بواعث التأمل عند محمود عماد، ولعلي قد وقفت على أهمها وأظهرها، وقد كانت شخصية الشاعر بطبيعتها تميل إلى التأمل وهذا اللون من الشعر، حتى بدت آثار النزعة التأملية واضحة جلية في شعره، تؤكد نزوعه إلى التأمل.**

(١) خمسة من شعراء الوطنية: ٢/ ٢٠٤ .

## الفصل الثاني: مظاهر التأمل

التأمل مصطلح رحب يتسع لشتى الموضوعات والمعاني؛ إذ كل معنى صالح لأن يكون مجالاً خصباً له، وتكمن قيمة التأمل في كونه النبع الذي تتدفق منه الحكمة، وما يصل إليه المتأمل من حقائق ومعارف لم يصل إليها إلا بعد تأمل وأناة، وإن للحكمة فعل السحر في خلود الشعر وبقائه والتغني بهذه الحكم، والأهم من هذا كله هو حسن توظيف الشاعر لما يستنبطه أو يستخلصه من تأملاته من حكم في شعره، فهي خلاصة تجاربه التأملية، وهى التي ينشدها المتلقي.

ومحمود عماد شاعر رقيق، هادئ النفس، يتسم برهافة الحس وروعة التصوير، وخصوبة الخيال، وقد قاده ذلك إلى التأمل في الوجود وأسرار الكون، والطبيعة، والتفكير في حقيقة الموت، والحياة بما فيها من تناقضات: الخير والشر، الجمال والقبح، الحياة والموت، بروح هادئة، تفكر، وتحلل، وتناقش، وتوجه، لذا هدته تأملاته إلى الحقيقة واليقين، ومعرفة الله عز وجل.

لقد نظرت في ديوان عمات نظرات طويلة، فوجدت التأمل ظاهرة بادية في شعره، يظهر ذلك في أول قصيدة في ديوانه(١)، وفي هذه الصفحات نحاول أن نطل على الموضوعات التي تدثَّرت برداء التأمل، وبرزت من خلاله هذه النزعة التأملية.

### أولا- التأمل في الكون والوجود

إن التأمل في الكون والوجود من العبادات والطاعات التي حث عليها الإسلام، ودعا إليها القرآن الكريم، فالله – تعالى– أمرنا بالتفكر في هذا

(١) انظر: ديوان عماد ١٧/١.

الكون، والتأمل فيه لنرى عظمته ودقة صنعه؛ فهو الذي نسّق وأبدع فأحسن، تبارك الله أحسن الخالقين. قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُون﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوج، وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيب﴾(٣). وغيرها من الآيات التي أمرنا الله فيها بالتدبر والتأمل في الكون.

إن المسلم إذا تدبّر وتفكّر في هذا الكون فإنه يستشعر عظمة الخالق- سبحانه وتعالى- ، والشاعر بتأملاته في الكون يوجه إلى التفكر فيه، واستكشاف خبايا الوجود وأسراره، ويدعو الإنسان أن يجيل فكره ويتأمل في صفحاته ليرى ما فيه من بدائع الصنعة الإلهية العظيمة، ويقف على قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

تقابلنا أول قصيدة في ديوان الشاعر متسائلا عن أصل وجود الإنسان، وكيف جاء إلى هذه الحياة، ومتى سيكون الرحيل، يقول من قصيدة (تأملات في الكون) أو ذكرى ميلادي(٤).

من أين يا ضيف الحيا ... ة أتيت ثم متى الرحيل؟

---

(١) سورة يونس: الآية (١٠١) .
(٢) سورة العنكبوت: الآية (٢٠) .
(٣) سورة ق: الآيات (٦-٨) .
(٤) انظر: ديوان عماد ١٧/١. (من مجزوء الكامل).

وبـــأي كـــون ســـوف تخـــ ـــــتم ذلـــك الســـفر الطويـــل؟
كـــل إلـــى غـــرض يجـــو ـــل، فهـــل إلـــى غـــرض تجـــول؟
أو أنـــت ســـهم طـــاش فاخـــ ـــترق الخفـــاء إلـــى الوجـــود؟

فها هو ذا يعلن جهله لمصدر وجود الإنسان، ومتى سينتهي هذا الوجود، وهو يصر على إثارة السؤال تلو السؤال، فيتساءل عن سر مجيئه، ومن أين جاء، وكيف يكون الرحيل، وهل هو مخير أم مسير، أم أنه سهم طائش اخترق فضاء هذا الكون إلى عالم الوجود، وعن طريق الحياة التي دفع إليها دفعا، وهل هي حياة طويلة أم قصيرة، وكيف تكون، ومتى تنتهي.

استفهامات كثيرة تؤكد حيرة الشاعر إزاء قضية من قضايا الوجود الإنساني التي تؤرق فكره وشعوره، وهى قضية تدور حول حقيقة الإنسان وحقيقة وجوده في هذه الحياة، وهي تمتد لتشمل النفس الإنسانية بعامة، والشاعر فرد من أفرادها، وهذا يكشف لنا عن تأملات الشاعر الطويلة في الوصول لحقيقة وجود الإنسان في هذا الكون.

والشاعر أمام هذه التساؤلات يقف متحيرا، لكن هذه الحيرة لا تلبث أن تزول بعد أن يقف على الحقيقة التي لا مناص منها، وهي أن للكون نهاية محتومة، وأن وجود الإنسان في هذه الحياة ينتهي بالموت والفناء:

هـــذي هـــي الـــدار التـــي فيهـــا أمرنـــا بالحيـــاة
وغـــدا ســـنؤمر مـــرة أخـــرى بـــأن نلقـــى الوفـــاة
أمـــران بينهمـــا يـــرى (محمـــود) فـــي هـــذي الفـــلاة
آنـــا، ولا (محمـــود) بعـــ ـــد يـــرى، فحيـــث أتـــي يعـــود

*****

أمـــران بينهمـــا حقيـــ ـــيقة ذلـك الشـيء الخطيـر
هـذا الـذي سـموه إنسـا نـا تكـوّن مـن أثيـر
تلـك الحقيقـة بعـد مـا هبطـت إلـى الـدنيا تطيـر
مـا إن تحـس هبوطهـا ومطارهـا أو تسـتعيد

نظرات تأملية للكون والوجود، وفلسفة ناتجة عن تأملات الشاعر لما وراء الحياة، ورغبة تلح على الشاعر بحثا عن الحقيقة التي تقول: إن كل موجود غير الله سبحانه محكوم عليه بالفناء.

ثم يخاطب الشاعر نفسه داعيا إياها إلى التأمل وإطالة النظر في هذا الكون الكبير، وهذا النظام البديع الذي خلقه الله سبحانه، فيقول:

هـذي هـي الـدنيا الكبيـ ـرة أيهـا الجـرم الصـغير
فـانظر إلـى آفاقهـا كـم كوكـب فيهـا يسـير
أتظـن هـذا الملـك مخـ ـلوقا إلـى العبـد الفقيـر؟
العفـو،-لا- لا فقـر- لـ كـن أنـت مـن أغنـى العبيـد!!

إن تأمله في الكون الفسيح جعله يستصغر شخصه بين المخلوقات، ويرى نفسه حقيرة بين مظاهر الكون: (الدنيا الكبيرة، الجرم الصغير، العبد الفقير)، وقد جاء التضاد بين (الكبيرة/ الصغير)، (الملك/ العبد الفقير)، (فقر/ أغنى العبيد) ليكشف رؤية الشاعر لنفسه في الوجود وبين مظاهر الكون، واستصغاره لشأنه وشأن الإنسان بعامة في الوجود، فالإنسان جزء ضئيل من هذا الكون الكبير، ذلك أن نهايته المحتومة الفناء والموت، وهو لا يستطيع الهروب من هذه النهاية، بينما الكون- في رؤية الشاعر- قد كتب له الخلود:

الأرض قـــد وســـعت منـــا ك فمـــا احتياجـــك للنجـــوم؟
للكـــون شـــأن أنـــت شـــط ـــر منـــه لا أنـــت العمـــوم
أفلســـت تفنـــى بينمـــا للكـــون قـــد كتـــب الخلـــود؟!

نظرات تأملية عميقة في حقيقة هذا الكون، وأصل الحياة وحقيقتها، وما ذا يكون بعد الميلاد، ورغبة ملحة من الشاعر في معرفة لغز الكون وأسراره، وأصل وجوده، ولما خلق في هذا الوجود ما دامت نهايته الفناء لا محالة.

إن المتأمل في حقيقة النفس البشرية ووجودها في هذا الكون يجد أنها "علة الوجود، وعلة الموت والحياة، لأنها في ذاتها تجسيد لكل ذات، وتجسيد للكون وأسراره، وبدونها لا كون ولا حياة، ولا موت ولا أسرار، وما دام أن النفس الإنسانية هي مركز الوجود وعلته فإن الشاعر المعاصر قد أكثر من التفكير فيها، محاولا وضعها أمام المنظار المكبر كي يسبر أغوارها، ويكشف أعماقها، ويصل إلى حل رموزها المستعصية"(١).

وفي قصيدة أخرى نرى الشاعر يتأمل في نفسه ووجوده تأملا طويلا، فرأى أن كل ما في الكون مسخر له، فقاده ذلك إلى الغرور، وظن أنه بما سخر الله له من قدرات تميز بها عن سائر المخلوقات قد فاق عظمة الوجود والكون، وسيطر على كل شيء في هذا الكون، يقول في قصيدة (غرور الإنسان)(٢):

جلست ليلا إلى نفسي أمجدها والغيم يسحب فوق النجم مئزره
فقلت: إني أنا الإنسان من خضعت له الدني وأباح الكون مضمره

(١) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: د/مفيد قميحة، ص٣٧٧ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون.
(٢) السابق: ١٩٧/١ . (من البسيط التام).

أنا الذي نفذت في الصخر فكرته والماءِ حتى اجتلى كلًّا وقدّره
وطار بالعلم فوق الريح مقتدرا في حين عنصرها لم يحكِ عنصره
أنا الذي استخدم الأحياءَ من قدم فالنبتَ والطيرَ حتى الوحشَ سخره
بالعقل ذللتُ ما أعيى القوى زمنا ولِنتُ للدهر فاستدررت أشطره
أنا الذي منح الأشياء بهجتها فأنشأ الحسن في الدنيا وسيره
أنا الوجود، أنا سر البقاء، أنا مهندس الكون نماه وعمره
وقمت أحسب شخصي من جلالته سد الفضاء وأن الجو أكبره

لقد سيطرت (الأنا) على الشاعر وتملكه الغرور فرأى نفسه في صورة عظيمة، حتى ضاق به الفضاء والجو، فظن أنه سيطر على مظاهر الكون من حوله بعقله وعلمه، وما اهتدى إليه من آفاق جديدة في مجالات العلم والمعرفة، بل إنه ملك الوجود بأسره، وهو الذي نماه وعمره بما هداه إليه عقله وفكره.

إن تكرار الضمير(أنا) يؤكد لنا مدى بروز نزعة الغرور المسيطرة على النفس البشرية في هذه الأبيات: (إني أنا الإنسان)، (أنا الذي نفذت في الصخر)، (أنا الذي استخدم الأحياء)، (أنا الذي منح الأشياء بهجتها)، (أنا الوجود)، (أنا سر البقاء)، (أنا مهندس الكون) كما تؤكد اعتزازه بنفسه، وتميزه عن باقي مظاهر الكون من حوله.

ثم تخف وطأة هذا الغرور الذي تمكن من الشاعر وبلغ به مبلغا، فراح يتأمل في رحاب الكون ومظاهره مرة أخرى تأملا هادئا، وقد خلع ثياب الغرور التي توشح بها، وجرد منها نفسه، فقاده هذا التأمل المتروِّي إلى أن يرى نفسه حقيرة وشخصه ضئيلا أمام مظاهر الكون من حوله، يقول:

ودرتُ في موضعي أرنو مخالسةً إلى العلاءِ وهمي أن أحقره
فلاح لي المشترى يقظان مختلجا من جانب الغيم حلو الضوء أزهره
كأنه عين روح الكون قد سهرت ليلا عليه لترعاه وتخفره
فشاع بي من سناه ما استضاء به رَوْعي فأثبتَ ما قد كان أنكره
وقلت: ماذا وراء الضوء من ظلم، ومن دحا النجم في الدنيا وكوره؟
وكان ميلاده في أي آونة وكيف، أو أين يلقى النجم
وذلك الجو من أحصى مساحته ومن ألم بما فيه وفسره؟
هنا فطنتُ لما في الكون من عظم وعدت أبحث عن شخصي فلم أره

لقد فطن الشاعر بعد تأملات طويلة هادئة في مظاهر الكون من حوله أنه خلْق من بين المخلوقات التي خلقها الله تعالى، قد ميزه الله بالعقل والتفكير، وسخر له الكون بما فيه من نبات وحيوان وطير وجماد لا ليغتر بنفسه، ويتعالى بشخصه، ولكن ليتدبر عظمة خالقه -سبحانه- ويعلم حجمه في هذا الكون العظيم.

إن الأفعال: (درت، لاح لي، فشاع بي، وقلت، فطنت، وعدت) تدل على تأملات الشاعر ونظراته المتتابعة في مظاهر الكون من حوله، وهي تؤكد أنه لم يصل إلى هذه الحقيقة ويعرف قدره في الوجود إلا بعد تروٍّ وتأمل طويل هداه إلى هذه الحقيقة التي لم يكد يراها إلا بعد تأملات طويلة، وبعد أن خلع عنه ثياب الغرور، وعباءة (الأنا) ليرى شخصه ضئيلا حقيرا أمام عظمة هذا الكون الفسيح.

والاستفهام: (وقلت: ماذا وراء الضوء؟)، (ومن دحا النجم في الدنيا وكوره؟)، (ميلاده في أي آونة؟)، (أين يلقى النجم محشره؟)، (وذلك الجو من أحصى مساحته؟)، (ومن ألم بما فيه وفسره؟) يكشف عن نظرات

متتابعة، وتأملات طويلة من الشاعر فيما حوله من مظاهر الكون الفسيح ليدرك مكانه في هذا الوجود، وهو نابع من تأملات الشاعر في مظاهر الكون من حوله، وله دوره المهم في وصوله إلى الحقيقة، ووقوفه على مكانته وقدره بين مظاهر الكون، لذا أردف هذه التساؤلات بالإجابة الشافية التي ضمنها هذا البيت:

هنا فطنت لما في الكون من عظم  وعدت أبحث عن شخصي فلم أره

لقد هدته تأملاته إلى الحقيقة التي ما كان يصل إليها إلا بعد نظر طويل، وتفكير عميق، وتأمل دقيق فيما وراء الأشياء ليرى ما خفي عنه، والشاعر في هذه القصيدة يرسم صورة للنفس البشرية في أعتى حالاتها التي قد تظن أنها أكبر من كل شيء، مع أنها شيء من أشياء كثيرة مخلوقة في هذا الكون، وهو في الوقت نفسه يدعو الإنسان إلى التواضع لله ولنفسه، ويعالج الغرور المسيطر على البشر، ويؤكد أن وجود الإنسان لا شيء أمام عظمة الكون وجلاله، وعظمة رب الكون سبحانه.

ومن نماذج القصائد التي يتأمل فيها الشاعر قضية الوجود محاولا الوصول إلى سره وغايته قصيدة (الغد)(١)، فهو في هذه القصيدة يفكر طويلا ويستغرقه التأمل ويتمنى أن يطَّلع الغيب ليرى ما تكنّه له الأيام في حياته الباقية، يقول مستهلا قصيدته بهذا العرض المفاجئ:

لقد عزب الرأي واستغلقت  على الناظرين وجوه الأمور
ودقت نواقيسها القارعا  ت، ففي كل جو رنين خطير
فمن قائل: ذاك صوت النذير  ومن قائل: ذاك صوت البشير

(١) ديوان عماد: ٧٤/١ . (من المتقارب).

حيرة وقلق انتابت الشاعر جعلته لا يعرف حقيقة أمره، ولا يدري حقيقة وجوده، يتضح ذلك من الصيغ التعبيرية التي استهل بها تجربته: (قد عزب الرأي، واستغلقت الأمور، ودقت نواقيس الخطر)، واحتارت الآراء، وتباينت الأهواء في الوصول إلى الحقيقة.

ثم يعود الشاعر متمنيا معرفة الغيب وما تطويه عنه الأيام، وما يستره الزمان، فلو كان الغيب يشترى لتزاحمت عليه الناس:

وددنا لو أنا سبقنا الزما ... ن فنعلم كيف يكون المصير
ألا أيها الغد لو تُشترى ... لكنت اشتريت بمال وفير
ولكن رويدك لا تنكشف ... وغب ثم غب في ثنايا الستور
فما غبت عفوا ولكنه ... قضاء حكيم قضته الدهور
فلو نبصر الشر في الغيب يوما ... لأودى بنا الرعب قبل الظهور
وإن نبصر الخير نفتر كفاحا ... إليه فيذهب قبل الحضور

إيمان ورضا بقضاء الله تعالى وقدره، واستسلام تام لما قدره الله تعالى، فالغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدا)(١)، وهو مستور عن الخلق لا يعلمه إلا هو لحكمة بالغة، فلو علم الناس ما يصيبهم من الشر لماتوا رعبا في انتظاره، وإن علموا الخير لفتروا عن السعي إليه وركنوا إلى أنفسهم، وما سعوا في حياتهم الدنيا لتحصيل أرزاقهم.

والغد هنا يعبر به الشاعر عن الزمن وعن الوجود، فالغد هو المستقبل، لذا فهو يتشح بالغموض ولا يعلم أحد عنه شيئا، ولولاه لتوقفت عجلة

(١) سورة لقمان: من الآية (٣٤).

الزمن، وهو غيب لا يدري أحد على أي وجه يكون، ولا ما يحمل في طواياه، والإنسان أمامه عاجز عن رؤية أحداثه وما يضمره للبشرية(١).

وقد فطن الشاعر إلى الحقيقة التي لا يدركها إلا المتأمل، وهي أن ما قدره الله على خلقه هو الأصلح لهم، وهو خير لهم في الدنيا والآخرة، فعلى المرء أن ينظر في يومه ويأخذ بالأسباب، ويترك مستقبله إلى ربه فهو خالقه وهو أعلم به، وهي نظرة تتفق والتصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة.

وفي النهاية يقف الشاعر على الحقيقة التي يبحث عنها، وهي أن الغد هو سر الوجود، وأن غيبته عن الناس سر كبير لا يطلع عليه أحد، فلو كان حالا لتوقفت الحياة، ومات الرجاء، فهو سر هذا الوجود الذي يشغل الصدور والأفكار:

فيا غد إنك سر الوجو ... د لأنك تشغل فيه الصدور
وتحفزُ فيه جميع القوى ... فتجري البحور، وترسو الصخور
ولو كنت حالا لمات الرجا ... ء، ومات الممات، ومات النشور
ولم يبق إلا السكون الكبير ... ولا شيء عند السكون الكبير

هذه القصيدة كما نرى تجربة تأملية، مزجها الشاعر بمشاعره، حيث راح يتأمل ما في غده وينفلت من أسر الزمن والأيام عسى أن يعرف حقيقة الغد وما تخفيه عنه الأيام القادمة، لكنه في النهاية يعود إلى نفسه ويقنع بهذا الواقع وهذا النظام الذي نظمه الخالق سبحانه وتعالى، ويرضى به ليصل بعد تأملاته إلى أن الغد هو سر هذا الوجود وحقيقته.

---

(١) انظر: الغد في الشعر الجاهلي: د/ عبده السيد فراج، ص ٦٤ ، المنصورة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

ولعل الشاعر هنا يضع العلاج للنفوس التي دائما ما تود معرفة المستقبل وما تكنه لها الأيام، فيهديهم ثمرات تأملاته ونظراته الطويلة في الكون وفي حقيقة الوجود، وهي أن الإنسان عليه أن يجِد ويعمل ويسعى جاهدا لتحقيق أهدافه، ويحقق خلافة الله له في الأرض، ويأخذ بالأسباب ويحقق العبادة التي خلق من أجلها ويترك النتائج لله وحده، فهو وحده الذي يعلم السر وأخفي، وهو الذي يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، فعليه أن يستسلم لقضاء الله تعالى وقدره فهو أعلم بخلقه.

إن المسلم مأمور بالتأمل في آيات الله تعالى، والتدبر في آفاق هذا الكون الفسيح، والشاعر أقدر الناس على التأمل والنظرة الدقيقة التي تكشف خبايا الأمور، وقد كشفت لنا هذه التجربة التأملية عن إيمان الشاعر، ونظراته الإيمانية التي تتماشى مع التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة، كما تشف عن عقل راجح، وفكر سليم، ونفس صافية.

فالله تعالى يأمرنا بالتفكير في خلقه البديع للعظة والعبرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَاب﴾(١). وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٢).

وتتأكد لنا وهذه النزعة الإيمانية في قصائد أخرى كثيرة يتأمل فيها الشاعر قدرة الخالق سبحانه وتعالى وعظمته البادية أمامه في هذا الكون الكبير المحكم الصنع، يقول في قصيدة (عمر الكون)(٣):

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩٠) .

(٢) سورة الأعراف: من الآية (١٨٥).

(٣) ديوان عماد: ٥١/١ . (من الخفيف).

منظر جامد لمن يجتليه ... من بعيد، وأين منا اجتلاء
جلَّ صبر العين التي قد رعته ... من قديم وما اعتراها انثناء
كل برنامج يخلد يقلى ... هل لبرنامج الوجود انتهاء؟
إنما اليوم مثل أمس، وأمس ... كان كاليوم صبحه والمساء

وهي دعوة من الشاعر للنظر والتأمل في هذا الكون البديع الصنع، إذ لا تتجلى عجائبه إلا للمتأمل الذي يجتليه ويتدبر فيه ليرى قدرة الخالق سبحانه، وعظيم صنعه، وحسن تدبيره(١).

لقد كان شاعرنا في تأملاته في الوجود والكون مؤمنا هادئ النفسِ لا تقوده تأملاته إلى مدارك الشك أو الجحود، أو الهواجس والأوهام، كشعراء المهجر مثلا، إذ كانت تأملاتهم "تقذف بهم في صحارى الشك والريب، وتغرقهم في بحر الهواجس والأوهام، ثم لا ينتهون آخر الأمر إلى نتيجة، ولا يصلون إلى حل، ولا يستطيعون أن يفتحوا مغالق الطلاسم، أو يحلوا لغز الوجود، وإنما يجنون الفشل والألم والكآبة"(٢).

إن محمود عماد وإن أصابته الحيرة أحيانا فإن نظراته الطويلة، وتأملاته العميقة، تهديه إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى، والوقوف على قدرته وعظمته التي تتجلى أمامه في هذا الكون، مؤمنا إيمانا كاملا بأن لهذا الكون رب مدبر ومهيمن عليه، خلقه وأبدعه في هذا النظام البديع.

---

(١) انظر نماذج أخرى للتأمل في الكون والوجود ديوان عماد: ٦٣/١، ٨٤، ٩٥، ١٦٦، ٢٣٠، ٣٥٣، ٣٣٤، ٢٣٦، ٢٣١ ، ٣٧٥، ٣٧٦، ٢٦/٢، ٣١، ٨٩، ١٠٣، ١٠٨، ١٢٥- ٢٠٥، ١٣٠، ٢٠٩ .

(٢) الأدب العربي في المهجر: د/ حسن جاد حسن، ص ٢٦٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

فالتأمل في الكون وفي والوجود ينبغي أن يكون مؤدياً إلى التفكير العلمي السليم، المتخذ من ظواهر الكون ووجوده دلائل على عظمة الخالق سبحانه، وليس المراد من التأمل الوقوف عند حدود النظرة المجردة للكون، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون﴾ (١)، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَاب﴾ (٢).

وقد رأينا أن شاعرنا ينزع إلى التصور الإسلامي الصحيح في تأملاته في الكون والوجود، ويمتح من معين ديننا الإسلامي الحنيف ما يقرر به أن الكون وما به من مظاهر كونية تتبدل وتتغير، هي بتقدير الله الخالق البديع وحسن تدبيره.

## ثانيا- التأمل في الحياة والناس

الأدب تعبير عن الحياة وتصوير لما يجري فيها، والأديب- شاعرا أم كاتبا- الذي يتأمل في الحياة ليستجلي خفاياها، ويكشف أسرارها، ويقف على حقيقتها، ويعبر عنها بإحساسه وشعوره، هو الذي يتمثل هذه الحياة، فالأدب الذي يتصل بالحياة والناس، ويحيا بينهما هو الذي يكتب له البقاء والخلود، فخلود الأدب رهن باتصاله بالحياة، وتعبيره عن الواقع

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٤) .
(٢) سورة آل عمران: الآية (١٩٠) .

الذي يعيش فيه، فعلى الأديب أن يتعايش مع قضايا الحياة ويتأملها، فيعرض، ويحلل، ويناقش، ويوجه.

إن الأدب هو مرآة الحياة الصادقة "يمثلها ويصورها... ويعرض عرضا جميلا ومؤثرا لشتى جوانبها وأشكالها المتنوعة، فتبدو فيه ملامح الكون والحياة وأشكالها المتنوعة، فعندما يفوتنا النظر إلى الحياة مباشرة ننظر إليها ونشاهدها في مرآة الأدب شريطة أن يجيد الأديب عمله، وتصُدق من صاحبه مقدرته، وتحسُن ملكته، وبذلك يصبح الأدب سببا لتخليد أحداث الحياة وصورها"(١).

وقد كان لشاعرنا محمود عماد نظراته الطويلة وتأملاته العميقة في الحياة من حوله، فكان شاعرا خصبا، مرهف الحس، خصب الخيال، له قدرة على التأمل في الأشياء بعمق، مما جعله متفردا في نظراته إليها وتأملاته فيها، فخلف نظرات فكرية صائبة، وحكما قيمة ناشئة من تجارب ذاتية، هي خلاصة تأملاته ونظراته للحياة.

لقد تأمل في دنيا الناس من حوله، وعرض لقضايا مجتمعه وما أصابه من أمراض وعلل تنخر في جسده، وتساعد على انهياره، ودعا إلى المساواة، والعدل، والإصلاح، ونبذ العنف والغش، والخداع، والنفاق، لذا جاء شعره صورة صادقة للعصر الذي يحيا فيه، "إن أكثر مواد ديوانه

(١) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة: محمد الرابع الحسني الندوي، ص ٢١، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

**وشعره مقتبس من صميم الحياة، وهو صورة صادقة لما شغل عقل الشاعر من أفكار، وما هز قلبه من عواطف"(١).**

**لقد أدرك الشاعر المتأمل أن الحياة شيء عارض، وعما قريب سوف تزول وتفنى، لذا يستوي فيها البر والفاجر، والعالم والجاهل، والخير والشر، يقول في قصيدة الشاعر الراحل:(٢)**

**والحسن فيها ماله عابد والقبح فيها ما به كافر**
**وخيرها ليس به محتف وشرها ليس له زاجر**
**دنيا بها عن أهلها شاغل سيان فيها البر والفاجر**
**والعالم المخلص في علمه مثل الذي في جهله سادر**

**الحياة عند عماد لا تقدر لأحد قدره، ولا تأبه لحياة شخص أو موته، فهي حقيرة لا تستدعي أن يعنى بها المرء مادام الكل فيها سواء، وقد توسل الشاعر لبسط فكرته وتأكيدها بالطباق والمقابلة.**

**هذه الضدية التي لجأ إليها الشاعر: (الحسن/ القبح)، (عابد/ كافر)، (خيرها/ شرها)، (محتف/ زاجر)، (البر/ الفاجر)، (العالم المخلص في عمله/ مثل الذي في جهله سادر) تؤكد نظرات الشاعر الطويلة في الحياة، وتفكيره في حقيقتها وتأمله إياها، وإدراكه لحقيقتها، فهي لا تقدر أحدا قدره، فالعالم فيها يستوي مع الجاهل، والبر مع الفاجر، وصوت الباطل**

---

(١) مجلة المشرق بلبنان، العدد الرابع، السنة التاسعة والخمسون، أكتوبر ١٩٦٥م، ص ٤١٣، نقد ديوان محمود عماد: بقلم الأب رفائيل نخلة اليسوعي.

(٢) ديوان عماد: ٤٢/٢ . (من الكامل التام).

يعلو ويرتفع، بينما صوت الحق يهمس وينخفض، فعلى العاقل ألا ينشغل بها، ولا يلهث خلفها، فهي لا شك فانية تفنى كما يفنى كل شيء فيها:

لو أنها تقدر زوارها ... لدمت فيها أيها الزائر
وفزت بالخلد إلى أن ترى ... أي مصير أمرها صائر
وكيف يجلى النجم عن أفقه ... ولا يدور الفلك الدائر
فمن سوى الشاعر قد همه ... من أمرها الباطن والظاهر؟
أيخلد الصخر بها بينما ... تفنى، ويفنى زهرها الناضر؟

إنه يدرك الحقيقة التي لا مناص منها ولا مفر، وهي أن كل ما في هذه الحياة لا محالة زائل، فلا بقاء ولا خلود، وأن حياة الإنسان حياة واحدة لا تتجدد في الدنيا، فمهما طال العمر بالمرء فهو إلى زوال ومنتهى، لذا فهو يتمنى أن يعود إلى صباه، وتتجدد حياته كما تتجدد غصون الأشجار في الربيع، يقول من قصيدة في الربيع:(١)

حب الصبا يوحي لنا ... أن الصبا لا يبعد
إن المودع يكثر التـ ... ـحديق فيما يبعد
يا ليتنا مثل الغصو ... ن ربيعنا يتجدد
لكننا مهما نعش ... فلنا ربيع مفرد
ووراءه يأتي خريـ ... ـف ثم لا يتعدد
فصلان؛ ذا يهب الحيا ... ة لنا، وذاك يجرد
فصلان، وقصتنا وبعـ ... ـدهما ستار سرمد
أعجب بها من قصة ... في كل عرض تنقد

(١) السابق: ١/٣٧٠، ٣٧١ . (من مجزوء الكامل):

والناقـــدون لهـــا همـــو أشخاصـــــها لا الشـــــهد

أمـــا مشـــاهدها فمخـــ ـــرجها العظـــيم الأوحـــد

إن التمني في (ليتنا) يؤكد تمني الشاعر أن تستمر حياته ربيعا يتجدد على مر السنين، لكنه بعد نظراته المتتابعة وتأملاته في هذه الحياة يدرك أنه لا محالة يفنى كما يفنى كل شيء في هذه الحياة، فيستدرك بـ (لكننا) ليثبت لنفسه أنها أمنية عزيزة المنال: (لكننا مهما نعش فلنا ربيع مفرد) يتلوه خريف لا يتعدد ولا يتجدد.

إن إدراك الشاعر لسرعة زوال الدنيا وانقضائها تنبع من التصور الإسلامي للكون والحياة، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (١) وفي هذا ما يكشف عن إيمان الشاعر بحقيقة الموت وأنه حتما سيموت ولا يبقى إلا الله الحي الذي لا يموت سبحانه: (أما مُشاهدها فمخرجها العظيم الأوحد).

وما أصدق قول العقاد تعليقا على هذه الأبيات(٢): "ولو أن الحياة الإنسانية بين مظاهر الحياة المختلفة، قد اتخذت لها أمنية ترددها، لما نطقت في التعبير عن أمنيتها بأصدق من هذين البيتين:

يـــا ليتنـــا مثـــل الغصـــو ن ربيعنـــــا يتجـــــدد

لكننـــا مهمـــا نعـــش فلنـــا ربيـــع مفـــرد

(١) سورة الكهف: الآية(٤٥) .

(٢) ديوان عماد: (المقدمة) ٩/١ .

لقد أجاد الشاعر في بسط فكرته النابعة من تأملاته في الحياة، وقد أدت المفردة دورا مهما في عرض هذه الفكرة التأملية: (يا ليتنا، الغصون، ربيعنا، يتجدد)، ثم تأتي الصياغة التعبيرية النابعة من تجربة التأمل (لكننا، مهما نعش، لنا ربيع مفرد، لا يتعدد، يجرد، ستار سرمد) لتؤكد أن الحياة بكل ما فيها تفنى ويلحقها الزوال فلا حياة دائمة لأحد. كما أدى الطباق بين(يهب/ يجرد) دوره في هذا النص، فهو يقرر أنها حياة واحدة يتلوها موت محقق، وحقيقة لا مهرب منها وهي الموت (ستار سرمد).

وقضية فناء الحياة وزوالها شغلت بال الشاعر المتأمل، فوقف أمامها طويلا في أكثر من قصيدة، لذا فهو يتساءل بعد انهيار هذا البناء العظيم، وانهدام هذا الملهى الكبير من سيبكيه ويرثيه:

دنيـــاي مـــن ذا فـــي غـــد ... يبكيـــك بالـــدمع الســـجام؟
ومـــن الـــذي يرثيـــك إن ... تمضـــي كمـــا يمضـــي المنـــام؟
كـــم دور قـــوم قـــد رثـــا ... هـــا قومهـــا بعـــد انهـــدام؟
فـــي حـــين أم الـــدور لا ... ترثـــي بنثـــر أو نظـــام...
أرثـــي جمالـــك رغـــم أن ... القـــبح فيـــك لـــه لـــزام
أرثـــي عليـــك الخيـــر بيـــ ... ـــنا الشـــر جنـــب الخيـــر قـــام؟
هـــذا بـــذلك قـــد عرفنـــاه ... فحـــــددنا المـــــرام(١)

إن الاستفهام في(من يبكيك، من يرثيك، أرثي جمالك، أرثي عليك الخير؟) يؤكد فناء الحياة الدنيا كما يفنى كل شيء، وهو يكشف عن إدراك الشاعر لهذه الحقيقة النابعة من تأملاته الطويلة في الكون والحياة.

(١) ديوان عماد: ٢/ ١٠٦ . (من مجزوء الكامل).

كما يدل تكرار كلمة (أرثي) على فناء هذه الحياة بما فيها من خير وشر، وجمال وقبح، كما يكشف الطباق بين (جمالك/ القبح)، (الخير/ الشر) أن الحياة مزيج من الخير والشر، والجمال والقبح، لا قيمة لأحدهما بدون الآخر، هذه هي الدنيا وينبغي أن نقبلها كما هي، وهذا ما يؤكده الشاعر في قصيدة (في الملعب)(١) مخاطبا ولديه:

اصحبا الدنيا على علاتها واحذرا الشعر فإن الشعر ماكر
يكشف المخبوء من آفاتها فتخالا أن فيها الخير نادر
هي بالضدين تعتز معا يمرح الطاووس فيها والعقاب
وبها ذو الناب يلقى مرتعا والذي قد جاءها من غير ناب

إن تأملات الشاعر الطويلة في الحياة جعلته يدرك حقيقتها ويعي أنها متلونة، فالحياة لا تجرى على نسق واحد، فهي "ليست ميسورة دائما، ولا هي بالصعبة التي لا سبيل لتذليل عقباتها بأي حال، وإنما هي مزيج من الخير والشر، والسهولة والصعوبة، واليسر والعسر، والسعادة والشقاء، والقوة والضعف، والصحة والمرض، وغير ذلك من المتناقضات التي حفلت بها الحياة الإنسانية، وغص بها الوجود البشرى" (٢). وما على الإنسان إلا أن يقبل عليها بثغر باسم، ووجه مشرق، ويروض نفسه على الرضا بكل ما فيها، ويكف عن الشكوى لأن هذه هي طبيعة الدنيا وهذه هي حقيقتها.

(١) السابق: ٢/ ٥٨ . (من الرمل التام).
(٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر من ١٩١٤م إلى ١٩٦٥م: د/ رجا سمرين، ص٥٢١، دار اليراع بالأردن، الأولى١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

**وتأملات الشاعر في الحياة والناس من حوله، تجعله ينظر إليها نظرة ايجابية تدفعه إلى إصلاح الخلل، وتقويم المعوج، والثورة على التقاليد الجامدة التي لا فائدة منها، فهو مشغول بالإنسان والحفاظ على إنسانيته، حتى لتجد شعره تغلفه الإنسانية؛ "والإنسانية في مفهومها العام نظرة واسعة إلى الحياة وإلى الوجود، وعلى الأخص إلى المجتمع البشري، وهي الحلم الأكبر الذي يراود أخيلة المفكرين والشعراء والفلاسفة، وكل ذي قلب كبير وضمير حي، ومن معاني هذه الإنسانية في ما يتعلق بالجنس البشري: نشر المبادئ السامية والمثل العليا بين الناس، ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعمل على خلق مجتمع إنساني يسوده العدل، والرحمة، والمحبة، وعلى تخفيف الشقاء الإنساني، وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس"(١).**

**لقد وجدت عمادا يعالج قضايا اجتماعية تؤرق أصحاب النفوس السوية، فكشف عن ذلك في شعره، ودعا إلى المثل العليا، والقيم النبيلة، وتاقت نفسه إلى رؤية الأخلاق الطيبة ترفرف في سماء الإنسانية، فنصح، وقوّم، وعنف، ودعا إلى الفضيلة، واجتناب ما من شأنه أن يشين المرء ويأخذ من كرامته، متماشيا في ذلك مع التصور الإسلامي والأخلاق الإسلامية، فكره النفاق، والخداع، والزيف، وحرَّض على المنافقين، ودعا إلى الرجوع إلى الفطرة، وعالج الأمراض التي تفشت في مجتمعه، متمنيا أن يفوح في رياضه عبق أزهار الفضيلة، وأفيح ورود الحق، ورائحة الخير، وأريج السلام.**

---

(١) أدب المهجر: د/ عيسى الناعوري ص ٩٤، دار المعارف، القاهرة، الثالثة/١٩٧٧م.

في قصيدة السواد في الحداد[١] يتأمل الشاعر في أحوال الناس في مشهد يتكرر في حياة الناس، وتقليد متبع عند الموت وهو ليس السواد أيام الحداد على الميت، وقد هدته تأملاته إلى أن الأولى لبس الثياب البيض عند الحداد، فهي التي تشبه الكفن وهي أولى من لبس السواد، يقول:

لبس السواد وسار في إخوانه ... ليقال فاض الحزن من أردانه
ونسيتُ أن أدرى وحق فقيده ... ماذا يهم الناس من أحزانه
إن كان مفتخرا بفقد عزيزه ... فلقد أصاب الدهر من فقدانه
وإليه ندعو كي يزيد فخاره ... أن لا يغيب الموت عن جدرانه
أو كان كلف أن يحدد حزنه ... فالحزن يبحث عنه في وجدانه
فإذا أراد الصدق شق فؤاده ... وأرى الورى المكنون من أشجانه
أما السواد فليس فيه كناية ... عن وصل صاحبه ولا هجرانه
ولكان أبلغ لبس ثوب ناصع ... فعسى يشير به إلى أكفانه

ظاهرة منشره في مجتمعاتنا قل من يلتفت إليها إلا المتأمل، وعماد الشاعر الصادق في شعوره يكره الزيف والخداع، والنفاق والمراءاة، لذا نراه يكشف النقاب عن أولئك المنافقين الذين يجاملون أهل الميت، ويظهرون حزنهم وأسفهم على فراقه لمأرب في نفوسهم، أو زائل من عرض الدنيا، فالحزن يكون في القلب لا بالمظاهر، وليس ارتداء الثوب الأسود دليل الحزن، وليس الأبيض دليل الفرح والسرور.

والشاعر بهذا السلوك القويم يدعو إلى التزام الصدق في كل أمر واجتناب النفاق والرياء، وهي دعوة تتفق مع التصور الإسلامي والأخلاق السوية،

(١) ديوان عماد : ٥٠/١ . (من الكامل التام).

كما ينشد الإنسانية في معناها الواسع الذي يرقى بالإنسان إلى الصدق في كل أموره، مع ربه، ومع نفسه، ومع المجتمع الذي يحيا فيه.

وفي قصيدة (القناعة البلهاء)[1] ينعى الشاعر على الذين يقنعون بعيشهم، ويدَّعون الزهد في الدنيا، ويتعللون بالرضا بما قسم الله لهم، اجتنابا للسعي وطلب الرزق، والتعب في تحصيله، فينادي هذا الصنف من الناس مؤكدا لهم أن الحياة حق لجميع الناس، كل قدر استطاعته بالعمل والجد، يقول:

إن الحياة كماء البحر مطلقة ... إلى الجميع لا منع ولا حذر
فكيف تنزل عنها الناس طيعة ... والوحش يطلبها والطير والشجر؟
وما حياة لهم تلك التي ضربوا ... من دونها حجبا للزهد وانتظروا
لم تحمل الأرض أصناف النعيم ... وما سدى حملت أذواقَها البشر

الحياة ليست حكرا على نوع معين من الناس، ومن لم يستطع أن يحصل عليها طواعية فعليه أن يقاوم حتى ينال منها بغيته وينازعها غيره بالقوة، وهي دعوة إلى التسابق والتسارع إلى المجد وارتقاء أعلي المنازل، فعلى المرء أن يسعى جاهدا حتى يصل إلى هدفه، ولا يقنع بالقليل تاركا إياها منزويا، متعللا بالرضا أو الزهد في الدنيا، فهذه حجة الكسالى والمهزومين.

ثم يؤكد الشاعر دعوته إلى التحلي بالعزيمة والقوة والسعي إلى الغايات المجيدة والمثل العليا، والصبر والثبات أمام نوائب الدهر وتقلبات الحياة، فيقول:

فابغوا الحياة إباء ليس من أثر ... للذل فيها فما فيكم له أثر

(١) السابق: ١/٢٠١-٢٠٣ . (من البسيط التام).

شـــخص العظـــيم وشـــخص سـيان لا عِظَـمٌ يُلْفَـى ولا صِـغَرُ
لكنمـــا رَفَعَـــتْ هـــذا منازِعُـــهُ إلـى العـلاء وهـذا حطَّـه الخـور
ولتطعمـوا كلمـا آنسـتمو حسـنا ولْتحْسُـدوا مـن بـه دونكـم ظفـروا
لولا المطامع في الدنيا لما عُمِرَتْ ولـم يكـن ثـم تيجـان ولا سُـررُ
ولا تقولوا أتي الحرمان عن قدر فبـــالإرادة مـــنكم يرشـــد القـــدر
إن السموات لم تكتب لكم ضررا إلا لأنكمـــو يرضـــيكم الضـــرر

إن عمادا في تأملاته للحياة يشف عن سمو الطموح، وعلو الهمة، وعدم الرضا باليسير، إذ لا بد من الكفاح والقوة في هذه الحياة، لا كما ينظر إليها الضعيف الراضي منها بما أتاه، ولو كان نزراً يسيراً، فالحياة لا تلين إلا للأقوياء، ولن يتمكن من تطويعها إلا هؤلاء الذين يرتفعون فوق مصاعبها ونكباتها بالعزم والجد والتفاؤل، أما هؤلاء الذين يركنون إلى اليأس، ويستسلمون إلى البكاء فما هم إلا جبناء ضعفاء لا يُرجى من ورائهم نفع:( فابغوا الحياة إباء ليس من أثر للذل فيها).

وقد شاعت الحكم البالغة النابعة من تأملات الشاعر ونظراته الطويلة في الحياة والناس وأحوالهم: (شخص العظيم وشخص المستكين سيان، لولا المطامع في الدنيا لما عمرت، ولم يكن ثم تيجان ولا سرر، فبالإرادة منكم يرشد القدر)، كما برزت أفعال الأمر التي تحض على الجد والمثابرة: (فابغوا، ولتطعموا، ولتحسدوا، ولا تقولوا) وهي تؤكد على دعوة الشاعر إلى التحلي بالعزيمة والجد والاجتهاد، والمثابرة، ونبذ التخاذل والخنوع وعدم الارتكان إلى القدر، حتى يصل المرء إلى أعلى مراقي المجد.

والشاعر المتأمل في المجتمع والناس من حوله يرى الفاسدين والمنافقين يرتقون أعلى المنازل بينما أهل الفضل والعلم في دركات الذل والهوان، فيتشاءم وتنتج قريحته هذه الصيحات المدوية:(١).

كذبوا علينا يوم كنا نوا يشرحون لنا الرذيلة
ويصورون لنا الفضيلة في عواقبها الجميلة
فإذا بنا من بعد نـ رك أن ما ذكروه حيلة
وإذا الرذيلة في مرا في العز والنعمى نزيلة
أما الفضيلة فهي عنـ د الباب واقفة ذليلة

هذه الأبيات تكشف لنا عن مدى الانتكاس الذي أصاب المجتمع، فقد أُهمل أهل الفضل والمروءة، وأهدرت الكفاءات وتأخرت، بينما أهل الباطل والتفاهات في الصدارة والمقدمة، احتلوها بالرشوة والنفاق وإهدار الكرامة، والتنازل عن العِرض، وهذا أمر يتبرم منه الأسوياء ولا يرضون به، وقد كان عماد يرى أن "من واجبه كشاعر أن يكشف القناع عن الزيف والآفات التي تنخر في جسد المجتمع، يجب أن يكشف عن هؤلاء الذين يغيرون الحقائق ويلونونها لصالحهم وسيدهم في ذلك الجشع، ودافعهم الطمع، والرغبة في جمع المال"(٢).

وفلسفة الشاعر التأملية ونظراته الطويلة في الحياة جعلته يرى أن علاج الجريمة والقضاء عليها لا يأتي بالعنف والشدة والقسوة، وإنما بالبحث عن

(١) ديوان عماد: ٣٣/١ . (من مجزوء الكامل).
(٢) عود على بدء: ص ١٥ .

أسباب الجريمة، ويرجع السبب إلى الجوع والفقر والحاجة، والافتقار إلى العدالة الاجتماعية، يقول في قصيدة ريا وسكينة مخاطبا دعاة الخير:

تريدون النفوس هدى وأمنا ... فهل تكفونها شبعا وريا
إذا ما معدة خويت وجاعت ... رأيت نياطها انتصبت قسيا
فترمي طعمها ما إن تبالي ... أميت طعمها أم كان حيا
وإن النفس تَضري ما أحست ... مفاقرها وإن أنست مليا
وليس يفيدكم أن تغسلوها ... وتكووها وراء الغسل كيا
وما للجرم من وطن ولكن ... مضى في أوجه الدنيا مضيا(١)

نظرات تأملية عميقة من الشاعر تجعله يدرك أن الفقر والجوع سبب من أسباب الجريمة وانهيار المجتمع، فالشعور بالظلم والفقر والجوع قد يؤدي بالإنسان إلى القتل وارتكاب الجرائم، والشاعر يدعو الأغنياء إلى أن يحسنوا إلى الفقراء وينظروا إليهم بعين الرحمة والعطف، حتى يسود المجتمع الطمأنينة والهدوء والسكينة، وتختفي منه الجريمة أو تقل، وينتشر العدل والسلام، والرحمة والمساواة.

إن الفقر مشكلة اجتماعية خطيرة، من شأنها أن تقف عائقا في سبيل نهضة المجتمعات، إنه البؤرة التي تنمو فيها أكثر الآفات الأخرى التي تسد منافذ التطلع والتقدم عند الشعوب، كالجهل، والتخلف، والمرض، وما إلى ذلك من آفات اجتماعية خطيرة تحد من التطور الإنساني(٢).

(١) ديوان عماد: ٦٧/١ . (من الوافر التام).
(٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: ص ١٢٤.

لقد بدت صورة المجتمع واضحة بينه في شعره، ومرآة تنعكس من خلالها قضاياه، وقد برز هذا الجانب التأملي في الحياة والدعوة إلى الإصلاح في شعر عماد بروزا واضحا، فنادى بإصلاح عيوب المجتمع وأدرانه، وتنقيته مما أصابه من أمراض وعلل في قصائد كثيرة من ديوانه(١).

وكان النموذج البشرى محورا مهما عند محمود عماد في تجربته التأملية؛ "وماذا يمكن أن يكون موضوعا للشعر أعظم من الإنسان، بوجوده وعدمه، بآماله ويأسه، بفرحه وحزنه، بحبه وغضبه"(٢)، لذا وجدناه يعبر عن مأساة الإنسان تعبيرا نابعا من داخله، ووجدناه يحاول بكل ما أوتى من موهبة فنية أن يعالج الأمراض الاجتماعية التي ألمت به، وصدق العقاد حين قال: "لا نعرف ديوانا أدل على زمنه وعلى أهله من ديوان صديقنا عماد، لأن أحداث عصره شأن من شؤون نفسه، وعارض من عوارض حسه"(٣).

## ثالثا- التأمل في الموت وحقيقته

خلق الله الموت والحياة وقدرهما على كل حي، والموت حقيقة إنسانية خالدة لا يستطيع الإنسان أن يتجاهلها أو يفر منها، فهو نهاية الدنيا، وهو المصير المحتوم لكل حي، وقد احتلت ظاهرة الموت مكانا كبيرا من

---

(١) انظر: ديوان عماد: ١/ ٢٧،٣٣، ٣٤، ٥٥، ٦٢، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١، ٢٥٧، ٢٩٥، ٣٣٣، ٣٧١ ، وغيرها من القصائد التي عالج فيها الشاعر الأمراض والأوبئة التي غص بها المجتمع.

(٢) دراسات في الأدب العربي الحديث: د/محمد مصطفى هدارة ، ص ٧٣ ، بيروت،لبنان، ١٩٩٠م.

(٣) ديوان عماد(المقدمة) بقلم الأستاذ العقاد: ١/ ٤ .

**تفكير الإنسان، فتساءل عن الموت وحقيقته وما يحدث بعده، وحقيقة الخلود والبعث في الحياة الآخرة.**

**وظاهرة الموت من الظواهر التي حظيت باهتمام واسع عند شعراء العصر الحديث وكان لها حضور واضح في نتاجهم، فقد عالجوها معالجة متفردة، ولعل اهتمام الشعراء بظاهرة الموت في شعرهم يرجع إلى أن الإنسان "كثيرا ما يتساءل عما بعد طي صفحته، وانتهاء دورته على أي نحو يكون، وهل تتواصل حياته بعد الموت، أم أن الموت هو الخواء والسكون التام بعد حركة الحياة؟ أسئلة تصعب الإجابة عليها، وقد واجهها المفكرون بإجابات متنوعة، أما الشعراء فقد تطلع بعضهم إلى حياة ثانية على سبيل التمني والرجاء، وجاءت أشعارهم حاملة أهواء أرواحهم وما يهفون إليه في خطرات فنية مفعمة بالأحاسيس، غنية بالمشاعر، محلقة بالخيالات فيما وراء الرؤى"(١).**

**إن الشعر الذي يدور حول الموت مجال واسع، رحيب خصيب لإصدار الحِكم التي هي فيض الانفعال والتأثر بالموقف بعد التأمل فيه، وهي ثمرة طبعية لهذا الحادث المفجع الذي تأمله الشاعر فأخرج لنا حكما بليغة نتيجة تأملاته وتفكيره الطويل لهذه الحقيقة التي لا مناص منها ولا مفر.**

**وقد تأمل شاعرنا محمود عماد في الموت وحقيقته، وفكر طويلا في أمره وما يتبع الميت بعد أن يطويه الثرى، ومن النماذج التأملية في حقيقة الموت ما جاء في قصيدة (الهرم والخلود)(٢)، وفيها نرى الشاعر يتأمل**

---

(١) مجلة الشعر، العدد (١٠٤)، أكتوبر ٢٠٠١م، الموت والخلود في وصايا الشعراء: أحمد حسين الطماوي، ص٦٦ .

(٢) ديوان عماد ١٠٢/١ . (من المتقارب).

الموت ويتعجب من موت الإنسان، بينما ما خلَّفه من آثار وعمَار يبقى شامخا، يقول:

قفا نقرأ اليوم تلك الرسا لة في الصخر يا أيها الصاحبان
رسالة خوفو التي خطها وألقى بها في بريد الزمان
فسارت إلينا ألوف السنيـ ـن وألقت إلينا بهذا البيان
بيان إلى الأزل السرمدي من الأبد العبقري اللسان
تناسى الفناء به طبعه فما للفناء إليه يدان
عجيب خلود كيان البنا ء ومن شاده ماله من كيان
تموت القوى ثم يبقى الذي أتته القوى ماثلا للعيان

يستهل الشاعر قصيدته بالخطاب على عادة الجاهليين؛ فيخاطب شخصين ليس لهما وجود في واقع حياة الشاعر، وإنما نجد الشاعر هنا يجرد من نفسه شخصا آخر يخاطبه ويشكو إليه ما في نفسه، ولعل ذلك التماساً لرفقة تحمي من الشعور بالوحدة، أو التعبير عما يجيش في نفسه من معاناة وما يكابده من ألم وقلق وحيرة نابعة من تأملاته الطويلة في معرفة حقيقة الموت.

إن بقاء الصخر الذي بناه الإنسان وصنعته يداه صامدا لم يؤثر فيه الزمن أمر يدعو إلى العجب، فكيف لا يعتريه الفناء الذي يأتي على الأحياء، بينما من شاده قد أتى عليه الموت، وقضى عليه، وقد أدت المفردة دورها فكشفت عن معاناة الشاعر وتأملاته في أمر الموت، فتكرار الكلمات:(الفناء، للفناء، كيان، تموت، القوى، الحياة، الممات، الموت)، يؤكد سيطرة فكرة الموت والفناء على عقل الشاعر وانشغاله به، ويشف عن إيمانه بحقيقة الموت، ورضاه بذلك الواقع المحتوم.

ثم يتساءل الشاعر متعجبا من جهل الإنسان بأمر الوجود، وحقيقة الموت، مع أن الموت لا يأتي إلا على الأحياء، أما الصخر فهو في أمان منه:

أيدري الجماد بسر الوجو د ويجهله الحي في كل آن؟
أتغري الحياةُ الممات بنا ويأمنه الصخر كل الأمان؟
إذن سبب الموت تلك الحيا ة ففيم احتفال بها وافتتان؟

إن التضاد الواقع بين (الحياة/الممات)،(الموت/ الحياة) يكشف لنا عن انشغال الشاعر وتفكيره الطويل في أمر الحياة والموت محاولا الوقوف على حقيقتهما، كما يشف عن تأمله الطويل في أمر الموت وانشغاله بالبحث عن حقيقته، وقد انتهى من تأملاته إلى أن سبب الموت هو تلك الحياة، وما دام الأمر كذلك فلم الافتتان بها ما دامت نهايتها معلومة ومحتومة وهي الموت.

لقد أدرك الشاعر الحقيقة التي ينبغي أن يقف عليها ويتدبرها كل ذي لب وهي أن الحياة فانية، وأن الموت آت لا محالة، فعلى العاقل أن لا يغتر بها، وأن يتخذ منها معبرا إلى حياته الآخرة، فمهما طال به العمر سيرحل عنها ليلقى الموت الذي لا يتقدم ولا يتأخر عنه لحظة: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون﴾(١).

(١) سورة الأعراف: من الآية (٣٤).

وانشغال الشاعر بأمر الموت وتفكيره الطويل في حقيقته جعله يتوجه بالخطاب لصديقه الذي ثواه الثرى سائلا إياه عن الموت وما يتبعه، يقول في قصيدة (الشاعر الراحل):(١)

قل: يا بليغ القول ماذا لدى القبـ ـــر إذا أغلقه القابر؟
أيُقهَرُ الحصن الرفيع الذرى وحجرةٌ ليس لها قاهر؟
أيؤسر الجيش به عنوة وضيفه ما إن له آسر؟
أيكشف السر على عمقه وسرها من دونه ساتر؟
بضعة أحجار حمت عالِمًا عن عالَمٍ، يحقرها السائر
صف يا دقيق الوصف كيف أمرك فيها مذ قضى الآمر؟
واذكر لهم- إن تدرِ- كيف البلى يبلى، ويحيى الجسد الداثر؟

تساؤلات كثيرة متتالية عن حقيقة الموت والكشف عن سره، وهي أسئلة لا تجد من يجيب عنها، لكنها تشف عن نفس قلقة تود معرفة الجواب والوصول إلى الحقيقة فلا تستطيع، ذلك أنها لا تجد ردا من ميت ثوى في جدثه، وطوي في رمسه، فالشاعر يود معرفة ما غاب عنه من أمر الموت ومآل الإنسان بعده، ويطلب من ذلك الميت أن يعلمه ما غاب عنه واستتر، وما ينتظره في القبر بعد الموت ولكن لا مجيب.

فالموت وما يتبعه في القبر سر مبهم يعجز العقل البشرى عن إدراكه، وقد جاءت المفردة الشعرية تكشف عن حيره الشاعر وقلقه: (ماذا لدى القبر، أيقهر، أيؤسر، أيكشف، صف، كيف انتهى أمرك، واذكر لهم، كيف البلى، الجسد الداثر) وهي استفهامات تكشف لنا عن سيطرة فكرة الموت على عقل الشاعر وتفكيره الطويل في أمره.

---

(١) ديوان عماد ٤٥/٢. (من الكامل التام).

إن فكرة الموت والحياة تشغل بال الشاعر، فهي مثير مهم من مثيرات التأمل عنده، تحرك فيه النزوع إلى التأمل والاسترسال مع الفكر والخواطر، فيحاول أن يتعرف على العلاقة بين الموت والحياة، وعلى مشاعر الموتى، وعلاقتهم بالأحياء والحياة التي تركوها، واستدعى هذا تأملات فيما بعد الموت(١)، فيسأل عن البلى، وكيفيته، وكيف يحيا الجسد بعد الموت؟، وما طبيعة هذه الحياة؟، وكلها تساؤلات تنبع من تأملات الشاعر الطويلة في أمر الموت وما يتبعه.

وفي النهاية يدرك الشاعر أن الإنسان أمام حقيقة الموت وأسراره ما هو إلا إنسان أعمى وإن كان مبصرا، وأن ما يطلبه أمر عسير، لا يدرك حقيقته إلا الميت الذي واراه التراب، ولكن أني يجيب وقد غاب في حياة أخرى لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه:

هل يدرك الميتُ ببطن الثرى ما الحي عن إدراكه قاصر؟

وعماد بتأملاته في الموت وحقيقته يقترب من اتجاه شعراء مدرسة الديوان- وهو ينتمي إليهم- فقد استغرقهم التفكير في حقيقة الموت استغراقا بدا واضحا في آثارهم الشعرية والنثرية، وقد حاولوا استكناه حقيقته والكشف عن سر هذا اللغز المحير للألباب، الذي لا يدركون كنهه ولا يعرفونه إلا بأثره، وكانت النتيجة أن خرجوا علينا بنظرات مفعمة بالتأمل تفيض بمحاولة استكناه حقيقته، والوصول إلى حل لذلك اللغز الذي حير العقول، وبقي سرا مكنونا(٢).

---

(١) الفكرة في شعر الديوانيين: ص ١٦٥.

(٢) انظر: تأمل ظاهرة الموت في شعر الديوانيين: د/عبده السيد محسن ص ٧٨ ، القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

والشاعر المشغول بأمر الموت يؤكد لنا أنه لا يتأمله يأسا من حياته ولا تبرما بها، وإنما هي محاولة منه عسى أن يبصر حقيقته وينتهي إلى معرفة سره؛ يقول في قصيدة (وساوس)(١):

رقبت الموت لا يأسا ولكن لأبصر ما يكون وراء موتي
فقد برمتْ بفوضى الحدس ومل السمع من كيتٍ وكيت
أأفنى ثم أفنى أم تراني ألاقي جثتي من بعد فوتِ؟
وهل في الأرض تبتعث البرايا على ضيق بها وقصور سمت؟

إن بعض الشعراء قد تأمل الموت وتمناه يأسا من حياته وضيقا بها، كعبد الرحمن شكري مثلا- وهو رمز من رموز شعراء الديوان- فقد "تطلع إلى بحر الموت تطلع من يلقى بنفسه في غماره، كي يستريح من قيظ الحياة ومن تعبها وآلامها... وهو في تمنيه الموت لم يكن على يقين بأن سيعقبه راحة كان يرومها وينشدها، ولكن ثمة خواطر كانت تجول بنفسه وتؤرق خاطره"(٢)، يقول من قصيدة (الموت) سائلا الموت أن يقبل عليه في طلاقة وجه وبشاشة:

فيا موت أقبل باسط الوجه طلقهُ فإن حميم الصحب ما كنت لاقيا
تقارب من أمسى لطيفك قاليا وتبعد من يرجوك في النحس

فهي نظرة تشاؤمية للحياة جعلته يتمنى الموت ويتشوق إليه، وهي نظرة لا نقبلها على الإطلاق، إنما المقبول من الإنسان أن يقبل الحياة بخيرها

(١) عود على بدء: ص ١٠٤. (من الوافر التام).
(٢) تأمل ظاهرة الموت في شعر الديوانيين: ص ٨٢ ، ٨٣ .
(٣) ديوان عبد الرحمن شكري: جمع وتحقيق: نقولا يوسف، ص ٥٨٦ ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م. والبيتان من الطويل.

وشرها، ويرضى بها على حالها التي هي عليه، وعليه أن ينتظر الموت بصدر رحب ونفس راضية لقضاء الله- تعالى- وقدره.

وشاعرنا في هذه الأبيات لا يتأمل الموت يأسا من حياته أو تبرما بها، وإنما يبحث عن الحقيقة، حقيقة ذلك المجهول، ماذا يكون بعد الموت؟ أهو الفناء أم هو البعث؟ وهي حيرة ألمت بالشاعر يود معرفة مصير الخلق بعد الموت، لذا نجده يكرر لفظة (الموت، موتي، أفنى) وهي تؤكد سيطرة فكرة الموت على الشاعر وتفكيره الطويل في هذا المجهول، وتأمله العميق في حقيقته.

وقد أكدت الصياغة التعبيرية والمفردة التي توسل بها الشاعر لصوغ تجربته سيطرة هذه الفكرة عليه، فنجد الكلمات:(رقبت، لأبصر، ما يكون، برمت، مل السمع، ألاقي جثتي)، وهي تكشف عن تأمل الشاعر العميق في أمر الموت والتفكير في حقيقته طويلا، واعترافه أنه لم يهتد بعد للوصول إلى حقيقة هذا المجهول، وهذا المصير المحتوم.

كما يشف الاستفهام في (أأفنى، أم تراني، هل في الأرض) عن حيرة انتابت الشاعر لمعرفة هذا المجهول، وهي أسئلة كثيرة ناتجة عن تأمل واستغراق طويل في حقيقة الموت، وما يصيب الإنسان بعد موته.

وفي النهاية يهتدي الشاعر من تأملاته إلى أن مصير كل حي هو الموت الذي لا مفر منه، وأن التفكير في هذا الأمر ما هو إلا تضييع وقت، وإهدار فكر، فعليه أن ينتظر ذلك الأمر المقدر ويقبله بنفس راضية مطمئنة:

ألا ما أجمح الإنسان فكرا ... وإن يك فكره تضييع وقت

سيطوى، بينما الأيام تبقى ... تدور عليه من أحد لسبت

إن الشاعر المؤمن بالموت ووقوعه لا يقع فريسة للحيرة والقلق والشك، ولكنه يهتدي من تأملاته إلى أن الموت حق على كل حي في هذه الحياة. والشاعر المؤمن بوقوع الموت، المنتظر له، يتساءل عن حصاد الموت للأحياء من حقل الحياة الدنيا، من علمه أن يأخذ أرواحهم، ويوقِف حركتهم، ويمنعهم الإحساس والشعور؟ وكيف انتزعت هذه الروح رغما عنها، ولم تستطع للموت ردا؟ يقول معبرا عن ذلك من قصيدة (الله)(١):

من علم الموت حصا ... د ا الروح في حقل الحياة؟
وأين في الجسم استقر ... رت روحه قبل الوفاة؟
وكيف منه انتزعت ... دون رضاها أو رضاه
وإن تشهّاها فلا ... يبلغ يوما مشتهاه
ما العقل يهدي وحده ... في الكون لو يدري البشر

إن شاعرنا راض بالموت متقبل له، فبعد أن أعياه الفكر، وتعب في بحث مصير الناس بعد موتهم، وعلم أن الموت حقيقة لا بد من وقوعها، وأنه سهم لا ينجو منه أحد، يتوجه بهذه الأسئلة، والاستفهام هنا يوحي بإيمان الشاعر بوقوع الموت، وهو يعلم يقينا أن الله- سبحانه - هو الذي خلق الموت والحياة، وبث الروح في خلقه، وهو الذي خلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم مرة أخرى للبعث والحساب، كما يكشف الاستفهام عن تأملات الشاعر التي لا تنقطع في التفكير في الموت وحقيقته.

إن الموت عند محمود عماد سنة الله في خلقه، وفطرته التي فطر الناس عليها، ونظامه الذي أقام عليه الحياة الدنيا، فإذا كان أصل الإنسان من الأرض فإنه ينتهي إلى الأرض، وهي فلسفة نابعة من التصور الإسلامي

(١) ديوان عماد: ١٢٩/٢ . (من مجزوء الكامل).

الصحيح للكون والحياة، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٢) ، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾(٣)، فعلى الإنسان أن يرضى بالموت ويتقبله، وينتظره، ويعمل له، ويتزود من دنياه لآخرته، فإنه عما قريب يموت ويلقى ربه.

لقد كانت الحيرة أمام أسرار الحياة والموت مجالا خصبا للإبداع عند الشاعر، لذا كثرت هذه النماذج التي يتأمل فيها الحياة والموت وحقيقتهما، وما يتبع ذلك من حياة أخرى لا يعلمها إلا الله سبحانه، وقد وجدت الشاعر – من خلال هذه النماذج– مستسلما لقضاء الله، فلم نجد في تأملاته للموت ما يشف عن اعتراض أو ضجر، بل وجدنا الرضا والتسليم بما قدر الله والإيمان به، يقول في قصيدة (على البحر) مؤكدا إيمانه بالموت وأنه حتما سيموت:

سوف نبلى، ثم نبلى، والثرى  بعد باق، رغم أنف الكيمياء(٤).

ويؤكد محمد محمود عماد (ابن الشاعر) ذلك في قوله: "لم نسمع منه طوال حياته – في حالتي الصحة والمرض– ما يشير من قريب أو بعيد إلى ما يوحي بالخوف من الغيب والمرض أو الموت، بل كان في أشد حالات مرضه أكثر الناس تفاؤلا وأملا في الشفاء، وعملا على إدخال

(١) سورة طه: الآية (٥٥).
(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥٧).
(٣) سورة الرحمن: الآيتان(٢٦، ٢٧).
(٤) ديوان عماد: ٣٣٧/١ . (من الرمل التام).

الطمأنينة في نفوسنا، بالتهوين من وقع المرض مهما اشتد به، إيمانا راسخا منه بالحياة، وإيمانا بحياة الشاعر فيها بوجه خاص"(١).

إن فلسفة الموت عند عماد أنه تابع للحياة، وهو لا محالة يأتي على كل حي، وهو إن حار في معرفة سره، وفكر كثيرا في أمره، فذلك نابع من تأملاته، وتفكيره الطويل في حقيقته، إيمانا منه بأن شمس عمره ستغرب، وبزوغ نجمه سوف يأفل، لذا فعلى العاقل أن ينتظر الموت، وأن يعمل له، ويستعد قبل أن يداهمه بغتة(٢).

## رابعا- التأمل في مشاهد الطبيعة

أمرنا الله تعالى بأن ننظر في مخلوقاته ونتأمل مشاهد الطبيعة التي أبدعها وبدت فيها عجائب صنعه، وبدائع قدرته لنأخذ منها العبرة والعظة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

---

(١) عود على بدء: ص ٤ .

(٢) انظر أيضا تأمل الشاعر لظاهرة الموت ديوان عماد: ١/ ٥٥ ، ٩١ ،١٨٩، ٢١١-٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٧، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٥٣ ، ٢/ ١٨ ، ٤٥، عود على بدء: ص٦٠، ٦٦، ٩٧ ، ١٠٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية (٩٩).

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيد، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيد، رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوج﴾(١).

**والأديب- شاعرا أو ناثرا- أكثر الناس تأثرا بالطبيعة، وأشدهم تلاحما معها، ولصوقا بها، لإحساسه المرهف، وعاطفته الجياشة، لذا تأثر بمشاهد الطبيعة، وفتن بهذا الجمال الطبعي، فوصفها وسجلها قلمه، واتسع المجال في ذلك حتى لا يكاد يخلو ديوان شاعر – في أي عصر من العصور- من وصف الطبيعة.**

**والشاعر محمود عماد وصف جل ما وقع تحت عينيه من مظاهر الطبيعة المختلفة، وقد تجاوز الوصف بمعناه المجرد إلى التأمل العميق فيها مشاهدها، والتفكير الطويل في مفرداتها، فتأمل الساقية، والنخلة، والربيع وما يحدثه من تغيير في مظاهر الطبيعة المختلفة، كما تأمل مظاهرها الخلابة في البحر في سكونه وثورانه، ومياهه الصافية، وشروق الشمس، ومنظر الغروب، وتأمل الرياض والبساتين وما بها من أشجار وارفة الظلال، وأزهار ندية تنشر العبير الفواح الذي يملا الجواء بشرا وعبيرا،... الخ.**

**إن التأمل في الطبيعة مجال خصب لتنمية الشعور، ويقظة الإحساس، فهي مسرح التأملات، ومصدر الجمال الكوني، وترجمان القدرة الإلهية، ومنبع السعادة الإنسانية، ودليل كوني على وجود الخالق سبحانه(٢).**

---

(١) سورة ق: الآيات (٩ - ١١).

(٢) انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د/ صابر عبد الدايم، ص ١٠٩، ١١٥ ، الزقازيق، الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

من نماذج تأمل الشاعر في الطبيعة قصيدة (الساقية الجافة)(١)يقول:

برغمي أيتها الساقية ... وقوفك صامتة صادية
وبالأمس كنت تروين تلك الـ ... حقول بأمواهك الجارية
فتجري النضارة في زرعها ... وفي أهلها البشر والعافية
وكم قد أغارت عصافيرها ... أهازيجك العذبة الصافية

تأمل الشاعر هذه الساقية التي درست وعفا عليها الدهر، فراعه وقوفها صامتة قد أصابها الصدأ، وجارت عليها عوائد الزمن والحضارة، فراح يخاطبها ويبكيها، فهي التي كانت بالأمس تروي الحقول وتغمرها بمياهها الجارية العذبة، فتحيى مواتها، وتبعث في الزروع النضارة والجمال والبهاء، وفي مظاهر الطبيعة من حولها البشر والسرور والبهجة، فالأشجار تتمايل فرحا بالسقيا، والعصافير تغرد فرحة مسرورة، لا تبارحها التماسا للماء والظل والهواء والنسيم العليل.

ثم يعود الشاعر متأملا هذه الساقية يبكي مجدها الغابر، وما أصابها من عوائد الأيام، فقد تغيرت وتبدلت معالمها، ونال الدهر منها:

فأين تحول عنك ا لغدير ... وأين الهراوة والماشية؟
وأضراسك الصابرات الشدا ... د وهي اليوم من سوسها ماهية
وصفصافك الغض كيف استحا ... ل عصيا منكسةً جافية؟
يمر النسيم بها لا تميل ... وكانت تراقصه حانية
وتلقى العناكب منها سدى ... متينا للحمتها الواهية
كأنك في نسجها جثة ... تردت بأكفانها البالية

(١) ديوان عماد: ٥٨/١- ٦٠ . (من المتقارب).

وأن طنـــين الـــذباب تـــرا تيـل تُزجَـى إلـى روحـك النائيـة

لقد أمست هذه الساقية جثة هامدة لا حياة فيها ولا روح، بعد أن كانت تبعث في مظاهر الطبيعة من حولها الحياة، فتكسرت أضراسها، وتبدلت معالمها، وكانت هذه الساقية بجوار صفصافة كبيرة قد استحالت جذعا جافا هربت منه الغضارة والنضارة والخضارة، وعششت حولها العنكبوت، وقد كانت بالأمس يمر عليها النسيم فتتمايل فروعها، وكأنها تعانق بعضها بعضا معبرة عن بهجتها.

وقد انعكس تصوير الشاعر للساقية على الصياغة التعبيرية، فرسم صورتها قبل أن يجف ماؤها، ويستولي عليها الصدأ، فالصورة الأولى للساقية يبدو فيها: (الغدير، الهراوة، الماشية، الأضراس الشداد، الصفصاف الغض، النسيم الذي يمر على الصفصافة فيرقصها) تقابلها الصورة القاتمة التي استحالت فيها الساقية إلى جثة هامدة لا روح فيها: (هي اليوم من سوسها واهية، الصفصاف أمست عصيا منكسة جافة، عششت بها العناكب والذباب)، هذه المفردات والعبارات تكشف عن تأملات الشاعر الطويلة لهذه الساقية، وحزنه الشديد عليها، وإدراكه تغير الحياة وتبدلها.

ثم يرى الشاعر أن ما أصاب هذه الساقية من عوادي الزمن هو موت لها، تعز على تلك الناحية التي كانت تغمرها بالمياه، فكم من حياة ماتت بموت هذه الساقية التي كانت تبعث في مظاهر الطبيعة الحياة والبشر والسرور:

فـــنحن أمـــام وفـــاة، أجـــل وفـــاة تعـــز علـــى الناحيـــة

وإن حيـــاة هنـــا اليـــوم ماتـــت بموتـــك أيتهـــا الســـاقية

ألـــيس دليـــل الحيـــاة الكـــلا مُ؟! فكم قد خطبت على الرابية؟

وهل بعد موت سوى وحشة؟ أرى وحشة لك تغري بيه

إننا أمام قصيدة تأملية رائعة حقا، وأرى الشاعر وهو يتأمل هذه الساقية يرى فيها نفسه وقد طال به العمر، وأصابه الوهن فأسقط عليها مشاعره وأحاسيسه، وراح يناجيها ويخاطبها، وكأنه يرثي نفسه لا الساقية، فقد أحس بها وبغربتها، فهو يراها في وحشة تشبه وحشته بين معالم المدينة التي يعيش بها: (أرى وحشة لك تغري بيه).

ومن مشاهد الطبيعة التي تأملها الشاعر ووقف أمامها طويلا مشهد البحر، نراه يخاطبه ويناجيه، فيشكو إليه زوال الصبا، وتمكن الشيب منه، يقول في قصيدة (عودة إلى البحر)(١):

كل شيء فيك يا بحر كما كان جمالا

غير أني بعد لم أسحر فكيف السحر زالا؟

أنا قد غيرت أما أنت يا بحر فلا لا

فعل أعوام قصار كيف لو كانت طوالا؟

إن أيام الصبا يا بحر قد مرت عجالا

كخفاف الريش طارت ليتها كانت جبالا

لو عرفنا لعقلنا ها وأحكمنا العقالا

وملأناها كلاما وملأناها فعالا

يتأمل الشاعر البحر بمياهه الزرقاء الصافية فيراه ثابتا على حاله بجماله وسحره وروائه، بينما هو قد أصابته عوائد الزمن، وأثر فيه الشيب، فيخاطبه ويناجيه ويشكو إليه المشيب الذي داهمه على عجل.

(١) ديوان عماد: ١٢١/٢ . (من مجزوء الرمل).

وقد استعان الشاعر بالتشبيه الذي يرسخ المعنى ويؤكده ويقويه، فشبه انتهاء أيام الصبا ومروره بخفاف الريش التي طارت فلا يراها، ليؤكد ذهاب أيام الصبا سريعا، فليتها كانت جبالا ثقالا لا تستطيع التحرك، لذا يتمنى أن تعود مرة أخرى، ولو استطاع أن يعقلها خشية أن تمر لفعل، ولكن هيهات.

ثم راح الشاعر يتأمل في البحر وأمواجه وحركتها المتتابعة السريعة، ويأخذه التأمل في مشاهد الطبيعة من حوله، فيرى النجوم تغيب ثم تضيء ليلا، وتجف الحقول بعد أن كانت مخضرة زاهية، وتمسي هشيما تذروه الرياح، ثم تعود الأرض مخضرة زاهية مرة أخرى زينة للناظرين:

تذهب الأمواج في البحر وتأتي تتوالى
وإذا ما غابت الأنجم عادت تتلالا
ويجف الحقل حينا ثم يخضل اخضلالا
والصبا، ما للصبا لو زال يزداد زوالا؟
لا مناد حينما يمضي يناديه تعالا
صار ما كان جمالا فيك يا بحر جلالا

تأملات الشاعر في مظاهر الطبيعة تجعله يدرك ما يعتريها من تغير وتبدل، فهي تجف وتنضب فيأتي عليها الربيع فيبعث فيها الحياة بتقدير العزيز العليم، أما الشيب وأيام الصبا فلا تعود أبدا، والشاعر يبكي شبابه الفائت وأيام صباه، ويشكو للبحر أثر الشيب على نفسه، وفي هذا ما يكشف عن اندماج الشاعر بحسه وشعوره مع البحر ومشاهد الطبيعة من حوله.

وقد انعكست تأملات الشاعر على الصياغة التعبيرية، فوجدنا بروز الطباق في شعره: (تذهب/تأتي)، (غابت/ عادت)، (يجف/ يخضل)، وهو يكشف عن تأمل الشاعر الطويل في مظاهر الطبيعة من حوله، والوقوف على حقيقة واضحة، وهي أن مظاهر الطبيعة تتجدد، والخريف يتلوه ربيع، بينما عمر الإنسان لا يتجدد، والصبا يذهب فلا يعود أبدا: (والصبا، ما للصبا لو زال يزداد زوالا)، لذا فنفسه تذوب حسرة وتلهفا على ذهاب الشباب، وزوال الصبا.

وتأمل الشاعر الطبيعة في الربيع وما يحدثه فيها من تجديد وتغيير يبدو واضحا في قصيدة (سجدة على بساط الربيع)(١)، إذ نرى الشاعر يتأمل مظاهر الطبيعة في فصل الربيع وما يفعله الربيع بها من تغير وتبدل، فيتساءل متعجبا من هذا الصنيع العجيب:

كيف يا غصن جئت بالورق النضـ ـر وقد كنت عاريا في الشتاء؟
أفعند الربيع مصنع أورا قٍ، وفي الأرض حل أم في
إنما أنت ظافر طيلة العا م بطين وفْر الغذاء وماء
بيد أنا نراك تكسى شهورا وشهورا مجردا من كساء
لم تبدل غير الضياء فهل أو راقك الخضر بعض هذا الضياء؟
واختلاف الثمار شكلا ولونا ومذاقا، أخبطة العشواء؟
بعضها نافع وفي بعضها ضر وإن غيروا من الأسماء
فإذا ما يقال للتمر يا حنـ ـظل، ما حال طبعه في الغذاء؟
والرواء به الغصن يعدي كل ما حوله من الأشياء

(١) السابق:١/٣٤٠، ١٤١. (من الخفيف التام).

إن الاستهلال بأداة الاستفهام (كيف) ثم (الهمزة) يكشف لنا عن نظرات الشاعر الطويلة لمشاهد الطبيعة في الربيع، وتأمله العميق فيما يفعله الربيع في مظاهرها من تغيير واضح، فالشاعر يستهويه تغير أشكالها وألوانها، ويتعجب لهذا الأمر، لذا فهو يتساءل: كيف اخضرت الأغصان واكتست ورقا نضيرا، وكانت عارية طيلة الشتاء؟، وما هذا الاختلاف الواضح في الثمار، وأشكالها، وألوانها، ومذاقها؟ أهذا بنظام مقدر أم هو خبطة عشواء؟.

وقد أكد الطباق بين (تكسي/ مجردا)، (بعضها نافع / بعضها ضر) نظرات الشاعر الطويلة في مظاهر الطبيعة في فصل الربيع، وإدراكه هذا التغيير الذي أحدثه الربيع في مشاهدها، وفي النهاية تهديه تأملاته أن هذا التغيير إنما هو صنع الربيع بتقدير العزيز العليم:

أفهذا صنع الربيع جميعا وارتجال من طبعه المعطاء؟
أين هذا الربيع أجثو لديه ثم أثني عليه كل الثناء؟

ومن القصائد التأملية الجميلة وقوف الشاعر على طلل داره بالريف بعدما عاد من القاهرة إلى بلدته في الريف، وقد طال به العمر وأثر فيه الدهر واشتعل رأسه شيبا، وما راعه في ذلك أن داره في الريف قد أصابها الوهن كما أصابه هو، وإن بقي أريج الذكريات، ونسيم الصبا يذكره بأيام صباه الخوالي ونشأته الأولى بالريف، يقول من قصيدة (داري بالريف)(١):

أيها الدار فيك عهد تقضى حبذا العهد إنه كان غضا
يوم كنا نهب والزهر باك أمعن الطير فيه وخزا وعضا

(١) عود على بدء: ص ١١٣. (من الخفيف التام).

نرقب الصبح حين يدرج كسلا ن ثقيل الخطا يغالب غمضا
ونسيم الصبا يسر إلى النهر فيبدو مقطبا ثم يرضى
فيه تطفو أزاهر كالأماني بين موج الحظوظ حاولن نهضا

نداء حزين، وتحسر وأنين يكشفان عن حنين الشاعر لعهده الأول وأيام صباه في هذه الدار، أيام كان يتأمل في مشاهد الطبيعة من حولها، يتأمل الليل وهو يشد ملاءته السوداء، ويرقب الصبح وهو يكشف عن وجهه المضيء البراق باعثا في الحياة النشوة والسرور، والنسيم العليل يلاعب مياه النهر، والأزاهر المتفتحة حوله تزينه في منظر يبعث على البهجة يسر الناظرين.

وتأملات الشاعر لأطلال داره بالريف ووقفاته الطويلة أمامها جعلته يتذكر الأيام الخوالي التي مرت سريعا في أحضان هذه الدار وحماها الوريف، وقد رأى فيها نفسه التي هرمت، واستولى عليها الشيب، وولى عهد الصبا كما هو الحال لهذه الدار التي أمست طلولا دوارسا، عفا عليها الدهر، وأضناها البلى:

يا طلولا دوارسا رحمة الله على الظاعنين عانين أنضا
كم لنا في حماك من طفرات ساذجات ركضن في الدهر ركضا
أنت مثلي هرمت بعد شباب كيف ولى شبابنا وتقضى؟
فتَّ في عزمنا الزمانُ وأبقا نا جدارا يريد أن ينقضا
غير أن الحيا يبلّك في الشو ق كما بلّني بكائي أيضا
خرب الدهر ملعبا كنت أقضي في حماه الوريف ما كان يقضى
سنة الدهر أن يدبج قولا ويظن الرجوع في القول فرضا

**لـو يشـيم الوليـد مـا سـوف يلقـى  مـن صـروف الحيـاة مـا هـز نبضـا**

**وقـد اسـتعان الشـاعر بالتشـخيص فخلـع علـى مظـاهر الطبيعـة صـفات الإنسـان، فـالزهر يبكـي، والصـبح يصـحو مـن نومـه كسـلان ثقيـل الخطـا، ونسيم الصبا يبوح بأسراره للنهر، وهو يقطب وجهـه، ويغضب ثـم يرضـى، وهذه الدار قد ولى شبابها، وطال بها العمر، وسيطر عليها الهرم، وكأنها شيخ طاعن في السن، وهو مما يضفي على الصورة الحركة ويبث فيها الحياة.**

**إن مظاهر الطبيعة في هذه الصورة جاءت حية تنطق بما يريد الشاعر، لقد تأملها ونظر إليها نظرات طويلة متتابعة، وصبغها بحسه وشعوره، وحولها إلى شخوص يحاورهم ويبثهم ما يعتمل في نفسه من آمال وآلام، وفي هذا ما يؤكد عمق الاندماج بينه وبين الطبيعة وقمة الإحساس بها، ويضفي على الصورة الحيوية والحركة والإثارة والمتعة الفنية، ويؤدي إلى إقناع القارئ وإمتاعه(١).**

**إن المتأمل في شعر عماد يجد وصف الطبيعة والريف جلي الصورة، رائق المنظر، فهو يصبغها بمشاعره وأحاسيسه، ويرى فيها نفسه، ونرى الشاعر فيه يميل إلى الفكر العميق، الحزين حينا، والمبتهج حينا آخر،**

---

(١) ولجمال هذه القصيدة ووضوح الإحساس فيها اختارها عامر محمد بحيرى في دراسته لمحمود عماد. انظر: خمسة من شعراء الوطنية: ٢/ ٢٠٥، ٢٠٨ . واختارها الشاعر نفسه كنموذج من شعره ردا على المكتوب الذي أرسله إليه أحمد عبيد يطلب فيه شيئا من شعره . انظر: مشاهير شعراء العصر ص، ٣٠٧، ٣٠٨.

**وهو في كلتا الحالتين بعيد الغور، يغوص وراء الحكمة، يستخرجها ويعرضها على الأنظار جميلة براقة تسر الناظرين(١).**

**يقول الأستاذ عبد الفتاح الديدي: "وإذا كانت ظاهرة العمق قد تمثلت في شعر الأستاذ عماد بوضوح فقد جاء هذا ملائما لما فيه من طبيعة النزوع إلى التأمل ولما في عينيه من بريق التطلع والنظر... فالأستاذ عماد وصاف من الدرجة الأولى، وقواه الفنية التي يلتقط بها شكول الحياة ومشاهد الطبيعة هي أبرز ما في شعره، والمقدرة الفائقة التي استحوذ عليها في معرض الوصف إنما جاءت من باب العناية بالتأمل والنظر"(٢).**

**إن الطبيعة تعد رافدا أساسيا في حقل التجربة التأملية، لذا جاءت قصائد الطبيعة متربعة على عرش ديوان الشاعر(٣)، وقد قادته تأملاته في مشاهدها إلى إدراك الجمال فيها، ووقوفه على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، والاعتراف له بالربوبية والوحدانية، وهذا يتماشى مع التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة.**

**فالدعوة إلى تملي مظاهر الجمال في الطبيعة قائمة، والحث على التأمل في مشاهدها وارد في آيات كثيرة في القرآن الكريم – كما ذكرت– بهدف**

---

(١) انظر: خمسة من شعراء الوطنية: ٢/ ٢٠٤ .

(٢) عود على بدء: ص ٢٤ .

(٣) انظر نماذج أخرى لتأمل الطبيعة: ديوان عماد ٣٧/١، ٧١ ، ٨٨ ، ١٠٣،١١١، ١٤٥، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٧٦، ٣٤٠، ٣٦١ ، ٣٦٩، ٢/ ٤٨، ٨٩، ١١١،١٢٥، ١٤٥، ١٥٥، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٠، ١٩٧، ٢٠٩، عود على بدء: ص ٥٧، ١٢٦، ١٣٣.

ترقية المشاعر، وتهذيب الأحاسيس حتى تسمو وترق ادراكاتها، فتقف على عظمة الإبداع، وقدرة الخالق سبحانه، وحكمته(١).

## خامسا- التأمل في المرأة

المرأة عند محمود عماد مخلوق رقيق، يتسم بجمال روحي يعلو به عن سائر البشر، وهي رمز للطهر والصفاء والجمال، والخير والعطاء، وكل جميل في هذه الحياة، لذا فهو يتأملها محاولا أن يحافظ على هذا الجمال الروحي.

وقد أحب عماد في المرأة جمالها الروحي، وجاءت قصائد كثيرة في ديوانه تؤكد تأمله هذا الجمال، وتنادي المرأة بالالتزام بالجمال الطبعي، والمحافظة على جمالها الروحي، وتأملاته إليها بهدف تقويمها، وصيانتها من التبذل، ووضعها على الدرب الصحيح الذي يتسق وتعاليم الإسلام القويمة، ويتفق مع الفطرة السليمة التي فطرها الله عليها.

من القصائد التي يتأمل فيها الشاعر جمال المرأة، قصيدة (بنت عشر)(٢) وفيها نرى الشاعر يتأمل فتاه صغيرة وسط مشاهد الطبيعة الغناء في الريف، يقول:

بين خرير الجدول ... وبين همس السنبل
وقفت أسأل الصبا ... في ثوبها المبلل
هل قابلتها طفلة ... رقيقة المقبل؟
ذاتُ حياء معجب ... وحور ونجل

(١) انظر: مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم (القسم الثاني): د/ أحمد محمد علي حنطور، ص ٢٣ وما بعدها، مطبعة التركي بطنطا، ١٩٩٠م.
(٢) ديوان عماد: ٣٥/١ . (من مجزوء الكامل).

تنمى إذا هي انتمت لمنزل مبجل

هذي البنات أقبلت فما لها لم تقبل؟

إن مسرح الأحداث يكشف لنا عن نظرات الشاعر المتتابعة لهذه الفتاة الصغيرة وتأمله إياها؛ يؤكد ذلك المفردات التعبيرية (وقفت، أسأل، ذات حياء، حوَر، ونجَل، تنمى لبيت مبجل)، هذه الصياغة التعبيرية تشف عن نظرات طويلة لهذه الطفلة، وأن الشاعر هام بها وراح يفكر فيها، ثم يصرح أنه كاشفها بحبه لها، وراح يصفها وصفا دقيقا، فيقول:

سألتها إلمامة كأنني لم أسأل

واها لها إن بعدت وإن دنت فالويل لي

يا حبذا وقفتها مشغولة لم تشغل

بقدها وجيدها وخدها المجمل

وطرفها يلعب بي لعب الصبا بالسبل

مدلة مضللة بشعرها المضلل

والشمس من غيرتها قد وقعت فيما يلي

وأرسلت لعابها يصبغ وجه الجدول

لقد تأملها الشاعر حتى أخذت بمجامع قلبه مع صغر سنها، تأمل قدها، وجيدها، وخدها، وطرفها، وشعرها الطويل، وجمالها الفتان، وكأنها زهرة جميلة في بستان نضير، إنه مفتون بهذه الطفلة.

إن ارتباط هذه الصورة بالطبيعة يضفي عليها حيوية وحركة، ذلك أن الشاعر خلع على مظاهر الطبيعة المحيطة بموقع الأحداث الصفات الإنسانية، فالشمس تغار من جمال هذه الفتاة، ولها لعاب ترسله على

مياه الجدول فتضيء صفحته، والجدول له وجه قد صبغته الشمس فأضاء ولمع، هذا التشخيص أضفي على الصورة الحيوية، وبث فيها الحياة.

ثم يؤكد الشاعر أن هذه الفتاة قد ملكت عقله وسحرت لبه، مع صغر سنها وطفولتها التي لا تعرف هذا النوع من الحب الذي يعنيه الشاعر، يقول:

بي خدُّها مورَّدا ... على القميص المخملي

وسمعها مشرّدا ... إن قلت أو لم أقل

وفكرها مبددا ... أَجِدّ أو إن أَهزِلِ

وكيف تدري أنها ... تعلّتي وشغلي

عارية الساقين من ... قميصها المختزل

تنظر لي في دهشة ... إن ابتدئ في الغزل

إن تأمل الشاعر لهذه الفتاة جعله يدرك أنه لو كاشفها بحبه فلن يشفي ذلك غلته، ذلك أنها لا تفهم ما يدور في خلده، وقد عرف ما يجول في خاطرها من توجس، وقلق، ودهشة مما تراه من هذا الذي يكبرها بسنيين، وهي لا تعي شيئا مما يدور في ذهنه.

إنها قصيدة تأملية طريفة، تتسم بالبساطة والسذاجة، بساطة في التعبير، وسذاجة في المشاعر، وسلبية في التجارب، إذ يعجب بفتاة في العاشرة من عمرها(١). وهي قصيدة تنضح بالشاعرية، اجتمع فيها جمال الطبيعة، وجمال المنظر، وجمال المرأة، وقد بدت فيها مشاعر وأحاسيس الشاعر

(١) انظر: مجلة الثقافة، القاهرة ، العدد ٧٥ ، ديسمبر ١٩٦٤م، الأبعاد الإنسانية في ديوان عماد: سعد محمد أبو الرضا، ص ١٤.

الرقيقة المرهفة، يغلفها ذلك الإطار الطبعي الذي وصف فيه الشاعر الطبيعة بمشاهدها الخلابة التي تمس شغاف القلوب.

وفي قصيدة (عابرة)(١) يحدثنا الشاعر عن حسناء مرت به فأخذت بمجامع قلبه، وراح يحكي هذه التجربة، مستهلا قصيدته واصفا هذه الحسناء:

حسناء مسبلة الشعو ... ر على محياها النضير
يا من رأى الصفصا ... فة انسدلت على وجه الغدير
مرت به صبحا كنسمة ... روضة تشفي الصدور

إن تأمل الشاعر هذه الحسناء وجمالها، وشعرها ينسدل على وجهها، تداعي ذلك مناظر الطبيعة الخلابة، فرأى خصلات شعرها وهي منسدلة على خدها الأسيل كفروع الصفصاف على وجه الغدير، وهو منظر بديع يسر الناظرين، وهذه الجميلة مرت سريعا كأنها النسيم يشفي الصدور. ويبدو أن جمال هذه (العابرة) أثر في نفسه تأثيرا بالغا جعله يتأمل الجمال، فيقول يحدثنا عن أثره في نفسه:

يا للجمال تراه يد ... ري أنه حدث كبير؟
لو كان يدري ما أوى ... يوما إلى مأوى حقير
في برج سوف يغـ ... ـرب ذلك النجم العبور؟
وعلى مروج ضوؤه ... يلقى هنالك أم صخور؟
تمضي النجوم لشأنها ... والصائبون إلى السعير

(١) عود على بدء: ص ٦٣- ٦٥. (من مجزوء الكامل).

إن تأمل الشاعر للجمال جعله يراه شيئا عظيما لا يظهر كنهه إلا للمتأمل الذي يدرك حقائق الأشياء، وهذه (العابرة) ربما لم يستطع الشاعر أن يتأملها أو ينظر إليها طويلا، لكن جمالها فتق عنده نوازع الشاعرية والإحساس بالجمال، فراح يتأمل الجمال ويرسل هذه الصيحة الشعرية التي يؤكد فيها أنه موجود في كل شيء، لكن لا يدركه إلا المتأمل.

فلعماد فلسفته الخاصة في الجمال، هذه الفلسفة لا تأتيه إلا بعد تأمل عميق للشيء الذي يتأمله، وله نظرته المختلفة للمرأة، لذا فهو ينتقدها عندما تحاول أن تطمس جمالها الطبعي وتغير فيه، وتخرج عن الفطرة التي فطرها الله عليها، راح الشاعر يتأمل الجمال فيراه يذهب وينتهي كغيره في هذه الدنيا التي لا تبقي على شيء، يقول من قصيدة (المتصابية):(١)

أجميلة الأمس اخلعي ... لجميلة اليوم الوسام
إن الجمال كغيره ... عارية بين الأنام
سيان ساكنة القصور ... به وساكنة الخيام
أرضتك أعوام مضت ... أيكون هذا كل عام؟
تجديد حسنك جائز ... لو جاز تجديد الحطام
أرأيت لو عود البشام ... يجف هل يزكو البشام؟
لو كان ماضينا يعو ... د لكان حاضرنا أقام

خطاب رقيق تغلفه التؤدة والرفق يتوجه به الشاعر لهذه المتصابية التي تظن أن الزمن لا يأتي عليها، ولا يؤثر فيها، فيؤكد لها أن الجمال في المرأة شأنه شأن كل شيء في هذه الحياة، يزول وينتهي، وقد كشفت

(١) ديوان عماد: ٧٣/٢ .(من مجزوء الكامل).

الصياغة التعبيرية عن مراد الشاعر وساعدت على ترسيخ الفكرة في يسر وسهولة، فقد اعتمد على التضاد الذي أبان عن غرضه: (جميلة الأمس/جميلة اليوم)، (ساكنة القصور/ ساكنة الخيام)، (لو كان ماضينا يعود/ لكان حاضرنا أقام)، هذا الضدية تؤكد تغير الزمان، وتبدل الأيام وأن الدهر لا يدوم على حال واحدة، كما تكشف عن المعنى الذي أراده الشاعر، وتؤكد الفكرة في ذهن المتلقي.

كما استعان الشاعر بالاستفهام الذي يكشف عن فكرته ويجليها، ويؤكد المعنى ويقويه ويرسخه في ذهن المتلقي: (أرضتك أعوام مضت، أيكون هذا كل عام؟)، (أرأيت لو عود البشام يجف هل يزكو البشام؟). وهو استفهام يشف عن ذهاب الصبا، وأنه لا يدوم، وأن الشيب لا بد يأتي على المرء منذرا باقتراب أجله.

وفي النهاية يوصي الشاعر هذه المتصابية بالرضا بقضاء الله –تعالى– وقدره، فهذه هي طبيعة الحياة، كل ما فيها إلى زوال وانتهاء:

هذا ختام إن يسؤ ... ك فإنه حتم لزام
فتقبليه في وقا ... ر مستحب واحتشام
وتجملي بالصمت فهو ... معبر مثل الكلام
ما أنت أول روضة ... جفت وفارقها الغمام
كالأمس شمسك أطفئت ... فعليك كالأمس السلام

رضا واستسلام لهذا القدر المحتوم المقدر على كل حي في هذه الدنيا، والشاعر في رفق وهوادة ولين يوصي هذه المتصابية بالرضا والاستسلام التام لما قضى الله وقدّر:(فتقبليه، وتجملي)، ثم يؤكد لها أن الأيام تمر وتغيب شمسها فكذا العمر يفوت وينتهي.

إنها فلسفة خاصة بالشاعر حين يتأمل ذلك النوع من النساء اللائي يظن أن العمر لا ينتهي وأن الزمن لا يأتي عليه، فهو يرق لها في الخطاب ويأخذ بيدها لمعرفة الحقيقة التي لا مفر منها، وهي أن جمالها يذهب ويزول كما ينتهي كل شيء في هذه الحياة، وهذه الفكرة تتلاءم مع التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة، وتنادي بالرضا بقضاء الله- تعالى- وقدره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرِ﴾(١).

وفي قصيدة (الجمال العصري)(٢) تهديه تأملاته إلى نقد تلك المرأة العصرية التي بهرتها بعض السلوكيات الغربية، فراحت تلهث وراءها، حتى فسدت أخلاقها، وخرجت عن الفطرة التي فطرها الله عليها، لقد أرسلت تلك المرأة العصرية أظفارها فصارت لها مخالب كمخالب الوحوش، كما قصت شعرها وغيرت خلق الله تعالى، يقول:

قل للجميلة أرسلت أظفارها ... إني لخوف كدت أمضي هاربا
إن المخالب للوحوش نخالها ... حتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس أنت قصصت شعرك ... ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا
وغدا نراك نقلت ثغرك للقفا ... وأزحت أنفك -رغم أنفك-جانبا
من علم الحسناء أن جمالها ... في أن تخالف خلقها وتجانبا
إن الجمال من الطبيعة رسمه ... إن ندَّ خط منه لم يك صائبا

(١) سورة الروم: الآية (٥٤).
(٢) ديوان عماد: ١٢٩٥. (من الكامل التام).

نزعة أخلاقية نابعة من أخلاق الشاعر القويمة، فهو لا يرضى للمرأة أن تكون دمية مصبوغة من الخارج، يلعب بها من يقتحمون خدرها، ويفضحون سترها، من مروجي الموضة التي تخالف شرعتنا وديننا.

إن الشاعر يعشق الجمال الطبيعي، ويرى أن جمال المرأة أن تبقى كما خلقها الله سبحانه لا تغير في شكلها ولا مظهرها، وهي نزعة تتماشى مع المنهج الإسلامي الصحيح، ودعوة إلى التمسك بأخلاق الإسلام السامية، وشرائعه القويمة الحكيمة، وصيانة المرأة من التبذل والانكشاف والاستهتار، ونبذ سلوكيات وعادات وموبقات الحضارة الغربية، بما تتضمن من انحلال ومادية والحاد، وكلها تتصادم مع التصور الإسلامي القويم.

فإذا كان من أهداف الإسلام الارتقاء بالإنسان نحو المثل العليا والفضائل السامية، والسلوك القويم، فإن من أهم غايات الفن الجيد أن يحقق هذه الأهداف ويدعو إليها "فالفنان مطالب بأن يجعل الفضيلة محببة، والرذيلة منكرة، وهو مطالب –أيضا– بأن يناهض انحلال الأخلاق، ولهو الطائشين وانغماسهم في الملذات، وذلك بتصوير فضائل الحياة الأسرية الوطيدة، وعرضها على أنها هي الأكمل والأفضل"(١).

إن تأمل الشاعر لهذا النوع من النساء جعله يتعجب كل العجب لتغييرهن خلق الله، ولخروجهن عن الفطرة التي فطرهن الله عليها، وقتلها ذلك الجمال الطبعي، فجمال المرأة في أن تظل على طبيعتها وفطرتها، فلا تطيل ظفرا ولا تزجج حاجبا، ولا تقص شعرا، فهذا كله يخالف الفطرة، ويأتي على جمالها، ويذهب بأنوثتها.

---

(١) الالتزام في الشعر العربي: أحمد أبو حماقة، ص ٢٢، ٢٣، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى ١٩٧٩م.

والنزعة الأخلاقية المسيطرة على الشاعر فرضت عليه تأمل هذا النوع من النساء، فتأمل كثيرا في المرأة ورفض منها السلوكيات التي تتصادم مع الشريعة الإسلامية، ويأباها الذوق السليم، وترفضها الفطر السليمة والعادات الأصيلة، والأخلاق الكريمة، فهو يحب الجمال ويعشقه لذا ينادي بالمحافظة عليه ناضرا مزهوا نديا، ولا يرضى له أن يهان أو أن يبتذل.

يؤكد تلك النزعة الأخلاقية في قصيدة (الحسن الزائف)(١)، حيث يتأمل تلك المرأة التي تزيف جمالها الذي خلقها الله عليه بالأصباغ والألوان على وجهها، ظنا منها أن ذلك يزيدها جمالا، وما هو بجمال إنما هو شيء مصنوع، لقد جعلت من نفسها دمية تغري الناظر بشكلها البراق اللامع، ولكن لا روح فيها، يقول:

عجبت لغادة حاكت نقابا ... من الأصباغ للخد الأسيل
فتاهت روحها فيه وغابت ... غياب الشمس في الغيم الثقيل
وصارت دمية تغريك لونا ... ولا تنبيك عن سر جليل
رويدك يا فتاة وحدثينا ... عن الدم لا عن الجلد الذليل
نريد الروح في حسن وقبح ... فجليها عن الترب المهيل
لحي شأنه أوفى متاعا ... إلى العينين من ميت جميل
وحسن زائف أقوى نبوّا ... عن الأذواق من قبح أصيل

هذه هي فلسفة عماد، وهذه هي نظرته للمرأة، إنه يريد الروح لا الجسم، والمخبر لا المظهر، وهذه الفلسفة نابعة من تأملاته وأخلاقه التي ترى القبيح قبيحا والجميل جميلا حلوا رائقا، وقد تعجب من هذه المرأة التي

(١) ديوان عماد: ٢٠٩/١ . (من الوافر التام).

تاهت روحها وسط الألوان والطلاء، فالحسن الزائف تنفر منه الأذواق السوية أكثر نفورا من القبح الحقيقي.

وقد عبرت الصيغ التعبيرية عن الصورة التي يتمناها الشاعر للمرأة والتي تتضح في الكلمات: (غادة، روحها، الشمس، فتاة، الدم، الروح، حسن، الأذواق، العينين) تقابلها الصورة التي يرفضها وتأباها الفطر السليمة، تكشف عنها الكلمات:(الأصباغ، الغيم، دمية، الجلد الذليل، ميت جميل، حسن زائف)، هذا هو مراد الشاعر، إنه ينشد الطبيعة والفطرة التي فطرت عليها المرأة، ويدعو إلى الجمال الروحي الذي ينطوي على المخبر الأصيل، وهذا مما يوفر لها الصيانة والمهابة والوقار في نفوس الرجال، حتى لا يطمع فيها من في قلبه مرض، ويحافظ على أنوثتها، وهي دعوة تلتزم تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

إن محمود عماد تأمل المرأة وتأمل جمالها، وأحب جمالها الروحي، وجاءت قصائد كثيرة في ديوانه تؤكد تأمله هذا الجمال، وتنادي المرأة بالالتزام بالجمال الطبعي، والمحافظة على جمالها الروحي، بهدف تقويمها، وصيانتها من التبذل، ووضعها على الدرب الصحيح الذي يتسق وتعاليم الإسلام القويمة، ويتفق مع الفطرة السليمة التي فطرها الله عليها(١).

إن تجربة عماد التأملية جاءت شاملة؛ فتأمل في الكون والوجود، والحياة والموت، ونظر إلى مشاهد الطبيعة وتأملها وافتتن بها، كما تأمل في

(١) انظر نماذج أخرى لتأمل الشاعر المرأة : ديوان عماد: ١/ ٥٤، ٨٩، ١٠٤، ١٢٣، ١٣٥،١٤٤، ١٥٣، ١٦٠، ٢٤٢،٢٥٧، ٢٧٤، ٣٠٦ ، ٣٢٧، ٣٤٦، ٨٩/٢ ، ١٢٣ ، ١٩٥، ٢٠٦، عود على بدء: ص٦٣ ، ٦٥ ، ١٣٨.

**المرأة وجمالها، وقد جاءت التجربة التأملية في شعره متوائمة مع شعوره وأحاسيسه فلم تنفصل عن نفسه وعواطفه، وإنما جاءت موافقة معبرة عن خلجات نفسه، امتزجت فيها العاطفة مع الفكرة، والمشاعر والأحاسيس مع التأمل، "ومهما تكن التجربة عاطفية شعورية فإنها لا تعزف قط عن الفكر الذي يصحبها وينظمها، ويساعد على تأمل الشاعر فيها، إذ أن التعبير الشعري مناف للتعبير المباشر، ولا ينجح الشاعر في التعبير عن تجربته حتى تصير أفكاره الذاتية موضوعية، بأن يجعله موضوع تأمله"(١).**

(١) النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال ص ٣٦٣، طبع نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٥م.

# الفصل الثالث :الصياغة التعبيرية

## مدخل: اللغة وأهميتها

اللغة هي الأرض الخصبة التي تنمو فيها بذرة العمل الإبداعي، وهي الوعاء الذي يصب فيه الأديب – شاعرا أم كاتبا– أفكاره ومشاعره، وهي الأساس الأول للتعبير، وهي وسيلة الإبانة عما في النفوس، إنها "الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير"(١).

وعلى الشاعر أن يتخير من الألفاظ ما يفي بغرضه في نقل تجربته الشعرية، ويناسب حالته الشعورية، ويعينه على تصوير مشاعره وأحاسيسه، فينأى عن التعبير المباشر والسطحي، بحيث يتخطى المعنى المعجمي للكلمة إلى ما تشعه الكلمة من ظلال وإيحاءات ودلالات تتميز بها لغته الشعرية.

وتظهر مقدرة الشاعر الفنية في اختيار اللفظة الدقيقة الموحية التي تتواءم مع المعنى الذي يود التعبير عنه، والفكرة التي يروم إبرازها، فيتخير اللفظة المناسبة التي تفي بغرضه، وتقوي الفكرة وترسخها في ذهن المتلقي، وتكشف عن هدفه من أيسر طريق، حتى يتهيأ لشعره التأثير والانفعال المطلوب.

والمتأمل في شعر محمود عماد التأملي يجد أن الشاعر عبر عن تجربته في قالب أدبي أخاذ، ينبئ عن انفعال حقيقي، وإحساس حي بالموقف الذي يعالجه، والفكرة التي يعبر عنها، وقد استخدم مفردات تتناسب مع

---

(١) لشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: د/ عز الدين إسماعيل ص ١٧٣، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة ١٩٦٦م.

موضوعات التأمل، وتتسم بالدقة، وتدل على المعنى من أقرب طريق وأيسره، وتبلغ المتلقي الفكرة في يسر وسهولة.

## أولا: المعجم الشعري

يتميز أسلوب محمود عماد برقة الألفاظ وسهولتها، فلا تكلف فيه ولا تعقيد ولا تقليد أيضا، فالبساطة ديدنه والرقة طريقه، والسهولة لغته ومذهبه، لذا وجد شعره الطريق إلى النفوس، وقد جاء المعجم الشعري عند محمود عماد على هذه اللغة المعاصرة السهلة القريبة من الإفهام، المعبرة عما في نفسه في يسر وسهولة.

من نماذج ذلك ما جاء في قصيدة الضمير، وهي من القصائد التأملية التي تؤكد تأملات الشاعر في الحياة والناس، يقول:

يموت عسرا لكي يحيا أخا شرف ... في بلدة لا تراعي قيمة الشرف
لا يبتغي الشكر إلا من سريرته ... وقلَّ ذلك فيما نال من تلف
يا لابس الماس ما تجديك قيمته ... إن كان في عرف هذا الناس
إن الكرامة في الأشياء ضائعة ... حتى تفوز بنقاد ومعترف
وأنت وحدك تدري قدر منفعة ... أبيتها بين سخر القوم والصلف(١)

الضمير عند شاعرنا هو ميزان الرجل، بل هو ميزان الحياة، وهو الأصل في كل فعل وقول، والكرامة ليس لها قيمة حتى تجد من يقدرها حق قدرها، فالشيء النفيس لا قيمة له إن كان في عرف الناس حقيرا لا يجد من يقدره حق قدره.

وقد توسل الشاعر لنقل هذه التجربة التأملية بألفاظ واضحة سهلة معاصرة بعيدة عن التعقيد والغرابة، فنجد مثلا الألفاظ والعبارات: (يموت، عسرا،

(١) ديوان عماد: ٢٧/١ . (من البسيط التام).

يحيا، قيمة الشرف، لا يبتغي الشكر، سريرته، لابس الماس، تجديك قيمته، عرف الناس، الخزف، الكرامة، ضائعة، تفوز، نقاد، معترف)، وهي ألفاظ سهلة واضحة دقيقة معاصرة تفي بالغرض، قريبة من النفوس، وقد أدت مراد الشاعر وكشفت عن تأمله الواضح في الحياة.

ومن ذلك– أيضا– قول الشاعر من قصيدة (المقربون والمبعدون):

ماذا أفادهم الغنى لو دققوا إلا الذي في حوزة الفقراء
هل أطعموا ما زاد عن أمعائهم أو ألبسوا للجو غير وقاء
في العيش أغراض ألذ تذوقا لم تتصل بالعُدمِ والإثْراء
لم تنكشف إلا لأذواق سمت وتخلصت من سطوة الأمعاء(١)

تأملات نابعة من الحياة تؤكد أن الغنى غنى النفس، والقناعة بما قسمه الله للمرء والرضا به، ففي الرضا الراحة والاطمئنان، وقد عبر الشاعر عن تجربته التأملية بألفاظ سهلة بسيطة:(أفادهم الغنى، دققوا، حوزة الفقراء، زاد عن أمعائهم، الجو، وقاء، العدم والإثراء، الأذواق، سطوة الأمعاء) وهي ألفاظ واضحة بعيدة عن الغرابة والتكلف، وهذا هو سمت الشاعر في جل شعره.

ومن نماذج اللغة السهلة المعاصرة – أيضا– قول الشاعر في قصيدة (قصر معطل):

قل لمن يحسب السعادة رهنا بحطام، أكبرت شأن الحطام
إنما هذه السعادة حق لضمير في راحة وسلام

(١) السابق: ٦٢/١ .(من الكامل التام).

غاب هذا الضمير في ثوب ملك أو بثـــوب القصـــاب والفحـــام(١)

يرى الشاعر السعادة في راحة البال، وراحة الضمير فمن بات سالم الضمير بات قرير العين، قد ملك زمام السعادة، وقد عبر الشاعر عن تأملاته بألفاظ واضحة سهلة، معاصرة، قريبة من الإفهام: (السعادة، رهنا، الحطام، راحة وسلام، ثوب، ملك، القصاب، الفحام) وقد أدت المعنى الذي أراده وكشفت عن تأملاته في الحياة.

وقد شاعت هذه اللغة أو هذا القاموس اللغوي المعاصر، السهل الواضح، البعيد عن الغموض والإبهام في شعر عماد التأملي؛ وأسجل هنا بعض هذه المفردات والعبارات المعاصرة التي منها: في قصيدة (الضمير)(٢) الكرامة، الشرف، الماس، الخزف، الترفيه، الترف، الدر والصدف، العلف، التعفف، عطلوا، القانون، وفي قصيدة (الساقية الجافة)(٣)، الساقية، صادية، الهراوة، الماشية، أضراسك الشداد، من سوسها ماهية، صفصافك، الذباب، وفي قصيدة (الزمن) (٤) قطار، قاطرة ،عجلات، الآلة الصافرة، محطات، ومن ذلك أيضا: قضايا منطق، ذرة، زورق، الكيمياء، الكهرباء، برنامج، خوفو، الأصباغ، الشرق والغرب، ونماذج هذه اللغة كثيرة تكشف لنا عن شيوع هذه اللغة المعاصرة في شعر عماد التأملي.

وقد شاعت في معجم الشاعر ألفاظ ومفردات وعبارات تؤكد على تأملات الشاعر، فنجد ألفاظ الحديث عن الكون والوجود: الوجود، الكون، أقطار

(١) السابق: ١/٢٥٥ .(من الخفيف التام).
(٢) السابق: ١/ ٢٧ .
(٣) السابق: ١/ ٥٨ .
(٤) السابق: ١/ ٢٧٨ .

الوجود، الثرى، سر الوجود، لغز، الغد، الزمان، السكون الكبير، آفاق، كوكب، الجرم، الأرض، النجوم، جميع القوى، روح الكون، النجم، كوّره، أين استقر، محيط مقره، أقطار الوجود، الكون الحفيل، الكون أقدس معبد، اجتلاء، برنامج الوجود، انتهاء، الفناء.

وهي تكشف عن تأملات الشاعر الطويلة في الوجود والكون، ومحاولته معرفة سر الوجود، والوقوف على حقيقة الكون، واعترافه التام بأن لهذا الكون خالق بديع وهو الله سبحانه.

**كما كثرت الألفاظ المتعلقة بالحياة والموت**: الحياة، الموت، الفناء، الممات، القبر، القابر، الدنيا، الأخرى، نموت، نحيا، نعش، الدار، الحياة، الوفاة، الأولى، الأخرى، الفلاة، الخلود، البقاء، الأزل، الميتة، قضاء، ثوى، البلى، يبلى، يحيى الجسد، انتهاء، موتي، جثتي، تبتعث البرايا، ألقى ربي، فارقت، سيطوى، الأيام تبقى، الميتة الكبرى، موتانا، نشيع، الثرى، الروح، انتزعت، الخير، الشر، الجمال، القبح، البر، الفاجر، الملهى، الرغام، وغيرها.

هذه الألفاظ توحي بتأملات الشاعر الطويلة في الحياة والموت، فهو ينظر للحياة متأملا فيها وفي الناس، وينظر للموت متأملا باحثا عن حقيقته ومعرفة سره، وما تخبئه له الحياة الأخرى، كما تكشف عن إيمان الشاعر بالموت وأنه حق يأتي على كل حي.

**كما برزت الألفاظ والتراكيب التي تدل على تأمل الشاعر الطبيعة والوقوف على عظمة الخالق سبحانه في خلقه**: البحر، الأمواج، المياه، الهواء، النسيم، الأنجم، الشمس، غروب، الربيع، الشجر،

الشتاء، الصيف، الدار، الصبح، العصفور، النحلة، الكواكب، وغيرها من الألفاظ التي تؤكد تأملات الشاعر في الطبيعة ومشاهدها الفاتنة.

إن هذه اللغة السهلة الواضحة، وهذا الأسلوب المعاصر هو ديدن الشاعر ومنهجه وطريقه؛ فقد كان يؤمن بأن الشعر هو فن الحياة، لا تكلف فيه ولا تعقيد ولا تقليد، وأن الشاعر الذي يتزيا بزي غيره لمجرد التقليد يأخذ بأيدينا إلى الوراء، فالبساطة، والرقة، والوضوح، والمعاصرة هي عماد الجمال في الشعر، بل في الفن عموما.

يقول محمود عماد عن شعره: "أما الأسلوب اللفظي فأراني آخذا برأي القائلين بالسهولة والبساطة ولكن في متانة واتساق، أما اتجاهي بالذات بين الشعراء الذين عاصروني فهو تمصير الشعر أي جعله شعرا مصريا بحتا لا تقليد فيه للشعر العربي أو الشعر الإفرنجي، فأنظم مستقلا بتفكيري وتعبيري في حدود بيئتي وزماني"(١).

ومع شيوع هذا الأسلوب المعاصر واعتماد الشاعر عليه، فقد وردت في شعره بعض الأساليب والمفردات التراثية، ومنها ما جاء في قصيدة (داري بالريف):

| | |
|---|---|
| أيها الدار فيك عهد تقضى | حبذا العهد إنه كان غضا |
| يوم كنا نهب والزهر باك | أمعن الطير فيه وخزا وعضا... |
| ونسيم الصبا يسر إلى النهر | فيبدو مقطبا ثم يرضى... |
| يا طلولا دوارسا رحمة الله | على الظاعنين عانين أنضا(٢) |

(١) الأسس المعنوية للأدب: ص ١٤٧.

(٢) عود على بدء: ص ١١٣ .

فنجد الألفاظ (طلولا، دوارسا، الظاعنين، حبذا، غضا، وخزا) وهي ألفاظ تراثية، وليست معاصرة، وقد جاءت تتعانق مع بعضها لتفي بالغرض الذي أراده الشاعر، وهو التأكيد على حنينه إلى داره بالريف التي هرمت وعفا عليها الدهر، وكأنه يرى فيها نفسه التي تمكن منها الهرم، وسيطر عليها المشيب.

كما نجد هذه اللغة التراثية -أيضا- في قصيدة (في حضن الطبيعة)، يقول فيها:

ونافحة تهب من الشمال ... لها سير عن الماء الزلال...

تذكرني على الزيتون عصرا ... رعاه الله في العصر الخوالي...

وكنا كالمها شامت غديرا ... خلال العشب يلمع كالنصال(١)

فالألفاظ (نافحة، الخوالي، المها، النصال) ألفاظ تتصل بالتراث، وردت في الشعر العربي القديم، وهي تؤكد اتصال الشاعر بهذه اللغة التراثية واعتماده عليها في تجربته التأملية.

هذه اللغة التراثية قليلة في شعره، وهي تكشف تعلق الشاعر بالتراث وتأثيره فيه، وحسن توظيفه للمفردة التراثية المناسبة لتجربته التأملية، واعتماده هذه اللغة في صوغ تجربته التأملية، كما لا تنفي أن الشاعر اعتمد الأسلوب المعاصر، واللغة السهلة الواضحة -كما ذكرت.

## ثانيا – أساليب التعبير

استعان الشاعر بأساليب اللغة المختلفة التي وظفها لتكون أسلوبه الخاص في الكشف عن التجربة التأملية، والمعاني التي يرومها وتجسيدها، وإثبات الفكرة، ووضعها في حيزها الملائم من الأسلوب،

(١) السابق: ص ١٣٣.

والتعبير عما يختلج في نفسه من انفعالات وتصورات، وما يجيش في صدوره من مشاعر وأحاسيس. ومن هذه الأساليب:

## ١- أسلوب الاستفهام

هو وسيلة من وسائل التعبير، يتخذها الكاتب سبيلاً لتثبيت الفكرة في نفس القارئ، وتلويناً لطرق الأداء في التعبير عنها، وإغراء المتلقي، ولفت انتباهه.

وقد شاع أسلوب الاستفهام في شعر عماد حتى بدا ظاهرة واضحة غالبة على أكثر شعره التأملي، إذ دفعته نظراته الطويلة وتأملاته العميقة إلى تساؤلات عديدة حول حقيقة الوجود وأصله، وحقيقة الموت، والكون، والحياة، والطبيعة، وغيرها.

من نماذج الاستفهام قول الشاعر في قصيدة (تأملات في الكون) متسائلا عن وجوده في هذه الحياة:

من أين يا ضيف الحيا ... ة أتيت ثم متى الرحيل؟
وبأي كون سوف تخـ ... ـتم ذلك السفر الطويل؟
كل إلى غرض يجو ... ل، فهل إلى غرض تجول؟
أو أنت سهم طاش فاخـ ... ـترق الخفاء إلى الوجود؟(١).

إن تأمله في الحياة وفي حقيقة الوجود يدفعه للاستفهام عن وجوده وأصله، فهو يتساءل عن مصدر وجود الإنسان، ومتى سينتهي هذا الوجود، وما سر مجيئه، وكيف يكون الرحيل، وهي رغبة تلح على الشاعر في معرفة أصل وجوده، نابعة من تأملاته، وقد جاء الاستفهام هنا بأدوات

(١) ديوان عماد: ١٧/١ .

الاستفهام (أين، متى، أي، الهمزة، هل)، وكأن الاستفهام هو محور القصيدة كلها.

هذه الاستفهام يشف عن معاني الدهشة، والحيرة، والاستغراب، والتردد النابعة من تأملات الشاعر في أصل الإنسان وكيف تكون نهايته، كما يضفى على الأبيات نوعا من الحركة والتوهج، فجاءت القصيدة تنبض بالحياة، وتعج بالحيوية، والإثارة.

ويتأمل الشاعر في مخلوقات الله تعالى فيرى عظمة الخالق سبحانه، وقدرته في صنع هذا الكون العجيب على هذا النظام البديع، فتدفعه تأملاته في خلق الله –تعالى– وقدرته أن يتساءل هذه الأسئلة:

من علم العصفور أن يبني عشا في الشجر؟
وعلم النحلة تسـ ـديس الخلايا المبتكر؟
وعلم النملة أن الـ ـزاد صيفا يدخر؟
وأن ما تطلبه تـ ـرك مهما استتر؟(١).

إنه الله –سبحانه وتعالى– الخالق القادر البديع، وهذه الاستفهامات تؤكد على تأملات الشاعر في مشاهد الطبيعة وبديع صنع الله في مخلوقاته، وهي نابعة من نظرات وتأملات طويلة، كما يكشف الاستفهام عن نفس مؤمنة، تنظر وتتدبر في مخلوقات الله، فالله تعالى أمرنا بالتدبر والتأمل في خلقه لنرى عظمته وقدرته وبديع صنعه، وهذه الأبيات تحمل التمجيد والتعظيم للخالق سبحانه، وتشهد له بالقدرة الباهرة، والعظمة المطلقة، والجلال والكمال.

(١) السابق: ١٢٥/٢ . (من مجزوء الكامل).

ومن نماذج الاستفهام –أيضا– قول الشاعر مخاطبا أبا العلاء في أمر الموت:

بثالث محبسيك أبا العلاء ثويتَ، وطال صبرك في الثواء
فيا ضيف المنية ألف عام أفيها قد عثرت على الرجاء؟
أمن بعد الفناء يقر عينا سخين العين من قبل الفناء؟
أهذه الضجعة العظمى أراحت –كما قدرتَ– جسمك من عناء؟
قضايا منطق لك أمس ماذا لديك اليوم فيها من قضاء؟
أرأيك بعد رأيك أم تصدى له ما بالردى من كيمياء؟(١).

ينعى الشاعر على أبي العلاء تفكيره الطويل في أمر الموت والبعث وحقيقتهما، حتى أصبحت خواطر الموت ملازمة له في تفكيره، يواجهها "إذا أصبح، ويواجهها إذا أمسى، ويواجهها في أثناء الليل إذا أبطأ عليه النوم، ولعله يواجهها في أثناء النوم إن صورتها له الأحلام"(٢).

وقد جاء الاستفهام بـ (الهمزة ) التي تكررت أكثر من مرة، وهذا من شأنه أن يقرع آذان المتلقي فيوقظه ويشده ليتفاعل مع الشاعر في تجربته التأملية، كما يضفي على النص الحركة والمرونة والحيوية، ويؤكد على تأملات الشاعر في أمر الموت وحقيقته، ومعرفة ما يتبعه في الحياة الأخرى، وصدق العقاد حين قال في تعليقه على هذه الأبيات: "ولو تساءلت الحياة الإنسانية على قبر لجمعت تساؤلها في هذه الأبيات"(٣).

---

(١) ديوان عماد: ١/ ٢٨٩ . (من الوافر التام)

(٢) مع أبي العلاء في سجنه: طه حسين، ص ٤٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.

(٣) ديوان عماد (المقدمة) ١/ ٩ .

**إن أسلوب الاستفهام من الأساليب المهمة التي لها دورها في إثارة الحركة في النص، وصبغه بالحيوية، كما تشد المتلقي وتثير انتباهه، وتجعله يشارك الشاعر تجربته الشعرية ويشعر بما يجيش في نفسه، ونماذج الاستفهام في شعر محمود عماد التأملي كثيرة(١)، وهي تكشف عن نظراته الطويلة، وتأملاته العميقة في الكون والوجود، والحياة والموت، وغيرها.**

## ٢- أسلوب التكرار

**التكرار ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها الشاعر لمعالجة موضوع أو فكرة ما، والكشف عما في داخله من مشاعر وأحاسيس بغية إيصالها إلى المتلقي والتأثير فيه، فهو يكشف عن أهمية الفكرة، ومدى سيطرتها على ذهن الشاعر، ومحاولة غرسها في قلب المتلقي، إلى جانب ما يحدثه تكرار المفردة أو الجملة من أثر موسيقي له دوره في جذب المتلقي وشد انتباهه وإيقاظه.**

**إن اللفظ المكرر يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة، ويستخدمه في موضعه، لذا لا بد أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا تحول هذا التكرار إلى تكلف وابتذال يضر أكثر ما ينفع(٢).**

---

(١) انظر نماذج أخرى للاستفهام: ديوان عماد ٥١/١، ٥١،٦٢، ٩٩، ١٠٣، ١٩٥،٢٩٠، ٢٩١، ٣٣٦، ١٠٥/٣٤٠،٢، ١٠٦، وغيرها من القصائد التي تؤكد شيوع الاستفهام في شعر محمود عماد التأملي.

(٢) انظر: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة ص ٢٦٣، ٢٦٤، دار العلم للملايين، بيروت، الثامنة ١٩٨٩م.

وقد لجأ الشاعر إلى التكرار كثيرا، ومن نماذج ذلك قوله من قصيدة(على البحر)(١):

أيها الخالد في دنيا الفناء تشهد التاريخ في غير انتهاء...
أنت للأيام طرس سطرت فيه بالأمواج أسرار البقاء
أنت جو طاول الجو مدى وسماء أنت من تحت السماء
تكتسي من لونها ما تكتسي وبها توصل في أقصى الفضاء

إن تكرار الضمير المنفصل (أنت) ثلاث مرات يوحي بسيطرة الفكرة على الشاعر، وتأمله الطويل للمخاطب وهو البحر، والنظر إليه والوقوف أمامه طويلا، وهذا يؤكد حب عماد وعشقه للطبيعة ومظاهرها، ومنظر البحر بالذات، يقول: "فإن لهذا البحر فعلا سحريا يحفزني إلى قول الشعر"(٢).

كما نجدد تكرار المفردات (جو/الجو)، (سماء/ السماء)، (تكتسي) وهو يشف عن اتساع هذا البحر، ويؤكد على إدراك الشاعر لعظمة هذا البحر الصامت الساكن، وكأنه يسجل حوادث الحياة، المتحرك الهائج المضطرب بأمواجه ومياهه وكأنه يهيج ويثور لأحداث الحياة وما فيها من حوله.

ومن نماذج التكرار- أيضا- قول الشاعر من قصيدة الوردة الذابلة(٣):

قالت وقد ألفت على وجهها غبرة هم لم تكد تنجلي
إن تذبل الوردة ظلت لها بقية من عطرها الأول
قلنا: وطي النفس ما طيها لو شاءت الوردة لم تذبل

(١) ديوان عماد: ٣٣٤/١.(من الرمل التام).
(٢) عود على بدء: ص١٢.
(٣) ديوان عماد: ١٤٤/١.

لـــو شـــاءت الـــوردة كنـــا لهـــا نـــدى إذا الأنـــداء لـــم تنـــزل
لـــو شـــاءت الـــوردة كنـــا لهـــا شـــوكا يقيهـــا عبـــث الأنمـــل
لـــو شـــاءت الـــوردة كنـــا لهـــا أرضـــا موطـــأة علـــى جـــدول
لـــو شـــاءت الـــوردة كنـــا لهـــا شمسـا تريـق الضـوء فـي معـزل

يرى الشاعر أن اقتحام المرأة ميدان العمل يأخذ من جمالها، ويقضي على أنوثتها، فهي الزهرة الناضرة التي يتأملها، ويشتم شذاها كل باحث عن الجمال والنضارة والعبق الزكي، فإذا نزلت ميدان العمل فقدت نضارتها، وشحب لونها، وتغيرت رائحة الأنوثة بها، فصارت كالوردة الذابلة ابتذل جمالها الغالي والرخيص.

والتكرار في قوله: (لو شاءت الوردة كنا لها) يؤكد على الحفاظ على أنوثة المرأة، وحمايتها من الابتذال، ويحميها من تلك النزعة التي نادى بها دعاة التحرير، وقد جنت هذه الدعوة على أنوثة المرأة، وأتت على خصوصيتها، وأخذت من جمالها وفطرتها التي فطرت عليها فصارت كالوردة الذابلة.

ومن نماذج التكرار– أيضا– ما جاء في قصيدة (القناعة البلهاء)(١):

لـم تحمـل الأرض أصـناف النعـيم وما سدى حملت أذواقها البشر
وليس في الحذق إغماض الجفون لاحت من الحسن في أحيائنا صور
ولـيس فـي الحـذق آذان مغلقـة في حين أسرف في أنغامه الوتر
وليس في الحذق لبس الشعر في مـن الحريـر علـى سـكانه دثـر
وليس في الحذق تنكيس الرؤوس فوق الرؤوس قضاء ليس ينحصر
فـابغوا الحيـاة إبـاء لـيس مـن أثـر للـذل فيهـا فمـا فـيكم لـه أثـر

(١) السابق : ٢٠٢/١ .

إن تأمل الشاعر في الحياة جعله يفكر في ذلك الصنف من الناس الذي يركن إلى الكسل، ويجعل من القدر حجة يعلق عليها فشله وقلة سعيه ، معللا ذلك بالزهد في الدنيا أو القناعة، وما هي بقناعة إنما هو الركون إلى الكسل، وعدم السعي للوصول إلى المجد والعلا.

وقد كرر الشاعر عبارة (وليس في الحذق) أربع مرات، ليؤكد حرصه على الجد والاجتهاد والمثابرة ، كما يدعو الإنسان إلى الالتزام بالسعي والعزيمة والصبر والثبات للحصول على أعلى مراتب المجد، ولا يقنع بالقليل فتلك هي القناعة البلهاء.

ونماذج التكرار في شعر عماد التأملي كثيرة(١) وهي تكشف أن الشاعر اعتمد عليه كوسيلة للتوكيد والإفهام، وإبراز الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي، وحفرها في عقله وقلبه، وإبراز المعنى وتوضيحه.

### ٣- أسلوب النداء

كما استعان الشاعر أيضا بالنداء في التعبير عن تجربته التأملية، والنداء من الأساليب التي تساعد على إبراز المعنى وتوضيحه، وتشد انتباه المتلقي، وتلفت انتباهه، ومن نماذج النداء قول الشاعر من قصيدة (وسواس البحر):

يا بحر فيم جريت إن ... كان الجفاف هو الختام؟
يا أرض فيم جمدت إن ... كان انحلال وانعدام؟
يا حسن فيم سفرت إن ... يحجبك من بعد اللثام؟
قال الجميع وفيم جئـ ... ـت وفي غد تلقى الحمام؟

(١) انظر نماذج أخرى للتكرار: ديوان عماد ٥٩/١، ٧٤، ٧٥، ١٠٢، ١٠٣ ، ١٨/٢، ١٩، ١٢٥، ١٩٠، وغيرها.

قلـــت الســـلام علـــى ثـــم مَ عليـك يـا دنيـا السـلام! (١).

يتأمل الشاعر في مظاهر الطبيعة من حوله (البحر، الأرض، الحُسن) وما يصيبها من جفاف، وجمود وانحلال، وذهاب بلا رجعة، فيتساءل عما يلحقها من تغيير وفناء بعد انتهاء الحياة.

وقد استعان الشاعر بالنداء وأداته (يا) (ثلاث مرات متتالية)، والاستفهام الذي تكرر (أربع مرات) للتعبير عما تمور به نفسه من تساؤلات واستفهامات فجاء التعبير أوقع وأنجع، فالأبيات عبارة عن نداء مشفوع باستفهام وهذا يشف عن تلاحق المعاني في نفس الشاعر، وهي معان نابعة من تأملات طويلة في مظاهر الطبيعة من حوله، ونفس شاعر متوهجة بمعرفة الحقيقة التي لا مناص منها وهي أن الموت والفناء يلحق كل ما هذه الحياة.

كما أدى الطباق بين (جريت/ الجفاف)، (جمدت/انحلال) دوره في النص، فهو يفاجئ المتلقي ويوقظه للوقوف على هذا التغير الذي يلحق بمظاهر الطبيعة المختلفة، وكأن الشاعر يريد أن يشرك القارئ معه في تأملاته.

إن تعانق (النداء والاستفهام) في التعبير عن تجربة الشاعر يكشفان عن نظرات الشاعر الطويلة المتتابعة لمظاهر الطبيعة من حوله، وتفكيره العميق فيها، وتأمله لما يعتريها من تغير وتحول، وهذا بلا شك نابع من تأمل عميق، وكأنه يجذب المتلقي بالنداء (يا بحر، يا أرض، يا حُسن) ثم يفاجئه ويوقظه بهذا الاستفهام: (فيم جريت؟، فيم جمدت؟، فيم سفرت؟، فيم جئت؟) الذي يغلف الشعر بالحركة والإثارة، ويؤكد تأمل الشاعر العميق في مظاهر الكون والطبيعة من حوله.

---

(١) السابق: ٢/ ١٠٥، ١٠٦ . (من مجزوء الكامل).

ومن نماذجه-أيضا- قول الشاعر من قصيدة الضمير:

يا كاشفين خفايا الكون هل في أن تغطوا على الأعقاب والسلف؟
إن تقتمو لاختراع النفع لنا الضمائر في جناتها الأُنف
وعطلوا بعدها القانون ثم سلوا هل ظل في الأرض من جان

إن نظرات الشاعر التأملية في الحياة والناس من حوله جعلته يرى الضمير الإنساني هو الأساس في بناء الحياة وشخصية المرء، فمتى استقام الضمير استقامت الحياة واستقام كل من فيها.

وقد استعان الشاعر بأسلوب النداء لعرض تأملاته، وهو يتوجه بالنداء إلى أهل العلم الذين يتطلعون لكشف أسرار الكون، والبحث عن كل حديث نافع للبشرية، سائلا إياهم أن يخترعوا ضميرا حيا يقظا، والنداء هنا يوحي بأن الضمير الحي حياة للمرء، بل هو أساس الحياة كلها، فمتى مات الضمير ضاعت الأخلاق، وعلا صوت الباطل، واستشرى النفاق، وفسدت الحياة.

ومن نماذج النداء- أيضا- قول الشاعر من قصيدة نخلة:

يا نخلة في المنحنى نحيلة لا من ضنى
أتذكرين من أنا؟ ...
صديق عهد قد سلف لديك طالما وقف
يسمع تصفيق السعف
عهد صبا عنا نزح أبهج من قوس قزح
لم تحملي فيه البلح
ولا حملت من هرم أهون ما فيه السقم

(١) ديوان عماد: ٢٧/١، ٢٩.

**مـــاذا عســـى بعـــد القمـــم؟(١)**

**يخاطب الشاعر النخلة مشخصا إياها، فيشكو لها زوال الصبا عنه، وتمكن الهرم منه، ثم يتأملها فيجد المشيب قد أصابها كما أصابه هو، وكأنه يرى فيها نفسه.**

**والنداء هنا يعبر عن تأملات الشاعر في الكون والحياة، ويؤكد ارتباطه بهذه النخلة، وحنينه إليها، ويوحي بتأملاته الطويلة فيها التي جعلته يدرك أن الصبا يزول ثم يتبعه الشيب والهرم، وأن مآل الحياة إلى نهاية معروفة وهي الموت.**

## ٤- التناص الشعري

**التناص من الأدوات الفنية المهمة في الإبداع الأدبي، يستعين به الشاعر ليوثق صلته بالتراث، ويتفاعل مع الروافد السابقة عليه، والتي ترسبت في ذاكرته بقصد منه أو دون قصد.**

**والتناص – أو التعالق النصي– هو دخول نصوص قديمة في علاقة وجدلية مع نص أو نصوص حديثة بكيفيات مختلفة، ولا شك أن التضمين والاقتباس في هذا الضوء يشكلان عاملين مهمين في تعانق النصوص مع بعضها، سواء كان هذا بواسطة المعارضة، أو الأخذ، أو غيرهما من آليات التناص(٢).**

**وللشعر العربي حضور واضح في شعر محمود عماد التأملي، فقد لجأ إلى ديوان الشعر القديم يستقي منه ما يسعفه في أداء المعنى، وإبراز الفكرة**

---

(١) ديوان عماد: ١٤٥/٢ .

(٢) انظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) د/ محمد مفتاح، ص ١٢١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الثالثة ١٩٩٢م.

وترسيخها في ذهن المتلقي، وفي هذا ما يضفي على شعره دلالات تعمق المعنى وتقويه، وتدعم الأفكار وتبرزها، ويحقق الصدق والأصالة لشعره، ويكشف عن ملكته الأدبية، ومقدرته الفنية.

من نماذج التناص الشعري في شعر محمود عماد قوله من قصيدة(ولدي الأول) مخاطبا ولده :

إي وعينيك وما حرْ ... رَ كتابي من شعور

إنني لم أبغ يوما ... لك في الكون الظهور

ولقد قابلت ميلا ... دك يا ابني بفتور(١)

الشاعر في تأملاته في أصل الوجود وفي الحياة تتغلب عليه النزعة التشاؤمية، فيخاطب ولده بما تشعر به نفسه نحوه، معلنا عدم سروره بميلاده، على عكس ما هو معتقد، فهو يتمنى أن لم يأت ولده إلى هذه الدنيا، ذلك أنه يراها كلها تعبا وشقاءً.

والمتأمل هذا الشعر يجد أنه يتفق في الفكرة والمضمون مع قول أبي العلاء:

وإذا أردتم للبنين كرامة ... فالحزم أجمع تركهم في الأظهر(٢)

هذه فلسفة أبي العلاء في نظرته إلى الدنيا والناس، ونزعته التشاؤمية المسيطرة عليه، لكن عمادا يقدم الأسباب المقنعة لفكرته من وجهة نظره، وهي أن الحياة فيها التعب والمشقة والألم، فليس فيها إلا الشر، وكأن البهجة والسرور والخير والجمال قد انعدمت منها، لذا نراه يقول في القصيدة نفسها بعد أبيات:

---

(١) ديوان عماد ١/ ٢٣٠ . ( من مجزوء الرمل).

(٢) شرح اللزوميات: ٢٢٧/٢ .(من الكامل التام).

وهنـــا تفهـــم صـــدى عنـــك مـــن قبـــل اللقـــاء
إنـــه كـــان وفـــاء دونـــه كـــل وفـــاء
إننـــي خفـــت عليـــك الـــ ـــعيش فـــي هـــذا الضـــياء
فهـــو يُعيـــي العـــين والقلـــ ـــب ويـــوهي العصـــبا(١)

والفكرة التي تدور حولها هذه الأبيات- أيضا- تتفق مع قول أبي العلاء:

تعـــب كلهـــا الحيـــاة فمـــا أعجب إلا من راغب في ازدياد(٢)

فالحياة عند عماد تعيي العين والقلب، وليس فيها إلا التعب والمشقة، والمرء دائم الشكوى منها، وأرى أنها نزعة تشاؤمية عند كلا الشاعرين، فالحياة فيها الشر وفيها الخير، وفيها القبيح وفيها الجميل، وفيها الحزن والسرور، والأمل والألم، هذه هي الحياة، هي بالضدين معا تكون، وعلى العاقل أن يحيا فيها بهذا المنطق، كما يقول محمود عماد نفسه في قصيدة أخرى مخاطبا ولديه:

اصـــحبا الـــدنيا علـــى علاتهـــا واحذرا الشعر فإن الشعر ماكر...
هـــي بالضـــدين تعتـــز معـــا يمـــرح الطـــاووس فيهـــا والعقـــاب
وبهـــا ذو النـــاب يلقـــى مرتعـــا والذي قد جاءها من غير ناب(٣)

إن هذا التناص يؤكد ارتباط الشاعر بالتراث الشعري السابق عليه، ويوحي بتأملاته في الحياة، وأنه -أحيانا- قد يسيطر عليه التشاؤم فلا يرى إلا الجانب السوداوي للحياة، وينسى أو يتغافل عن أنها بالضدين تعتز معا.

---

(١) ديوان عماد: ١/ ٢٣٠ .

(٢) سِقط الزند: أبو العلاء المعري، ص ٨ ، دار بيروت، ودار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

(٣) ديوان عماد ٢/ ٥٨، قصيدة (في الملعب) .

ومن نماذج التناص- أيضا- قول الشاعر من قصيدة: (الغد)

وددنا لو أنا سبقنا الزما ن فنعلم كيف يكون المصير

ألا أيها الغد لو تُشتري لكنت اشتريت بمال وفير(١)

تأملات الشاعر تجعله يتمنى أن يطَّلع الغيب ليرى ما تكنّه له الأيام، وما يستره عن الزمان في حياته الباقية، فلو كان الغيب يشترى لتزاحمت عليه الناس، وشروه بمال كثير.

والمتأمل في البيتين يجد أن فكرتهما تكاد تقترب من قول ابن الرومي:

أخافُ على نفسي وأرجو مَفازَها وأستارُ غَيْب اللّهِ دونَ العواقبِ

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي؟ ومن أين والغاياتُ بعد

فكلا الشاعرين يود معرفة ما خفي وما استتر من أسرار الغيب، ولكن هيهات فالغيب لا يعلمه إلا علام الغيوب، قال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾(٣).

ومن نماذج التناص -أيضا- قول الشاعر من قصيدة (نخلة):

يا نخلة الشط عمي صباحا وعصرا واسلمي

هاك يدي فسلمي(٤)

شخص الشاعر النخلة وجعل منها شخصا يناجيه ويشكو له ما في نفسه، ويمد يده إليها ليسلم عليها، فهو يبثها آماله وآلامه ويشاطرها أحزانه،

---

(١) السابق: ٧٤/١ .

(٢) ديوان ابن الرومي: تحقيق حسين نصار، ٢١٤/١، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الثالثة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.(من الطويل التام).

(٣) سورة النمل: من الآية (٦٥).

(٤) ديوان عماد: ١٤٦/٢ .

هذا الاندماج بينه وبين مظاهر الطبيعة ناشئ من طول النظر إليها والتأمل فيها، ولعله متأثر بقول عنترة في معلقته:

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي(١)

إن هذا التناص لا يتنافى أبدا مع سيطرة الأسلوب المعاصر السهل الواضح على شعر محمود عماد، وإنما يكشف عن ثقافة الشاعر، وتأثره بالتراث الشعري القديم واغترافه منه، وتضفير شعره به، وقد استقى منه ما يعينه على أداء المعنى، ويكشف عن الفكرة ويجليها للمتلقي، فطبيعته الشاعرة دفعته إلى الاستعانة بتعبيرات من التراث الشعري القديم، وتضمينها في شعره ومزجه به، لتحقيق الإمتاع الفني، وإضفاء الصدق والأصالة على شعره، وفي هذا ما ينم عن عقليته الواعية، وحافظته القوية.

### ٥-الحس القصصي

الشعر حين تظلله القصصية السردية، والحكي المستوعب للحدث، والدرامية التي تلف الأسلوب وتسيطر عليه، حيث الحوار، والسرد، والأشخاص، والحدث- يسلك مسلك الحيوية، ويتسم بالثراء والحركة، وتبدو فيه قدرة الشاعر الإبداعية.

وقد بدا الحس القصصي وعناصر البناء الدرامي البسيط في شعر محمود عماد التأملي واضحا، فوجدنا أسلوب القص والحكي في معالجة بعض تجاربه التأملية، وفي هذا ما يضفي على شعره الإثارة والمتعة الفنية، ويشد المتلقي ويجذبه.

---

(١) ديوان عنترة : تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي ص ١٨٣، المكتب الإسلامي، بغداد ١٩٧٠م.(من الكامل التام)

إن الأسلوب القصصي في رسم الصورة الشعرية "يساعد الشعراء على الابتعاد عن سطحية المباشرة من جهة، والإيغال في الغموض والإيهام من جهة أخرى، كما أنه يبعث الحيوية والتشويق في القصيدة"(١).

ومن النماذج التأملية التي يظهر فيها هذا الجانب القصصي قصيدة (الربيع السرمد) (٢)، وهي قصيدة تأملية نظمها الشاعر في نسيج قصصي جذاب، لقد هدته تأملاته الطويلة في الحياة إلى أنها لا تستقيم إلا بخيرها وشرها، فلا يتضح أثر الشر إلا في وجود الخير، ولا تظهر قيمة أحدهما إلا بوجود الآخر، كذلك لا بد من تعاقب فصول العام فصلا بعد فصل، فالربيع لا تظهر قيمته ولا يتضح جماله ونضارته إلا إذا أعقبه الخريف، والصيف لا بد أن يعقبه الشتاء، نظام رباني رتبه الله سبحانه، وينبغي لنا أن نؤمن بهذا ونسلم بأن هذا النظام هو النافع للبشرية، ومن غيره يختل ميزان الكون.

يحكي الشاعر في هذه القصيدة قصة شاعر- ولعله يعني نفسه- مكث زمنا طويلا معتزلا في صومعته بعيدا عن الناس، ولما أصابه الملل من العزلة والوحدة خرج يتأمل مشاهد الطبيعة ومظاهر الكون من حوله، فتأمل الرياض فإذا بأشجارها قد جفت، وأوراقها ذبلت، قد أصابها الجفاف والإمحال، ذلك أن الزمن هو فصل الخريف، وهنا يثور الشاعر ويتبرم لهذا النظام، سائلا الله أن يجعل الحياة ربيعا طوال العام:

لبث الشاعر رهن الصومعة زمنا ثم تولاه الملال

(١) حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر: د/ عثمان الصالح، ٦٩٨/٢ السعودية، الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

(٢) ديوان عماد: ١٢/٢-١٧. (من الرمل).

فارتـأى النقلـة مـن بعـد الدعـة وانتحى الروضة يستوحي الجمال

فـإذا الروضـة لا توليـه مـا عودتـه مـن متـاع ورواء

حيـث لا زهـر ولا عشـب نمـا فـي نواحيهـا ولا وجـه أضـاء

قال: يا روضة ما هذا الصنيع؟ أيـن شـدو وحفيـف ورفيـف؟

فأجابت: كـان هـذا فـي الربيـع أفمـا جـاءك أنَّـا فـي الخريـف؟

ثم يخاطب الشاعر ربه سائلا إياه أن يجعل الأرض ربيعا سرمدا، متسائلا في تعجب وإنكار لم لا يجعل الجمال والخير دائما دون أن يكون قبح وشر:

قـال: يـا مـن خلقـت الأزلا يتـوالى، وخلقـت الأبـدا

لـم فـي التقدير لـم تجعل علـى هـذه الأرض ربيعـا سـرمدا؟

لـمَ لـمْ تخلـق علـى الأرض وحـده لا قـبح يغشـى منظـره؟

لـم لا يبـدو بهـا الخيـر بحـال دون أن يقفـو شـر أثـره؟

ثم يظهر طائر ذو جناح أخضر الريش، وإذا به يحمل الشاعر إلى الأجواء عاليا فألقى به ليلا فوق النجوم، ولما أفاق الشاعر من غفلته أبصر ما حولـه فوجد نفسه بين رياض مخضرة، وبساتين غناء، وأزهار نضرة، وأطيار تشدو، لا يرى إلا الجمال والنضارة، والحسن والخير، والنعيم المقيم:

وصـحا الشـاعر مـن غفلتـه مثلمـا تصـحو عصـافير الكـروم

فَرِحًـا يعجـب مـن فرحتـه بعـد إدمـان مـلال ووجـوم

ورنـا لمـا دعـاه الأرج فـرأى دنيـاه فـي ثـوب خليـع

جـزر خضـر، وجـو سجسـج قـال: حـق ذلـك أم وهـم رفيـع؟

قيل: يا شاعر هذا ما تريد ... من ربيع سرمد ليس يريم
هاهنا الحسن من القبح بعيد ... وهنا الخير بلا شر يقيم

لقد تحقق ما كان يتمناه الشاعر، فالحياة كلها من حوله خير ونعيم، وحسن وجمال، ورواء ونضارة، لكنه مع هذا كله فقد الإحساس بالجمال، ولم يعرف قيمة الخير، فكل شيء عنده سواء، فراح يتأمل ما حوله مرة أخرى:

فرأى الورد هنا لا شوك فيه ... وهو لا يعروه كالورد الذبول
قال: بل ذلك بالورد شبيه ... إنما الشوك على الورد دليل
ورأى النور هنا من غير نار ... فهو والظلمة في الأصل سواء
قال: إن النار للنور شعار ... من ترى يثبت أني في الضياء؟

لقد ساقته تأملاته إلى الوقوف على حقائق الأشياء، فكيف يكون الورد وردا ولا يعتريه الذبول، كذلك فهو لا يرى أمامه ولا يبصر إلا الضياء والنور، لذا سيطر عليه السأم والملل من هذا الجمال الدائم وهذا الخير العميم، وراح يبحث عن السعادة في شيء آخر غير الجمال.

وفي النهاية تهديه تأملاته إلى أنه لا حياة بدون اجتماع الضدين معا، حتى تظهر قيمة كل منهما، ثم يستغفر الله – تعالى– على تمرده على النظام الكوني، ويعود فيرضى بما قدره الله:

قد مللت الري فاشتقت الظما ... ومللت الوصل فاشتقت الصدود
إن (لا) تنفعني مثل (نعم) ... ليس تحلو (نعم) من غير (لا)
والربيع النضر يغري بالسأم ... حين لا نلقى خريف مقبلا
اغفر اللهم لي إني نسيت ... فتمردت على حكم القضا
أنا بالعيش على الأرض رضيت ... فأعد لي في ثراها ما انقضى

بعد هذه التأملات الطويلة يؤكد الشاعر أن الحياة لا تستقيم إلا بوجود الشيء وضده، الحسن والقبح معا، والخير والشر معا، كما أنه لا قيمة للربيع بدون الخريف، فلا يظهر أثر الربيع ولا تظهر قيمته إلا بعد أن يتلوه الخريف.

في هذا النسيج القصصي صاغ الشاعر هذه القصيدة التأملية، فنجد الروح القصصية تشع بظلالها في هذا الشعر، ويتنامى فيه البناء الدرامي البسيط الذي يكشف عن قوة الشاعر الإبداعية، ونزعته التأملية، وتأملاته في الكون والحياة ومظاهر الطبيعة من حوله.

فنجد (الشخصيات/الشاعر، الطائر، الروضة)، والحوار واضح بينهم، ونجد (الزمان/ وقت من الزمن)، و(المكان/الروضة) التي يرمز بها الشاعر للحياة، ثم تدور الأحداث لنصل في النهاية إلى (الصراع/ وهو تمنى الشاعر أن تكون الحياة كلها جمالا لا مكان فيها للقبح، وخيرا دائما ونعيما مقيما، لا مجال فيها للشر) ثم تأتي النهاية النابعة من تأملات الشاعر أن الحياة مزيج من الجمال والقبح، والخير والشر، لا قيمة لأحدهما بدون وجود الآخر، فلا قيمة للجمال إلا في وجود قبح، ولا معنى للخير بدون الشر.

إن الروح القصصية تشع بظلالها في هذا الشعر، ويتنامى فيه البناء الدرامي البسيط الذي يكشف عن قوة الشاعر الإبداعية، وتأملاته الطويلة في الحياة، ومظاهر الطبيعة من حوله، ونظراته العميقة في الكون.

والشاعر في عرض تجربته التأملية يحاول أن ينقل الصورة بشتى السبل ليقنع المتلقي ويجذبه، ويؤكد قدرة الخالق سبحانه، وأنه ما خلق شيئا سدى، فكل شيء لحكمة وبقدر، هذا كله في إطار درامي وبناء قصصي

جذاب يقنع المتلقي ويمتعه، ويضفي على شعره الإثارة والحيوية، ويسمه بالحركة والوضوح، والمتعة الفنية.

ومن النماذج التأملية التي يظهر فيها هذا الجانب القصصي قصيدة (بنت عشر)(١) وفيها يحكي الشاعر قصته مع فتاه صغيرة جميلة تأملها بين مظاهر الطبيعة الفاتنة فاجتمع لديه جمال المرأة، وجمال الطبيعة، وقد استهل هذه القصة بذكر مكان الحدث، يقول:

بين خرير الجدول ... وبين همس السنبل
وقفتُ أسأل الصبا ... في ثوبها المبلل
هل قابلتها طفلة ... رقيقة المقبل
ذات حياء معجب ... وحور ونجل
تنمى إذا هي انتمت ... لمنزل مبجل
هذي البنات أقبلت ... فما لها لم تقبل

إن الأحداث تكشف عن نظرات الشاعر الطويلة لهذه الطفلة الصغيرة التي لفتت انتباهه، فراح يتابع النظر إليها ويتأمل جمالها، وبعد هذا التأمل الطويل يتوجه إليها متسائلا:

سألتها إلمامة ... كأنني لم أسأل
واها لها إن بعدت ... وإن دنت فالويل لي
يا حبذا وقفتها ... مشغولة لم تشغل
يقدها وجيدها ... وخدها المجمل
وطرفها يلعب بي ... لعب الصبا بالسبل
مدلة مضللة ... بشعرها المضلل

(١) ديوان عماد: ٣٥/١ .

والشـــمس مـــن غيرتهـــا قـــد وقعـــت فيمـــا يلـــي
وأرســـــلت لعابهـــــا يصـــبغ وجـــه الجـــدول

الشاعر مفتون بهذه الطفلة، فهو يعشق الجمال أني كان، لقد تأمل قدها، وجيدها، وخدها، وطرفها، وشعرها الطويل، وجمالها الفتان، وكأنها زهرة جميلة في بستان نضير، مما يكشف عن هيامه بها ووقوفه الطويل أمامها ينظر إليها ويتأملها، وفي هذا ما يكشف عن جمال هذه الطفلة.

ومما يزيد هذا الإطار القصصي البسيط إثارة وحيوية أن مسرح الأحداث مرتبط بالطبيعة ومشاهدها الفاتنة، فقد خلع الشاعر على مظاهر الطبيعة المحيطة بموقع الأحداث صفات الإنسان، وجعلها شخصيات ثانوية مكملة لدور الشخصية الرئيسة في الأحداث (الشاعر، الطفلة)، فالشمس ببهائها ورونقها تغار من جمال هذه الفتاة، ولها لعاب ترسله على مياه الجدول فتضيء صفحته، والجدول له وجه قد صبغته الشمس فأضاء ولمع، وقد أضفى هذا التشخيص علي الصورة الحيوية وبث فيها الحياة.

ثم ينقلنا الشاعر إلى الأثر الذي تركته هذه الفتاة في نفسه، وكيف أثرت فيه وملكت جوارحه، وسيطرت على مشاعره، مع صغر سنها وطفولتها التي لا تعرف هذا النوع من الحب، يقول:

بـــي خـــدُّها مـــورَّدا علـــى القمـــيص المخملـــي
وســـــمعها مشـــــرّدا إن قلـــت أو لـــم أقـــل
وفكرهـــــا مبـــــددا أَجِّـــــد أو إن أَهـــــزِلِ
وكيـــف تـــدري أنهـــا تعلّتـــي وشـــغلي
عاريـــة الســـاقين مـــن قميصـــها المختـــزل
تنظـــر لـــي فـــي دهشـــة إن ابتـــدئ فـــي الغـــزل

لقد رسم الشاعر صورة الشخصية (الطفلة) وهي تستغرب نظر الشاعر الطويل إليها، فسمعها مشرد، وفكرها مبدد، تلبس قميصا قصيرا بدت منه ساقاها الصغيرتان، تنظر إلى ذلك الذي يطيل إليها النظر(الشاعر) في دهشة وتعجب، وهي لا تعي شيئا مما يدور في ذهن ذلك الذي يكبرها بسنين.

في هذا الأسلوب القصصي صاغ الشاعر هذه القصيدة التأملية، فنجد أن روح القص تشع بظلالها في هذا الشعر، ويتنامى فيه البناء الدرامي البسيط الذي يكشف عن قوة الشاعر الإبداعية، وتأملاته في الكون والحياة ومظاهر الطبيعة من حوله.

فالشخصية الرئيسة في هذه القصة البسيطة (الشاعر، الفتاة الصغيرة)، والحوار واضح بينهما، ونجد (الزمان/ وقت من الزمن في النهار)، و(المكان/ بين خرير الجدول، وبين همس السنبل)، ثم تدور الأحداث لنصل في النهاية إلى (الصراع) وهو افتتان الشاعر بهذه الفتاة الجميلة التي لا تفهم مراد الشاعر، ولا تعرف معنى الحب الذي يتحدث عنه في شعره، ثم تأتي النهاية التي تعلن عشق الشاعر للجمال وافتتانه به متى كان، وأين كان، فهو يعشق الجمال، فمتى رآه وقف أمامه طويلا واستغرقه التأمل وراح يسجل أثره على نفسه، وهذه الصورة القصصية قد جمعت بين جمال الطبيعة، وجمال المنظر، وجمال المرأة.

إن الإطار الدرامي البسيط يبدو واضحا في هذه الشعر التأملي، وهو يوحي باعتماد الشاعر عليه في الكشف عن التجربة التأملية في شعره، وعرضها للمتلقي في أسلوب مقنع ممتع، بما يضفي على شعره الإثارة والحيوية، والحركة والوضوح، ويقنع المتلقي ويمتعه.

لقد برز الحس القصصي واضحا في شعر محمود عماد حتى أشاد به الشعراء والنقاد؛ يقول محمد فهمي عبد اللطيف: "وكان عماد صاحب موهبة قصصية في الشعر ولعله أبرز شاعر طوع الشعر القصصي، وله في هذا بدائع رائعة"(١).

ويقول على أحمد باكثير: "فعماد قصاص ماهر، يحسن السرد، والتشويق، والتصوير، والتحليل، في إطار شائق من البناء القصصي المحكم"(٢).

## ٦- أسلوب التضاد

من الألوان البديعية التي استعان بها الشاعر في تجربته التأملية: الطباق والمقابلة، فقد استعان بهما لتزيين أسلوبه، وإضفاء مسحة جمالية عليه، إلى جانب كونهما من الظواهر الأسلوبية التي توضح المعنى، وترسخ الفكرة .

والتضاد من الوسائل الفنية الخصبة التي يعتمد عليها الشاعر في إقامة علاقات جديدة بين مفردات اللغة تعكس صورة العلاقات القائمة في الكون والطبيعة بين الأشياء، كما يتولد من خلال الجمع بين المتناقضات ضرب من المباغتة يفجأ المتلقي ويثري مشاعره(٣). كما "أنّ التضاد يقرب الصورة ويعمل على تحسينها ويوضح المعنى"(٤).

---

(١) جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٠م، ص ١٦، نقلا عن محمود عماد شاعرا، ص ١٣٥ .

(٢) عود على بدء: ص ٢٢ .

(٣) انظر: شعر المتنبي قراءة أخرى: د/ محمد فتوح أحمد، ص ٧٦، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.

(٤) التصوير البياني: د/ حفني محمد شرف: ص ٢٥٣ ، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٢م.

وقد اعتمد الشاعر على الطباق والمقابلة في صوغ شعره التأملي، وإبراز أفكاره وتأملاته وبسط معانيه للمتلقي؛ فللتضاد دوره المؤثر في الكشف عن المعنى، وإبراز الصورة بما يحدثه من الضدية التي تقع بين الألفاظ، إذ تثير القارئ، وتفاجئه، وتجذب انتباهه.

ونحاول الآن الوقوف على قيمة التضاد في شعر عماد التأملي، وما الذي أضافه إلى المعنى، وما أضفاه على الفكرة؛ يقول الشاعر من قصيدة ريا وسكينة:

وما للجرم من وطن ولكن ... مضى في أوجه الدنيا مضيا
ولو أن الثريا ذات خلق ... لما سلمت من الجرم الثريا
وغاية ما هنالك أن كلا ... يميز جرمه شكلا وزيا
فذو الاثراء يرسله أنيقا ... وذو الإملاق يرسله زريا
وجرم الجهل تبصره وضيعا ... وجرم العلم تبصره سريا
فلا الشرق انتحى نهجا ذميما ... ولا الغرب انتحى نهجا سويا(١)

المقابلة هنا واضحة في الأبيات الثلاثة الأخيرة، وهي تكشف عن أن الجريمة كائنة في بني الإنسان، موجودة في كل المجتمعات وبين جميع الطبقات، غير أن ذا النفوذ والسلطان يرسلها أنيقة براقة حتى يراها الناس منه أمرا جميلا حسنا، بينما يراها الناس من ذوي الفقر والحاجة – وهي الجريمة نفسها– أمرا قبيحا مشينا.

كما تشف المقابلة هنا عن شاعر متأمل صاحب نظرات عميقة في الحياة وفي دنيا الناس، فهو يرى أن الجريمة ليس لها وطن ولكنها موجودة عند كل الناس، وفي كل الأوطان، وهي تختلف باختلاف الأشكال والألوان

(١) ديوان عماد: ٦٧/١ .

واختلاف الناظر إليها، فهي عند الغني ذي الجاه عقل ناصح رشيد، وتفكير حاذق حصيف، وعند الفقير إجرام وسوء خلق، وهي من الجاهل ضعة وسوء فهم، وهي من المتعلم العالم بصيرة وعلم ومعرفة وربما نصح وإرشاد، وهذه الفلسفة من الشاعر نابعة من نظراته وتأملاته في حياة الناس وأخلاقهم.

ومن نماذج التضاد– أيضا – قول الشاعر من قصيدة الهرم والخلود متسائلا:

أيدري الجماد بسر الوجو د ويجهله الحي في كل آن؟

أتغري الحياةُ الممات بنا ويأمنه الصخر كل الأمان؟

إذن سبب الموت تلك الحيا ةِ ففيم احتفال بها وافتتان؟(١)

تأملات الشاعر في أصل الوجود، والحياة والموت تجعله يدرك الحقيقة التي لا مناص منها، وهي أن كل حي سوف يموت، وما دام الأمر كذلك فلم الاحتفال بهذه الحياة الفانية إذا كان نهايتها هو الموت والفناء.

والطباق هنا واضح بين (أيدري الجماد/ يجهله الحي)، (الحياة/الممات)، (الموت، الحياة) وهو يكشف عن انشغال الشاعر بأمر الوجود وتفكيره الطويل في الحياة والموت محاولا الوقوف على أصل الوجود وحقيقته، والموت وأسراره.

ومن نماذج التضاد –أيضا– قول الشاعر من قصيدة غروب:

سنة العالم من أيام عاد يا نوير السوسن

كل سوق من رواج لكساد رغم طول الزمن

(١) ديوان عماد: ١٠٢/١ ، ١٠٣ .

وكذلك الحب نار فرماد فكأن لم يكن
وعزيز القدر يوما قد يهون فاضحكي أو فانحبي(١)

الحياة في نظر الشاعر كالسوق، يبدو في أوله رائجا ثم يصير كاسدا في نهاية الأمر، هذه سنة الله في خلقة، فالحياة الدنيا كالزرع الأخضر الذي يهيج ثم يكون مصفرا ثم يصير حطاما، كما أن عزيز القوم قد يهون لديهم على مر الأيام.

والطباق هنا واضح بين( رواج/ كساد)، (عزيز القدر/ قد يهون)، (فاضحكي/ فانحبي) وهو يكشف أن الافتتان بهذه الدنيا لا قيمة له ما دامت نهايتها الفناء، فضحكها يساوي حزنها ما دام الموت والفناء هو النهاية.

وقد أدرك شاعرنا قيمة التضاد فلم يهمل هذا العنصر المهم، بل سعى إلى تلمس أثره في التركيب الشعري، فعندما يستحضر الكلمة في تضاعيف شعره، فإن ما يضادها دلاليًا من الكلمات يكون حاضرًا في ذهنه، ليترجمها بعد ذلك لبنَة لازمَة في صياغة التركيب الشعري، لذا أكثر منه في تشكيل تجربته التأملية(٢).

إن شعر عماد التأملي جاء على تلك اللغة السهلة الخفيفة السائغة الموحية التي ترتاح إليها النفس وتقبل عليها، وكان أسلوبه ذلك الأسلوب البسيط العصري، فالتجربة التأملية تجعله يستخدم ألفاظا ولغة قريبة، غير

(١) ديوان عماد ١/ ١٢٦.(من بحر الرمل)، جاء الشطر الأول تاما، والشطر الثاني مجزوءا، وهو نوع من التجديد في الوزن.

(٢) انظر نماذج أخرى للتضاد: ديوان عماد١/٢١،٢٠،١٧، ٢٧، ٣٥، ٥٨، ٣٤١، ١٩/٢، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٧٠، ٧٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٦، ١٤٦، عود على بدء، ص ٦٠، ١٠٥، وغيرها.

**بعيدة من النفوس، تناسب حالته النفسية والانفعالية، وقد استعان بأساليب التعبير المختلفة التي عبر بها عن تجربته التأملية، والتي تكشف عن نزوعه إلى التأمل في شعره.**

ض

# الفصل الرابع: الصورة الفنية

## مدخل: الصورة وأهميتها:

تتجلى قدرة الشاعر في إبداعه الصورة الفنية التي تكشف عن تجربته وتثريها، وتعبر عن إحساسه ومشاعره في صورة ممتعة، ينقل من خلالها ما يجيش في صدره للمتلقي حتى يشاركه معه ويشعر بما يشعر به فيتفاعل معه، وينفعل بتجربته، ويشاركه آماله وآلامه.

والصورة الشعرية هي الإطار الذي يحتوي الألفاظ والعبارات ويجمع بينها في تواؤم وتلاؤم، وهي التي تلف الفكرة وتظلل المعنى، إذ يعبر الأديب من خلالها عن تجربته الشعرية، فهي "وسيلة لنقل الشعور أو الفكرة"(١).

وللصورة الشعرية مكونات وعناصر تتشكل منها وتتآزر جميعها لتنتج في النهاية المعاني المتآلفة التي تثري الفكر، وتمتع الإحساس، فهي "لا تخرج إلى حيز الوجود إلا من خلال تجربة مرت بالأديب، تحرك بها وجدانه، ومارت بها عواطفه، ففارت تلك التجربة حتى تجاوزت حدود الشعور الداخلي، فانتقلت في صور شتى لتعبر حاجز الشعور إلى الإحساس، لتعبر عن مكنون النفس وخلجات الفؤاد، وقد اصطنع لها الأديب سياقا بيانيا خاصا قوامه الألفاظ، والتراكيب، والإيقاع الموسيقي، والرمز الإيحائي الذي يتولد عن الألفاظ والعبارات، وكل ما يدخل المعجم الشعري من استخدام الحقيقة والمجاز، وأدوات النداء، والاستفهام، وتردد العبارات بين الجمل الفعلية والاسمية، واستخدام الصورة للفعل ماضيا أو

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية: ص ١٣٥.

مضارعا، وحسن التعليل، أو التخلص، أو التقسيم، وما يزين الصورة من محسنات بديعية"(١).

يضاف إلى ذلك حسن اختيار الشاعر للغة الشعرية التي تمتلك القدرة على الإيحاء والتأثير، وتتسم بالإيقاعية الموسيقية، والظلال والدلالات المعنوية، والإيحاءات الفياضة التي تثري المعنى(٢).

إن أهمية الصورة تتجلى في تجسيد المعنويات، وتقريب المعنى وتوضيحه، وتمكينه في ذهن المتلقي، فضلا عن التأثير القوي فيه، وهي – في هذا الضوء– تعد ركنا أصيلا في أركان العملية الشعرية، إن لم تكن هي جوهرها، حيث يقوم عليها الشعر منذ لحظة وجوده حتى الآن(٣). وهي تمنح العمل الأدبي قيمة فوق قيمته، وتخلق اللغة خلقا جديدا، وتبعث في النص الحيوية والإثارة، وتفرض على المتلقي الانتباه واليقظة، وتضفي على العمل الأدبي المتعة الفنية.

إن الشاعر إذا أراد أن يترجم عن أفكاره ومعانيه وتجاربه، وما يجول في خاطره – عليه أن يلجأ إلى الصورة، فهي وسيلته للتعبير عن أفكاره، وتجسيد مشاعره وأحاسيسه، وكلما كان صادقا في تجربته كان أقرب للإقناع. وفي الصفحات التالية عرض للوسائل التي أعانت الشاعر في تشكيل صوره، وأنماط هذه الصور.

---

(١) من صحائف النقد الأدبي: د/ عبد الوارث عبد المنعم الحداد ص ٢٨٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

(٢) انظر: محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة: د/ صابر عبد الدايم ص ٢٠٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

(٣) انظر: فن الشعر: د/إحسان عباس ص ١٩٣، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.

## أولا: الصورة البيانية

لجأ الشاعر إلى التصوير البياني الذي يعتمد التشبيه والاستعارة والكناية، لكنه لم يحفل بذلك التصوير كثيرا، ولم يعن به عناية واضحة في شعره، وإن جاء فهو عفو الخاطر، وقد اعتمد عليه لترسيخ أفكاره وإبراز معانيه، والتعبير عن تأملاته، والكشف عن تجربته.

### ١- التشبيه

هو من الوسائل الفنية المهمة في تشكيل الصورة وتكوينها، ونقل المشاعر والتعبير عنها، وقد اعتمد عليه الشاعر في رسم صوره وتشكيلها، وتاكيدها وإبرازها، وترجمة مشاعره، ونقل تجربته الشعرية.

والتشبيه وسيلة بيانية تقرب المعنى وتزيده وضوحا، وتكسبه تأكيدا، "ولهذا أطبق جميع المتكلمين العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه"(١). ومما يدل على أهمية التشبيه استعمال القرآن الكريم له- وهو المثل الأعلى في بلاغة الأسلوب، وروعة البيان، وحسن التصوير- واعتماده عليه في ضرب الأمثال، ومخاطبة الناس، وتقريب المعاني البعيدة(٢).

(١) كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: د/علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص ٢٤٣ ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

(٢) انظر: التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني: د/ عبد الفتاح عثمان، ص ٨٠، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٩٣م.

وقد استخدمه محمود عماد كثيرا في شعره التأملي واعتمد عليه في تقريب الصورة وإبرازها للمتلقي، ومن نماذج التشبه قول الشاعر من قصيدة الساقية الجافة"(١).

وتلقى العناكب منها سدى ... متينا للحمتها الواهية
كأنك في نسجها جثة ... تردت بأكفانها البالية
وأن تراتيل الذباب ترا ... تيل تُزجى إلى روحك النائية

إن عوادي الزمن قد أثرت في هذه الساقية فباتت بالية واهية، قد أصابها الصدأ والوهن فتكسرت تروسها، وبليت وعششت حولها العنكبوت، وقد كانت بالأمس يمر عليها النسيم فتتراقص فروعها بهجة وسرورا، واليوم أمست جثة هامدة لا حياة فيها ولا روح، بعد أن كانت تبعث في مظاهر الطبيعة من حولها الحياة.

والتشبيه هنا يوحي بتأثر الشاعر لهذه الساقية التي عفا عليها الدهر، وأثرت فيها عوائد الأيام، فأمست كالجثة الهامدة، كما يكشف التشبيه عن تأمل الشاعر الطويل لهذه الساقية الجافة التي ألمَّ بها الصدأ، ووهنت أضراسها الشداد، وكأن الشاعر يرى فيها نفسه وقد أصابها الشيب، وتمكن منها الهرم.

ومن نماذج التشبيه–أيضا– قول الشاعر من قصيدة (شاطئ العجمي):(٢)

من معيدي للشاطئ المسحور ... عند رمل كلؤلؤ منثور؟
وميـاه كأنها ذائب الفيروز ... يجلى في أزرق من نور...
وحسان أغرت بأذرعها الشمس ... فشعت في الشمس كالبلور

(١) ديوان عماد: ٥٩/١ .
(٢) السابق: ١٩٢/٢.

شـاردات علـى الرمـال يمينـا وشـمالا كـالربرب المـذعور

تشبيهات عديدة اعتمد عليها الشاعر في رسم صورة الشاطئ الذي يرى رمالـه كـاللؤلؤ المنثـور فـي بهائـه وضـيائه وألقـه، ومياهـه تشـبه ذائـب الفيـروز فـي صـفائه ورقتـه ولمعانـه، ومما يزيـد الصـورة جمـالا هـؤلاء الحسان الشاردات على شاطئ البحر كالربرب المذعور في سرعة الحركة، وجمال المنظر.

هذه التشبيهات توحي ببهجة الشاعر بهذه الطبيعة الساحرة عند البحر، كما تكشف لنا عن تأملـه مشاهد الطبيعة عند الشاطئ، وتأملـه لجمال المرأة وهي بين مشاهد الطبيعة الأخاذة عند شاطئ البحر وبين مياهه الصافية.

ومـن نمـاذج التشـبيه -أيضـا - قـول الشـاعر مـن قصـيدة القناعـة البلهاء(١):

إن الحيـاة كمـاء البحـر مطلقـة إلـى الجميـع لا منـع ولا حـذر

فكيـف تنـزل عنهـا النـاس طيعـة والـوحش يطلبهـا والطيـر والشـجر؟

شبه الشاعر الحياة بماء البحر في كونها ملكا للجميع، فكذلك الحياة متاحة لجميع الناس، ومن لم يستطع أن يحصل عليها طواعية فعليه أن يقاوم حتى ينال منها بغيته، وينازعها غيره بالقوة، وهي دعوة إلى التسابق والتسارع إلى المجد وارتقاء أعلي المنازل، وتذليل العقبات بالجد والمثابرة والصبر والثبات.

هذا التشبيه يوحي بتأملات الشاعر الطويلة في الحياة والناس، فهو لا يحب ذلك النوع المتخاذل الذي يركن إلى الكسل ويقنع بما قدر له ظنا منه

(١) السابق: ١/ ٢٠١.

أن هذه قناعة، فعلى المرء أن يسعى ليصل إلى أعلى المراتب، وهذه التأملات تشف عن سمو الطموح، وعلو الهمة، وعدم الرضا باليسير، إذ لا بد من الكفاح والقوة في هذه الحياة، لا كما ينظر إليها الضعيف الراضي منها بما أتاه، ولو كان نزراً يسيراً.

**٢- الاستعارة**

وسيلة أخرى من وسائل تشكيل الصورة، تخرج فيها الألفاظ عن دلالاتها المعجمية أو الوضعية إلى دلالات إيحائية جديدة، تكسب النص قوة وفعالية، وهي أداة فنية تبرز أغراض الفكرة المطلوبة، وتكشف عن الجانب الفني الذي ينقله الشاعر إلى المتلقي.

والاستعارة تبرز المعاني في صورة حية نابضة، وتتسم بقدرتها على تصوير الأحاسيس والتعبير عما يختلج في النفس بما لا يستطيع التعبير الحقيقي أن يقوم به، وقد راوح الشاعر فيها بين التشخيص والتجسيد فخلع على مظاهر الطبيعة صفات الإنسان، وألبس الجمادات لباس الحياة، مما كان له أثر كبير في إضفاء الحركة والحيوية في شعره.

من نماذج الاستعارة قول الشاعر من قصيدة (غروب):(١)

هذه الشمس تلقاها الصباح ... بمحيا مشرق

وشدت في عشها ذات الجناح ... تحتفي بالرونق

وبكى الورد لديها والأقاح ... بدموع الملق

وتجلى النهر وضاح الجبين ... مثل ذوب الذهب

(١) السابق: ١/١٢٥ .

صورة استعارية يتأمل فيها الشاعر مشاهد الطبيعة عند شروق الشمس في الصباح الباكر، وقد شخص الشاعر مظاهر الطبيعة وألبسها ثياب الأحياء، ومنحها صفات الإنسان، فاستعار للشمس وجها، والورد يبكي بدموع غزيرة، والنهر له جبين وضاح، وهذه الصفات من لوازم الإنسان على سبيل الاستعارة المكنية.

هذا التشخيص قد أضفى على المعنى العمق والوضوح، وعلى الفكرة القوة والرسوخ، وعلى الصورة الحركة والحيوية، والإثارة والمتعة الفنية، كما أنه أيقظ المتلقي، وجعله يتفاعل مع الشاعر، ويشاركه تجربته.

والاستعارة هنا تكشف لنا عن تأمل الشاعر في مظاهر الطبيعة، وافتتانه بها، كما أضفت على الصورة الحيوية والمرونة وشدت انتباه المتلقي ورسخت الفكرة، وأبرزت المعنى للمتلقي وقربت له الصورة.

ومن نماذج الاستعارة- أيضا- قول الشاعر من قصيدة (داري بالريف):([1])

أيها الدار فيك عهد تقضى ... حبذا العهد إنه كان غضا

يوم كنا نهب والزهر باك ... أمعن الطير فيه وخزا وعضا

نرقب الصبح حين يدرج كسلا ... ن ثقيل الخطا يغالب غمضا

ونسيم الصبا يسر إلى النهر ... فيبدو مقطبا ثم يرضى

فيه تطفو أزاهر كالأماني ... بين موج الحظوظ حاولن نهضا

استعان الشاعر بالتشخيص فخلع على مظاهر الطبيعة صفات الإنسان، فالزهر يبكي، والصبح يصحو من نومه كسلان ثقيل الخطا، ونسيم الصبا يبوح بأسراره للنهر، وهو يقطب وجهه، ويغضب ثم يرضى، وهذه الدار قد

(١) عود على بدء: ص ١١٣ .

ولى شبابها، وطال بها العمر، وسيطر عليها الهرم، كأنها رجل طاعن في السن، والشاعر يرى نفسه في هذه الدار التي أصابها الوهن وتمكن منها الهرم.

إن الاستعارة هنا تؤكد خروج الشاعر من مجرد وصف مظاهر الطبيعة إلى التأمل في مشاهدها، وقد أضفي التشخيص على الصورة الحركة، وبث فيها الحياة، وبعث فيها الإثارة والمتعة، كما أيقظ المتلقي وشد انتباهه.

كما لجأ الشاعر إلى التجسيد فجسد الأماني هذا المعنى المجرد، وهذا من شأنه أن يبعث في الصورة الحركة والحياة:

فيه تطفو أزاهر كالأماني بين موج الحظوظ حاولن نهضا

إن مظاهر الطبيعة في هذه الصورة جاءت حية تنطق بما يريد الشاعر، لقد تأملها الشاعر ونظر إليها نظرات طويلة متتابعة، وصبغها بحسه وشعوره، وحولها إلى شخوص يحاورهم، ويبث إليهم ما يعتمل في نفسه من آمال وآلام، وفي هذا ما يؤكد اندماجه مع مظاهر الطبيعة من حوله وأنسه بها.

ومن نماذج الاستعارة التي اعتمد فيها الشاعر التجسيد قوله في قصيدة (الشباب الشهيد)([1]) والتي يتأمل فيها نفسه وقد وفد إليها المشيب، فتأتي القصيدة في صورة حوار بين الشاعر والشباب:

جاء الشباب إليّ مشـ ـبوبَ الجوانح والبصر...
ومضى وعاد يقول لي: أصبحت أشكو الاعتلال
وأحس صدري ضيقا هلا فسحت لي المجال
ألهو وألعب مثل غيـ ـي، قلت: بل هذا محال

(١) السابق: ٣٢٨/١ .

هـــذا هـــو الطـــيش الـــذي يـــــزري بأقـــــدار الرجـــــال
فـــــالزم وقـــــارك يـــــا شـــــبا بـــــي وارعـــــه فـــــي كـــــل حـــــال
فأطـــــاعني فـــــي حســـــرة وأراق بـــــين يديـــــه عبـــــرة

حوار بين الشاعر والشباب حيث يتأمل الشاعر في نفسه وقد ولى عنها الشباب وذهب، ومرت أيام الصبا عجالا، وقد جسد الشاعر الشباب – ذلك المعنى المجرد–وجعل منه شخصا يناجيه ويحاوره على سبيل الاستعارة المكنية، فهو يجيء، ويمضي، ويذهب، ويعود، ويتكلم، ويشكو آلام المرض، ويحس بالضيق في صدره، وهو يلهو ويلعب، ويطيع، ويبكي.

إن الاستعارة هنا تكشف لنا عن تأمل الشاعر في نفسه وما أصابها من أثر المشيب، وتؤكد استحالة أن يعود الشباب، وتوحي بأن الزمن لا ينتظر أحدا، فالأيام والشهور تمر سريعا، لتؤكد لنا انتهاء عمر الإنسان، وفناء هذه الحياة.

### ٣- الكناية

كما اعتمد شاعرنا على التصوير من طريق الكناية، فهي وسيلة مهمة من وسائل التصوير، ولون بديع من ألوان الخيال، ولها دورها البيّن في الكشف عن تجربة الشاعر وما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس لا يستطيع التعبير عنها صراحة، كما لها دورها البارز في التأثير في المتلقي.

والكناية "تفيد الألفاظ جمالا، وتكسب المعاني ديباجة وكمالا، وتحرك النفوس إلى عملها، وتدعو القلوب إلى فهمها، فإن أوقعتها في المدح

**كانت أرفع وأحسن، وفي نفس الممدوح أوقع وأمكن، وإن صدرتها للذم كانت آلم وأوجع، وإلى ذكر فضائح المذموم أسرع وأخضع"(١).**

**من نماذج الكنايات الجيدة قول الشاعر مخاطبا ولده، من قصيدة (ولدي الأول):**

**بيد أني وإن استد ... فعت ميلادك حينا**
**ورأيت الكون ميدا ... نا يهول الضاربينا**
**لا أرى عيشك نكرا ... بعد أن صار يقينا**
**إنما النكر شديد النكـ ... ـر في أن تهربا**
**صرت في الميدان فاحمل ... راجلا أو راكبا**
**حملة يعتدها القا ... ئد أمرا واجبا**
**وسواء عدت منها ... ظافرا أو خائبا**
**إنما الواجب أن تحـ ... ـمل لا أن تغلبا(٢)**

**تأملات الشاعر في الحياة جعلته يراها ميدانا يتعارك فيه الأعداء؛ والمرء في هذه الحياة عليه أن يقاوم ويقاتل حتى يعيش ويثبت نفسه في ميدان الحياة، فإن لان فلا عيش له فيها، وهي كناية توحي أن الحياة تعب كلها لا يجني المرء منها إلا المشقة والعنت، فلا هدوء فيها ولا استقرار، ولا أمان ولا دعة، لذا عليه أن يحمل على نفسه، وأن يقاوم الشدائد والنوازل حتى يحصل على بغيته.**

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي ٤٣٤/١، ٤٣٥، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٢) ديوان عماد: ٢٣٤/١ .

ومن نماذج الكناية –أيضا– قول الشاعر في قصيدة (الجمال العصري)(١) منتقدا عادات المرأة السيئة وجريها وراء الموضة:

قل للجميلة أرسلت أظفارها إني لخوف كدت أمضي هاربا
إن المخالب للوحوش نخالها حتى رأينا للظباء مخالبا

تأملات الشاعر في الحياة تأخذه إلى نقد المرأة العصرية التي بهرتها بعض السلوكيات الغربية فراحت تلهث وراءها، حتى فسدت أخلاقها، وخرجت عن الفطرة التي فطرها الله عليها، لقد أرسلت تلك المرأة العصرية أظفارها فصارت لها مخالب كمخالب الوحوش، وغيرت خلق الله تعالى، وهي كناية عن طول هذه الأظفار، فيها استنكار وتوبيخ لهذا النوع من النساء الذي خرج عن الفطرة، وراح يغير في خلق الله، فأودت بجمالها، وخرجت عن أنوثتها.

إن الشاعر لجأ لهذه الكنايات للكشف عن تأملاته، وترسيخ أفكاره، وتحقيق المعنى، وتفخيمه، والمبالغة فيه، فالكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح(٢).

## ثانيا- الصورة التقريرية

اعتمد الشاعر في التعبير عن تجربته التأملية على الصورة التقريرية، وأعني بالصورة التقريرية هذا اللون من التصوير الذي لا يعتمد على المجاز، وإنما يعتمد على دلالات الألفاظ وإيحاءاتها، وتآلف الكلمات وإرشاداتها، فيجعل الشاعر اللفظ وعاءً للصورة وجسمًا لها دون الحاجة إلى الألوان البيانية.

---

(١) السابق: ٢٩٥/١ .

(٢) انظر نماذج أخرى للكناية ديوان عماد: ١٤٤/١ ، ٢٥٧.

والصورة التقريرية أو الوصفية هي "الصور التي تتقرَّر هيئتها لدى المتلقي بوسَاطةِ مدلول كلمات التعابير التي نهضت برسمها من غير اللجوء إلى أساليب البيان"(١)، وقد أكثر الشاعر في اتكائه على هذه الصورة وأجاد.

ومن نماذج الصورة التقريرية قصيدة (الله)(٢) حيث يأخذ التأمل الشاعر بعيدا إلى البحث عن وجود الله تعالى، وعن عرشه، وينتهي من تأملاته إلى أن وجود الله سبحانه، والوقوف على قدرته وعظمته تتجلي للمتأمل في هذا الكون الفسيح المحكم الصنع، يقول مصورا هذه التجربة الخيالية:

في النوم أو في الصحو أو في ... مما تغيب بها النفوس وتحضر
ناديت ربي أن يريني عرشه ... كيما أَبُل صدىً إليه يسعَّر
أين استقر، وما محيط مقره ... حتى استوى فيه الجلال الأكبر؟
وإذا بشخصي طار من فوق الثرى ... وسما إلى حيث الثرى يتبخر
واجتاز أقطار الوجود فلم يعد ... يبدو له الكون الحفيل ويظهر
وهناك أسقط من ظلام دامس ... لم يدر أيّ جهاته يتخير
فمشى وراء يديه يدفع عينه ... من جفنها لكنها لا تبصر
الله، أين الله ،أين ضياؤه ... يهدي إليه مشوقا يتعثر؟

---

(١) بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق: د/ كامل حسن البصير، ص ٢٦٨، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) ديوان عماد: ١٩٥/١ .(من الكامل التام).

يتصور الشاعر أنه قد طار فوق الثرى، حتى سما إلى العلا، ثم أسقط في ظلام دامس ولم ير شيئا، وقد عبر عن تجربته التأملية بالكلمة واللفظة الموحية، فالعبارات: (ناديت ربي، يريني عرشه، كيما أَبِلُّ صدىً إليه يسعَّر، شخصي طار فوق الثرى، اجتاز أقطار الوجود، يظهر، ظلام دامس، لم يدر، يتخير، مشوقا، يتعثر) تؤكد تلهف الشاعر للوصول إلى الحقيقة التي ينشدها، كما تشف عن شخصية متلهفة لمعرفة ما غاب عنها، والاستفهام في قوله: (أين استقر؟، ما محيط مقره؟ أين الله؟، أين ضياؤه؟) يكشف عن الحيرة المسيطرة عليه، ويشف عن نفس قلقة تود أن تصل إلى غايتها التي تبحث عنها.

وبعد هذه التأملات الطويلة، والأسئلة المحيرة يقف الشاعر على الحقيقة المنشودة، وهي أن من أراد أن يعرف الله تعالى وتتجلى له قدرته وعظمته، فعليه أن يتأمل هذا الكون الفسيح، وهذه الآفاق الرحبة الواسعة التي تؤكد أن لهذا الكون خالقا وهو الله سبحانه البديع:

حتى إذا طال السَّرى وهفت به ... قدماه وهو لآية يتنظر
وبدا بصحراء الظلام كدمعة ... في مقلة مكحولةٍ تتحيّر
رُفعت له نار فخرَّ لوجهه ... صعِقا يمجد ربه ويكبر
وإذا به في الأرض يسجد للضحى ... قد راقه منه الخضاب الأحمر
فعلمت أن الكون أقدس معبد ... فيه يُري وجه الإله ويُنظر

ثورة نفسية تطغى على الشاعر، وتهيمن على فكره، عبرت عنها الكلمات والعبارات:( طال السرى، هفت به، ينظر، صحراء، الظلام، تتحير، خر لوجهه، صعقا، يمجد ربه ويكبر، يسجد للضحى، فعلمت، الكون أقدس معبد فيه يرى وجه الإله وينظر).

وواضح تأثر الشاعر لفظا ومعنى بقصة موسى – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

إنها صورة جامعة رسمت بالكلمات وعبرت عنها الألفاظ، هذه الألفاظ تكشف لنا عن حيرة الشاعر التي أخذت في الهدوء شيئا فشيا في طريقها إلى معرفة الحقيقة والوصول إلى اليقين، فتأملات الشاعر الطويلة التي تشف عنها الكلمات الموحية قادته من الشك والقلق والحيرة إلى اليقين ومعرفة الله عز وجل البادية في خلقه البديع، ومظاهر الكون الواسعة، وهي تكشف أن لهذا الكون خالقا قديرا، وهي برهان ساطع على وحدانية الله، وكأن الشاعر يلفت الأنظار إلى الذين يشككون في وجود الخالق سبحانه وتعالى، مؤكدا لهم أن من أراد معرفة الله عز وجل فليتأمل هذا الكون العجيب ليرى عظمة الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته: "إن محور عقيدة الإسلام هو الإيمان بوجود إله واحد أحد، خلق الكون جميعا بإرادته، وأقامه جميعه على نظام واحد، لغاية هو وحده الذي يعلمها، على الرغم مما يبدو في الظاهر بين مظاهر هذا الكون من تفاوت وتباين"(٢).

(١) سورة الأعراف: الآية (١٤٣).

(٢) في النقد الأدبي الإسلامي: د/إبراهيم عوضين، ص ٣١٨ ، مطابع الشناوي بطنطا، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

ومن نماذج الصورة التقريرية- أيضا- من تأملات الشاعر في الحياة في شباب عصره، يحارب تخنثهم وتميعهم وركونهم إلى الرقة والتكسر واللين متشبهين بالمرأة، يقول من قصيدة (فتيان العصر):(١).

رجلا تنادى إذ دعوت محمدا ... أم غادة ذكرتها متعمدا
إني أرى شعرا تكسر لامعا ... كالماء مسته الصبا فتجعدا
وأرى محيا ليس من أثر به ... للشعر محفوَّ الجوانب أجردا
لا لحية مما عرفت وشارب ... كان الجدود به يخيفون به العدى
والحاجب المعهود بدد شمله ... فإذا به قد صار خيطا أسودا
والخد والصدغ استعارا صبغة ... فابيض هذا حين ذاك توردا
وأرى قواما دق خصرا وارتمى ... ردفا يسير تخطرا وتأودا
ويثير أنى حل عرفا ذاكيا ... فكأن من وشي الحديقة ما ارتدى
وإذا سمعت سمعت لفظا هافيا ... آنا وآنا آهة وتنهدا

يرسم الشاعر صورة لشباب عصره وقد تخنثوا وتشبهوا بالنساء في أفعالهم وأقوالهم؛ فراح يعبر عن ذلك في شعره رافضا هذا التوجه، داعيا الشباب إلى الاستقامة والترجل، والمتأمل في أبيات القصيدة يجد الشاعر في رسمه صورة شباب عصره يعتمد على الألفاظ وما توحي به، فقد صورت الكلمة هؤلاء الفتية في أفعالهم وأقوالهم:

فالكلمات والتراكيب:(غادة، شعرا تكسر، لامعا، محيا، محفواّ، أجردا، لا لحية، لا شارب، الحاجب صار خيطا أسودا، والخد والصدغ مصبوغان) تصور مظهرهم الخارجي، وهي توحي بتخنث هؤلاء الشباب في مظهرهم،

(١) ديوان عماد: ٣٧١/١ .(من الكامل التام).

حتى لا تستطيع أن تفرق بين الفتى والفتاة، فالحاجب مزجج مرقق، والوجه مصبوغ، والشعر متكسر، تهيمن عليهم صفات الأنوثة بكل معانيها.

والألفاظ والعبارات: (قواما، دق خصرا، وارتمى ردفا، تخطرا، تأودا، عرفا ذاكيا) ترسم صورة مشيتهم وتبخترهم وتمايلهم كالنساء المتبرجات، بما يوحي بانعدام الرجولة منهم وسيطرة التخنث عليهم في حركاتهم وفعالهم، وهو مسلك شنيع، وسلوك مرفوض يرفضه الإسلام، ويأباه الذوق السليم.

أما الكلمات: (لفظا هافيا، آنا وآنا، تنهدا) فهي تصور طريقة كلامهم، وهي طريقة تبعد عن مسلك الرجال في الحديث، وتقترب من أسلوب المتبرجات.

إن تأمل الشاعر في حياة الناس من حوله كشف لنا عن هذا الصنف من الشباب، وقد استطاعت الألفاظ أن تصور لنا هؤلاء الفتية، فالكلمة هي التي صورت هؤلاء الفتية المخنثين، وهي التي أوحت لنا بصفاتهم وفعالهم وأقوالهم، وكشفت عن هذا النوع الذي يضر المجتمع أكثر ما ينفعه، وأكدت للمتلقي تشبههم بالنساء، وانعدام الرجولة منهم، وموت الجد في نفوسهم، وتملك العبث منهم، وسيطرة الضعف الأخلاقي والتخنث عليهم، وهذا كله لا يليق بشباب أمة تجاهد في سبيل رقيها وتقدمها، والدفاع عن أوطانها ضد المستعمر.

لقد اعتمد الشاعر على الصور التقريرية في الكشف عن تجربته التأملية، وعبر بالكلمات ودلالاتها عما يريد تصويره، وأدرك إيحاءات الكلمة وما تدل عليه وتشي به، واستطاع أن يوظفها في تصويره، والتعبير عن أفكاره

**وتأملاته، وترجمة معانيه، وفي هذا ما يشير إلى وقوفه على ما توحي به الكلمة من دلالات وظلال، ويؤكد مقدرته الشعرية(١).**

## ثالثا- الصورة الكلية

**تعتمد الصورة الكلية في تكوينها على عدد من الصور الجزئية أو المفردة التي تتآزر وتتحد حتى تشكل في مجموعها لوحة فنية، تتجلى فيها قدرة الشاعر أكثر مما تتجلى في الصور المفردة أو الجزئية.**

**والصورة الكلية تربط بين أجزائها إما حالة نفسية مستمرة تشكل في مجموعها بعدا نفسيا واحدا، وإما فكرٌ فلسفي معين يشملها جميعا، أو كلا الأمرين معا، مما يخرج بالصورة من حيز الجزئية إلى حيز أكبر وهو الصورة الكلية(٢).**

**وليست الصورة المفردة أو الجزئية وحدها هي القادرة على تشكيل الصورة الكلية؛ وإنما "تتآزر معها الكلمات الدالة على اللون، والصوت، والحركة، وكذلك الكلمات الموحية، كل هذه العناصر مجتمعة هي القادرة على رسم اللوحة الفنية المتكاملة من جميع جوانبها"(٣).**

**من نماذج الصور الكلية الجامعة لعدد من الصور الجزئية تصوير الشاعر لابنته التي التهمها الموت ولم تبلغ عامها الثاني في قصيدة (ابنتي)(٤).**

---

(١) انظر نماذج أخرى للصورة التقريرية ديوان عماد: ٧٤/١ ، ٣٦٩/١ ، وغيرها.

(٢) انظر: صورة الأسد في شعر أبي زبيد الطائي: د/ صلاح عبد الحافظ ، ص ٥٠ ، دار المعارف، القاهرة، بدون.

(٣) رسائل القاضي الفاضل دراسة تحليلية: د/ محمد عبد الرحمن عطا الله، ص ٢٢٨، دار الحضارة للطباعة، طنطا، الأولى ٢٠٠٠م.

(٤) ديوان عماد: ٢٩٠/١ . (من مجزوء الكامل).

يرثيها الشاعر بقصيدة دامعة، ويبكيها بدمع غزار على فراقها، وهي لا تزال في مهدها، متأملا الموت الذي لا يغادر صغيرا ولا كبيرا إلا أتى عليه، وإذا كان الأبناء هم بهجة الدنيا، وزينة الحياة، فإن فقدهم هو الرزء الذى يقصم الظهر، ويثقل الإصر، وهو أعظم ما يفجع به الإنسان، يقول:

عاما قضيت ونصف عام ... في النبت أنت أم في الحمام؟
ما مثل هذا العمر يصـ ... ـلح بين أعمار الأنام
أتراك جئت لغاية ... وفرغت منها في سلام؟

راح عماد يصوغ من دموعه الحري شعرا في رثاء ابنته، متأملا حقيقة ذلك المارد الذي اختطفها وهى ما تزال في لفائف مهدها، ويبكها بكاء حارا، ويخاطبها متحسرا على فراقها، فهي مبعث السرور في نفسه وقلبه، يرتاح لرؤيتها والتأمل فيها، لذا يتساءل تساؤل المذهول الذي أفقده الحادث لبه وصوابه عن تلك الجناية التي اقترفتها تلك الصغيرة حتى يصوب إليها الموت سهامه، فبدل السرور حزنا، وجعل العيون تذرف دمعا مدرارا، يقول:

فيم السرور بعثته ... فينا فعاجله الحزن؟
فيم الدموع أرقتها ... في الحي من غير ثمن؟
ما كان أغناك وأغـ ... ـني الحي عن هذا الختام

الاستفهام هنا يشير إلى الحزن الذي ألم بالشاعر وسيطر عليه، والطباق بين (السرور/الحزن) يوحي بقصر عمر هذه الطفلة التي لم تكمل عامها الثاني، فلم يلبث الشاعر أن يفرح ويبتهج بطفلته حتى اختطفها الموت من بين يديه.

ثم يشير الشاعر إلى غدر الزمان، وانقلاب الدهر، ويد البلى التي امتدت فجأة إلى ابنته، والموت الذي حرمها من أن تشتم عبير الحياة ونسماتها، مؤكدا أن الدنيا ليس فيها إلا الشر:

لكنـــــه غـــــرض أســـــأ ت بـــــه إلينـــــا يـــــا فتـــــاة
ومـــــن الـــــذي غيـــــر الإســـــا ءة نـــــال مـــــن تلـــــك الحيـــــاة؟
الشـــــر غايتهـــــا، أمـــــا تفضـــــي إلـــــى المـــــوت الـــــزؤام؟

نزعة تشاؤمية سيطرت على الشاعر جعلته يرى الدنيا بعين سوداء، لا ترى أمامها إلا الشر، هذه التشاؤم نابع من حزنه الشديد على وفاة ابنته وهي في مهدها.

والشاعر(الأب) المتأمل في حقيقة الموت لا ينسى نظرات ابنته وحركاتها، فيصورها في دقة وبراعة، فيبكى حركاتها، ويندب نظراتها التي كانت تتجول في أنحاء البيت كأنها تحدثه فتملأ قلبه فرحا وبهجة، ويتحسر لفراقها، يقول:

لـــم أنـــس نظرتـــك التـــي كانـــت حـــديثا ذا شـــجون
وتملمـــلا لـــك فـــي الفـــرا ش وحيـــرة تُنـــدي الجفـــون
ويـــديك تقتحمـــان ثغـــ ـــرك تبحثـــان عـــن الســـقام

إن تأمل الشاعر في حقيقة الموت وما يفعله بالبشر جعله يدرك أن الموت لا يفرق بين صغير وكبير، ولا قوي وضعيف، فهو يأتي على الجميع لا يبقي على أحد ولا يذر، لذا وجدناه مؤمنا بالموت معترفا بضعفه أمامه، فهو يقضي على كل قوي، وكل كبير أمامه صغير، يقول:

قـــد كنـــت تســـتدعين (بـــا بـــا) فـــي الصـــغير مـــن الأمـــورْ
يـــا خـــزي بابـــا إذ تخلـــ ـــى عنـــك فـــي الأمـــر الخطيـــرْ

فـــرأى الـــردى يعـــدو عليـــ ـــــك ولا دفـــــاع ولا مـــــلامْ
أكبرتنـــــــي فحســـــــبتني أقـــوى قـــوى هـــذا الوجـــودْ
مـــا دمـــت أملـــك دفـــع هـــر ر عنـــــك أو طفـــــل عنيـــــدْ
واســـطعت حملـــك باليـــدين وأن أجيئـــــــك بالطعـــــــامْ

إننا تقرأ هذه الأبيات فترى الحزن وقد انبعث من وحى وجدان الشاعر المتألم، وترى تلك المشاعر الحزينة وقد تجسمت أمامك، وما ذلك إلا لأن الشاعر أثر فيه موت طفلته الصغيرة، وسيطر الحزن عليه، وتشبعت تجربته بكل ما حفل به من مشاهد أليمة على نفسه، وهو اعتراف واضح من الشاعر بالموت وسطوته، وضعفه أمام جبروته وقوته، وأنه لا نجاة منه لأحد.

هذه العاطفة الحزينة التي سيطرت على هذه الأبيات جسدتها ألفاظ موحية، وأساليب مصورة اهتدى إليها الشاعر فنقلت إحساسه بصورة رائعة، وطابقت انفعاله بالتجربة مطابقةً تكاد تكون متقاربة، نلحظ ذلك ماثلا في الألفاظ (تستدعين، خزي، تخلى عنك، الأمر الخطير، الردى، يعدو عليك، لا دفاع، لا ملام) وهي توحي بالألم الشديد والجزع الذي سيطر على الشاعر، وتشف عن حزنه العميق على وفاة ابنته التي اختطفها الموت، وتوحي بعجزه أمامه، وأنه لا حيلة له في دفعه.

ثم يعود الشاعر فيعترف بجهله بالموت وحقيقته، وأنه لا حيلة لأحد في دفعه:

هـــذا مجـــال يـــا بنيـــ يـــة لـــيس فيـــه مـــن يجـــول
يســـمو عـــن العقـــل الحصيـــ ـــف ولـــيس يبلغـــه الـــذهول
ولربمـــــا كـــــان الرغـــــا م أبـــــر مثـــــوى بالأنـــــام

إن الشاعر المتأمل في حقيقة الموت يدرك أنه لا يستطيع أن يسبر أغوار ذلك المجهول، ولا يستطع أن يصل إلى حقيقته، لذا فهو يقف أمامه موقف المتأمل العاجز المسلم لقضاء الله –تعالى– وقدره.

والحزن الذي ألم بالشاعر وسيطر عليه لفراق ابنته جعله يرى الحياة كلها تعبا وشقاءً، وأن في الموت الدعة والسلام، فالأولى رثاء الحي لا الميت:

أو لستَ أنتَ الآنَ أبـ ... ـعدَ منْ أبيكَ عنِ الشقاء؟
وأبوكَ أحوجُ منكَ للتـ ... ـأْ بينَ بعدَكَ والرثاء
فعليَّ ليسَ عليكَ يجْـ ... ـملُ منْ دموعي الانسجام

ويبلغ به الحزن مبلغه، فيرى الدنيا شرا كلها لا خير فيها، وهي نزعة تشاؤمية سيطرت عليه جعلته يرى الدنيا بعين سوداء، فالعيش فيه الشر والخصام ولا خير فيه، وفي الموت الراحة والدعة والسلام:

لا تأسفي أن نلتَ عمـ ... ـرا قد تناهى في القصر
وحُرمتِ أن تستنشقي ... نسماتِ عيشكِ في البكر
وأبيكِ ما في العيشِ إلا ... الشرُّ محضا والخصام

ثم يعود الشاعر متأملا في الموت وسطوته وقد سيطرت عليه نزعة التشاؤم، فيحتقر نفسه أمام الموت، بل كل شيء في هذا الكون أمام الموت لا شيء:

ما نحن؟ ما الأيام؟ ما الـ ... ـدنيا العريضةُ؟ ما الأمل؟
لا شيءَ لكنْ هكذا ... بالعيشِ نغرى والعملِ
نبكي على الموتى كأنـ ... ـا قد خصصنا بالدوام

إن تأمل الشاعر في الموت وحقيقته جعله في حيرة وذهول، فيتوجه سائلا نفسه مستفهما لا يدري من هو، وما حقيقة هذه الدنيا من حوله، وما

حقيقة الأيام، وما قيمة الآمال ما دامت النهاية معروفة ومحتومة وهي الموت الذي حتما يقضي على الآمال والآجال.

إنها نزعة تشاؤمية سببها هذا الحادث الأليم، فقد سعر الحزن قلب الشاعر على موت ابنته فبكاها بدموع غزار، وجذوات الحزن الممض تلذع فؤاده، وهذا دافع قوي جعل الشاعر يتأمل في حقيقة الحياة والموت، فتساءل عن الوجود، وعن النفس، وعن الزمان، ثم مد ببصره إلى الموت وما بعده.

ثم تتبدد هذه التشاؤمية في نهاية القصيدة، ويعود إلى الشاعر التفاؤل وتسيطر عليه نزعة الإيمان بقضاء الله وقدره، فيقول:

يـــا زهـــرة لـــي فـــي الربيـــ ـــع ذوت وقـــد زكـــت المـــروج
كـــوني غـــدا لـــي زهـــرة فـــي الخلـــد ناميـــة الأريـــج
حيـــث الأزاهـــر لا تحـــو ل وحيـــث موتـــك لا يـــرام

فهو يتمنى أن يلتقي بابنته لتكون له زهرة تضيء في الحياة الآخرة، في جنة الخلد بإذن ربه، حيث يدوم في الأزهار عبقها الشذي، وحيث تبقى الحياة دائمة فلا ينال الموت من الأحياء، وهي نظرة تأملية تتفق والتصور الإسلامي الصحيح.

هذه الصورة جاءت جامعة، فالأفكار فيها متلاحمة متلاحقة، والقصيدة بناء متكامل لا يستغني جزء منه عن الآخر، والشاعر لم يحصر رؤيته عند تأمل الموت فقط، وإنما استوعب اللوحة كلها، فرسم صورة ابنته قبل أن يداهمها الموت، وصوّر حركتها وهو يهدهدها في سريرها، كما عبر عن تأملاته في الحياة وقد رآها كلها شرا محضا لا خير فيها، كما رسم صورة الموت وهو يلتهم ابنته ذات العام والنصف من بين يديه، وصور

نفسه وما أصابها من ألم ويأس حتى سيطر عليها التشاؤم، وأخيرا تقابلنا صورة البحث عن الذات، وعن أصل كل شيء في هذه الحياة، وينتهي الشاعر من تأملاته إلى أن كل شيء أمام سطوة الموت لا شيء، فالصور تنمو نموا طبعيا في إطار نفسي يتفق مع الحالة النفسية المسيطرة على الشاعر.

وقد اجتمع لهذا الصورة ما يثريها ويغنيها، فالحركة بادية في الكلمات والعبارات: (الدموع، تململا لك في الفراش، يديك تقتحمان ثغرك، تبحثان، تستدعين بابا، اسطعت حملك، دفع، أجيئك بالطعام) وهي توحي بتأمل الشاعر لابنته ونظراته الطويلة إليها، وأثر ذلك في نفسه، هذه الحركة تضفي على الصورة الحيوية، وتثريها وتجعلها حافلة بالحياة.

كما كان للاستفهام دوره المهم في هذه الصورة: ( أتراكِ، فيم السرور، فيم الدموع، ومن الذي، أما تفضي، ما نحن، ما الأيام، ما الدنيا، ما الأمل؟)، وهي استفهامات نابعة من تأملات الشاعر في حقيقة الموت والحياة، وهي تشف عن معاني الدهشة، والحيرة، والاستغراب، والتردد أمام حقيقة الموت، والاستفهام من شأنه أن يقرع آذان المتلقي فيوقظه ويشده ليتفاعل مع الشاعر في تجربته التأملية، كما يضفي على النص الحركة والمرونة والحيوية، ويؤكد تأمل الشاعر في أمر الحياة وحقيقة الموت.

ومن نماذج الصورة الكلية الجميلة قصيدة (الساقية الجافة) ، لقد تأمل عماد هذه الساقية ووقف أمامها وقفات طويلة، تأملها وقد جارت عليها عوائد الزمن، وأثر فيها الدهر، وقد رأى فيها نفسه وقد تمكن منها المشيب، فثارت أشجانه وأحزانه وراح يخاطبها:

برغمي أيتها الساقية وقوفك صامتة صادية

وبالأمس كنت تروين تلك الـ حقول بأمواهك الجارية
فتجري النضارة في زرعها وفي أهلها البشر والعافية
وكم قد أغارت عصافيرها أهازيجك العذبة الصافية

يرسم الشاعر صورة الساقية يوم أن كانت بالأمس تروي الحقول وتغمرها بمياهها الجارية العذبة، فتبعث في مظاهر الطبيعة من حولها البشر والسرور والبهجة، وتبث في الزروع النضارة والجمال والبهاء، فالعصافير تغرد حولها، والأشجار تتمايل فرحا بالسقيا، وكل مظاهر الطبيعة حول هذه الساقية فرحة مسرورة.

ثم يعود الشاعر متأملا هذه الساقية يبكي مجدها الغابر، وما أصابها من عوائد الأيام متسائلا:

فأين تحول عنك ا لغدير وأين الهراوة والماشية؟
وأضراسك الصابرات الشدا د وهي اليوم من سوسها ماهية
وصفصافك الغض كيف استحا ل عصيا منكسةً جافية؟
يمر النسيم بها لا تميل وكانت تراقصه حانية
وتلقى العناكب منها سدى متينا للحمتها الواهية
كأنك في نسجها جثة تردت بأكفانها البالية
وأن تراتيل الذباب ترا تيل تُزجى إلى روحك النائية

لقد أثر الزمن في هذه الساقية، وغير معالمها، فأصابها الصدأ، ووهنت قوتها، فتغير حالها من قوة إلى ضعف فباتت بالية، قد أصابها الصدأ والوهن فتكسرت أضراسها، وتبدلت معالمها، وكانت هذه الساقية تحت صفصافة كبيرة مخضرة لكنها استحالت جذعا جافا هربت منه الغضارة

والنضارة، وعششت حولها العنكبوت، وكانت بالأمس يمر عليها النسيم فتتراقص فروعها.

إن الأفعال (تحول، استحال، يمر، لا تميل، تلقى، تردت، تزجي) تؤكد التغيير الواضح الذي طرأ على هذه الساقية، وتوحي بأن الزمن غير فيها وبدل معالمها فأمست جثة هامدة، كما تدل على تأمل الشاعر الطويل، وفي هذا ما يؤكد الصورة ويجليها.

ثم يرثي الشاعر هذه الساقية ويبكي ما حل بها من عوادي الزمن بعد أن كانت تبعث في مظاهر الطبيعة من حولها الحياة، يقول:

فنحن أمام وفاة ... أجل وفاة تعز على الناحية
وإن حياة هنا اليوم ماتت بموتك أيتها الساقية
ألـيس دليل الحياة الكلا مُ؟! فكم قد خطبت على الرابية؟
وهل بعد موت سوى وحشة أرى وحشة لك تغري بيه

فكم من حياة ماتت بموت هذه الساقية التي كانت تبعث في مظاهر الطبيعة الحياة والبشر والسرور، وتجمع حولها الأطيار التي تبعث أعذب الألحان بصوتها الشجي. ثم راح الشاعر يخاطب المارين على هذه الساقية ليقفوا في خشوع أمامها يبكونها كما يقفون أمام المقابر:

ألا أيها السالكان إلى الحي أقصى الطريق، أصيخا ليه
وقولا لزوار مقبرة الحي للحي مقبرة ثانية
تثير الشجون بأيحاشها وأطياف أيامها الخالية
فحيوا ثراها بحفنة ماء زلال وريحانة نادية

قصيدة تأملية رائعة، وصورة كلية جامعة، أرى الشاعر فيها يرثي نفسه وقد أصابها الوهن وسيطر عليها المشيب، وطال به العمر وجف ماؤه كما

جفت هذه الساقية، فهو يرى في هذه الساقية نفسه، وقد أسقط عليها مشاعره وأحاسيسه وكأنه يرثي نفسه لا الساقية، فهذه الساقية في وحشة تشبه وحشته بين معالم المدينة والمجتمع الذي يحيا فيه:(أرى وحشة لك تغري بيه).

هذه الصورة الفنية تضم أكثر من صورة تتآلف وتتلاحم لتكون اللوحة الأم، لوحة الساقية التي غير الدهر معالمها فبدت صادية ميتة، فقد ذكر الشاعر من عناصر هذه الصورة ما يتصل بها، فلم يحصر رؤيته عند وصف الساقية وصفا مجردا، وإنما رسم صورة الساقية في عهدها الأول يوم أن كانت تروى الحقول بمياهها الجارية، وتحيي موات الزرع، والعصافير تغرد حول مياهها فرحة مسرورة، والأشجار من حول هذه الساقية غضة طرية، يمر عليها النسيم فتتمايل وكأنها تتراقص معبرة عن فرحتها وبهجتها بالمياه الجارية، والنسيم العليل.

ثم رسم صورتها بعدما جفت، وجار عليها الزمن وأصابها الوهن، فصارت بالية عششت حولها العنكبوت، وقد استحالت الأشجار المخضرة من حولها جافة، وغارت عنها العصافير، وتحول عنها الغدير والهراوة والماشية، فتحولت الحياة من حولها إلى موت، بموت هذه الساقية التي أرداها الدهر.

وأخيرا يصور الشاعر أثر تأمله هذه الساقية الجافة في نفسه وما ناله من تأمله إياها ووقوفه أمامها طويلا مما جعله يرى فيها نفسه التي أصابها الوهن، وأثر فيها المشيب، كما نجد بعدا نفسيا واضحا وهو شعور الكاتب بالوحشة والغربة كحال هذه الساقية: (أرى وحشة لك تغري بيه)، فجاءت الصورة متكاملة جامعة حوت تأملات الشاعر ونظراته الطويلة إليها.

وقد توافرت لهذه الصورة العناصر التي تنميها وتجعلها حافلة بالحركة والظلال، فقد أضفى عليها الشاعر عنصر (التشخيص) فاستعار لها بعض صفات الإنسان، وألبسها لباس الحياة: فهذه الساقية صامتة لا تتكلم، ولها أضراس شداد صابرات على عوائد الزمن، وكم خطبت على الرابية للمارين، والنسيم يمر عليها فيتراقص صفصافها الغض، هذا التشخيص يجعل الصورة ناطقة تنبض بالحياة، كما جسد الشاعر النضارة وجعلها تجري في الزروع فتحييها، وتبعث فيها النشاط، وهذا كله مما يثري الصورة وينميها.

كما بدا في الصورة عنصر(الحركة) الذي يبدو في الكلمات:(تروين، أمواهك الجارية، تجري، أغارت عصافيرها، تحول، الغدير، يمر النسيم، تميل، تراقصه، العناكب) وهو يوحي بأثر الساقية الواضح في الزروع وما حولها من الأشجار والأطيار.

كما توفر لها عنصر(الصوت) الذي يظهر في الكلمات:(تروين، أهازيجك، الماشية، طنين الذباب، تراتيل، الكلام، خطبت)، كما بدا فيها عنصر(اللون) في الكلمات: (صادية، الغدير، أمواهك، صفصافك الغض، زرعها)، وهو يشف عن أثر الزمن وما أحدثه في الساقية من تغير واضح. كما أن التضاد بين (صفصافك الغض/ استحال عصا منكسا جافية)، وبين (حياة/ماتت) قد رسخ الفكرة في ذهن المتلقي وكشف عن المعنى الذي أراده الشاعر، كما لفت المتلقي وأيقظه، وكأن الشاعر يود أن يتأمل المتلقي حال هذه الساقية التي كانت بالأمس تروي الحقول فتجري النضارة فيها، واليوم أمست جافة ميتة لا تحرك ساكنا، ولا تسمع لها همسا، وهو يوحي بالتغيير الذي حل على الساقية بسبب عوائد الدهر، وأن الإنسان

في هذه الدنيا حتما سيتحول شبابه إلى المشيب الذي يتبعه الموت، فعليه أن يعتبر.

إن تحقق هذه العناصر – الحركات والأصوات والألوان، والتشخيص، وغيرها – في الصورة يجعلها تعج بالحياة، وتحفل بالحركة، كما يرسخ الفكرة في ذهن المتلقي، ويبرز المعنى، ويعين على استيعاب الصورة، ويؤدي إلى إقناع القارئ وإمتاعه.

والشاعر في تصويره لم يكتف بالوصف فقط ونقل جزئيات الموصوف، لكنه تأمل الساقية تأملا طويلا، واستطاع أن ينقل إلينا إحساسه ويظهر مشاعره تجاهها وقد جفت وأثرت فيها الأيام، وكأنه يرى فيها نفسه وإحساسه بالغربة في المجتمع الذي يحيا فيه، وقد استطاع أن يحيط بالصورة ويلم شتاتها، فجمع للصورة عناصرها، واستوعب أجزاءها حتى تكاملت، وجاءت حية، نابضة، تنطق بما يريد.

إن محمود عماد عبر عن تجربته التأملية تعبيرا يكشف عن شاعريته، فاختار اللفظة الموحية التي تتآزر مع المعنى الذي يود التعبير عنه، ويعبر عن تأملاته، كما استطاع بحسن تصويره أن يشرك القارئ معه في تأملاته، ويجعله يعيش معه تجربته، وفي هذا ما يشف عن قدرته الإبداعية، وقد استطاع بما يمتلك من قدرات أدبية وفنية التعبير عن تأملاته في لوحات جامعة تستوعب الصورة كلها، يتخللها صور جزئية تتآلف مع بعضها لتكون اللوحة العامة، وتتحد جزئياتها لتبلور في النهاية الصورة الكلية.

# الفصل الخامس: الموسيقى الشعرية

## مدخل- أهمية الموسيقى في الشعر

الموسيقى من العناصر المهمة التي تكتمل بها الصورة الأدبية، وهي عنصر أساس من عناصر التشكيل الشعري، فهي تضفي على النص الشعري حركة وحيوية وإثارة، وتغلفه بالمتعة الفنية، ولها في النفس تأثير لا ينكر، فهي تحرك الشعور، وتأخذ بالألباب، لما لها من إيقاع يشد المتلقي ويجذبه إلى متابعة الصورة حتى النهاية، إنها "تحقق غاية الشعر من التأثير وإثارة العواطف والانفعالات"(١).

إن الشعر الذي تتوافر فيه عوامل الانسجام الموسيقي، إلى جانب توافر المعاني ذات المضمون الهادف المشبع بالحركة والحيوية يشد المتلقي إليه، ويجذبه، ويثير انتباهه، وتظهر مقدرة الشاعر الفنية في قدرته على تنسيق وتنظيم أوزانه الشعرية، بحيث يطوع هذه الأوزان لخدمة أفكاره ومعانيه، وتعميق تجربته الشعرية.

وتتنوع موسيقى البيت الشعري بين موسيقى خارجية تتمثل في الوزن والقافية وما يتصل بهما، كالروي، والتصريع، وموسيقى داخلية تعتمد تآلف الألفاظ، وتوافقها، ودلالاتها.

## أولا- الموسيقى الخارجية

تتمثل الموسيقى الخارجية في الوزن والقافية وما يتصل بهما كالتصريع والروي، وعلاقة ذلك بتجربة الشاعر، ونحاول في هذه الصفحات الوقوف مع موسيقى الوزن والقافية وأثرهما في شعر محمود عماد التأملي.

---

(١) عضويّة الموسيقى في النصّ الشعريّ: د/عبد الفتّاح صالح نافع ص٣٢، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

## موسيقى الوزن

الوزن من العناصر المهمة في بناء النص الشعري، فهو يخلق توازنات بين موسيقى البيت تنتظم بها الألفاظ والعبارات والجمل، ويظهر من خلالها خصائصها الإيقاعية.

ولأهمية الوزن في الشعر قال عنه ابن رشيق: "الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية"(١)، وقد قسم الشعر إلى أربعة أركان هي "اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية"(٢)، وهو بهذا يؤكد أهمية الترابط بين هذهِ العناصر في عملية الإبداع الشعري.

وقد وفق شاعرنا إلى حد كبير في اختيار الأوزان التي تتفق مع تجربته التأملية وتكشف عن مشاعره وأحاسيسه وخلجات نفسه، فموسيقى شعره عامة والتأملي منه خاصة نابعة من تراثنا الشعري، إلى جانب بعض التجديدات والأشكال الشعرية المختلفة التي صاغ عليها شعره التأملي.

### أ- الشكل التقليدي

بعد تأمل شعر عماد التأملي يتضح ما يلي:

أولا- أنه نظم في جل البحور الشعرية؛ لكن اللافت أنه مال إلى النظم على البحور الطويلة، وأكثر البحور التي نظم عليها تجربته التأملية هي بحر الكامل تاما ومجزوءا، يليه بحر المتقارب، والخفيف والبسيط، والوافر، ثم الطويل، والرمل.

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد،١٣٤/١، دار الجيل، القاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٢) السابق: ١/ ١١٩.

**ثانيا- صاغ عماد أكثر شعره التأملي على وزن بحر الكامل تاما ومجزوءا، وبحر الكامل من بحور المرتبة الثانية في نسبة الشيوع في الشعر العربي(١)، كما أنه من "أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله – إن أريد به الجد – فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر"(٢) ، لذا فهو يتسع لشعر التجربة التأملية، وهو من البحور ذات التفعيلة الواحدة، ويتسم وزنه بالأبهة والجلال، وتضفي تفعيلاته على الأبيات موسيقى هادئة تشد المتلقي إليها.**

**ثالثا- نلاحظ أن الشاعر استخدم البحور ذوات التفعيلتين كالبسيط والطويل، وهما "أطول بحور الشعر العربي وأعظمها أُبهة وجلالة، وإليها يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أَهلُ الركاكَةِ والهجَنةِ"(٣)، ووزنهما رحْب يتسع للتعبير عن تجربة الشاعر التأملية.**

**ونختار من نماذج بحر الكامل المجزوء قول الشاعر من قصيدة (الله):(٤)**

**من قال للعين أحسي الشيء لم يلمس بحال؟**
**وقال للأذن أحسي صوته دون اتصال؟**
**وترجمي للذهن ما أحسست في لمج الخيال؟**
**يفض به الذهن إلى الـ ـجسم فيعروه انفعال**

---

(١) انظر: موسيقى الشعر: د/ إبراهيم أنيس، ص ٦١ ، ١٨٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢م.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب:عبد الله الطيب ١/ ٣٠٢ ، دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣) السابق :١/ ٤٤٣.

(٤) ديوان عماد: ١٢٥/٢ .

ما العقل يهدي وحده في الكون لو يدري البشر

تأملات الشاعر في النفس تجعله يتساءل عن إحساس العين وكيف تبصر، والأذن وكيف تسمع، وتترجم ما سمعته عن طريق اللسان، وهذا النظام لابد أن له منظما وخالقا بديعا، وهو الله سبحانه وتعالى، وقد جاءت الأبيات على مجزوء الكامل وهو يناسب التأمل والتفكر.

ومن شواهد بحر البسيط قول الشاعر من قصيدة (المقصف المنهار):(١)

هل تملك النفس تأساء وتعزية لدى جمال إلى الشارين مفتقر؟

أو سافل بالغنى يسمو إلى قيم عليا، فيلقي بها في كل منحدر؟

أحرى به أن يبيت الليل مفترشا وجه الثرى، لا على حان من السرر

لو كان يدري الغِنى ما حل ساحته وصار فقرا، ليستعصي على القدر

أو كان يعرف غالي الحسن قيمته لصانه عن رخيص المال محتقر

تأملات وحكم نابعة من تأمل الشاعر الطويل في أحوال الناس والحياة، وقد صاغ تأملاته على وزن بحر البسيط، وهو بحر رحب يستوعب أحاسيس الشاعر ويتسع للتعبير عن تجربته، وبسط أفكاره وتأملاته، ويتلاءم مع نظراته الطويلة في الحياة والناس من حوله.

ومن شواهد بحر الرمل المجزوء، قول الشاعر من قصيدة (عودة إلى البحر)(٢) يتأمل في مظاهر الكون والطبيعة:

تذهب الأمواج في البحر وتأتي تتوالى

وإذا ما غابت الأ نجم عادت تتلالا

---

(١) السابق: ٣٤/٢ .

(٢) السابق:١٢٢/٢ .

ويجـــف الحقـــل حينـــا ثـــم يخضـــل اخضـــلالا
والصـــبا، مـــا للصـــبا لـــو زال يـــــــــــزداد زوالا؟

يتأمل الشاعر في مشاهد الطبيعة من حوله، فيرى الأمواج في البحر تذهب وتعود، والأنجم في السماء تضيء وتغرب ثم تعود تضيء من جديد، والزروع المخضرة تجف ثم تصبح مخضرة مرة أخرى، مظاهر طبيعية كثيرة تجف، وتنضب، وتتبدل، وتتجدد، وتعود كما كانت، أما الصبا فإنه لا يعود، وكلما مرت أيامه يزداد زوالا، فلا يرجع لسابق عهده أبدا.

وقد أجاد الشاعر العزف على أوتار تفاعيل الرمل الصالحة "للأغراض الترنمية الرقيقة والتأمل الحزين"(١)، كما أن موسيقاه خفيفة منسابة فيها قابلية للاسترسال(٢) وهي تتناسب مع التفكير والتأمل، وقد جاءت ملائمة لتأملات الشاعر في الحياة، وتحسره على زوال شبابه الذي لا يعود أبدا.

**والسؤال الآن: ما السبب في إيثار الشاعر هذه البحور بالذات؟**

والجواب: إن التجربة فرضت على الشاعر الجدية، والتأني والتروي في انتقاء الألفاظ والمعاني والأوزان التي تناسب موضوعات التأمل، والتي يمكن معها أن تلقى قبولا لدى المتلقي، لذا آثر هذه البحور على غيرها، وجاء عليها أكثر شعره.

يضاف إلى ذلك أن البحور التي استعملها الشاعر متسعة التفاعيل (الكامل، البسيط، الوافر، الخفيف، المتقارب، الطويل، الرمل) فهي تستوعب المشاعر والأحاسيس المختلفة التي يود الشاعر أن يعبر عنها، ويترجم من خلالها عن خلجات نفسه وما تمور به أحاسيسه، وهذا

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١٥٨/١ .
(٢) السابق : ١٦٠/١.

بالتالي يتيح للشاعر استغلال تلك المساحة الرحبة في التعبير عن تأملاته وعرض أفكاره وصوره.

بعد هذا العرض يتضح لنا أن الأوزان التي استخدمها الشاعر جاءت تتماشى مع حالته النفسية والشعورية وتتوافق مع تجربته التأملية؛ فطول النظر، وإعمال الفكر، والاستغراق في الوصف، والنظرة المتعمقة للموصوف تستدعي التأمل فيه، وكشف أسراره وخباياه، ومعرفة حقيقته، وهذا التأمل يتناسب مع هذه الأوزان ويستدعيها تبعا لحالة الشاعر النفسية وقت تسجيل تجربته التأملية، فجاءت موسيقى هذه البحور معبرة عن المعنى الذي أراده الشاعر، كاشفة عن تجربته الشعرية من أيسر طريق، مما كان له الأثر الأكبر في زيادة الإيقاع الموسيقي للقصيدة التأملية.

**ب- المشطر**

صاغ الشاعر تجربته التأملية على نظام آخر غير الشعر العمودي وهو المشطر، وهو "نوع من الشعر ينظر فيه إلى الأشطر لا إلى الأبيات، ويتخذ فيه من كل شطر وحدة مستقلة"(١).

**وقد جاء في شعر محمود عماد على ثلاثة أنواع، وهي**:المثلث والمربع والمخمس.

١- **المثلث**: وفيه تقسم القصيدة إلى أقسام يتضمن كل قسم منها ثلاثة من الأشطر تستقل بقافيتها ولا تتكرر(٢). ومن نماذجه في شعر محمود عماد التأملي قصيدة (نخلة)؛ يقول منها:

---

(١) موسيقى الشعر: ص ٢٨٠.

(٢) السابق: ص ٢٨٠.

عهـد صـبا عنـا نـزح أبهـج مـن قـوس قـزح
لـم تحملـي فيـه البلح
ولا حملـت مـن هـرم أهـون مـا فيـه السـقم
مـاذا عسـى بعـد القمـم؟
إلـى ابتـداء المنحـدر إلـى قـرار منتظـر
لـيس لمـن فيـه خبـر(١).

إن أيام الصبا تمر سريعا يتلوها المشيب والهرم، يتبعه الموت المحقق الذي يأتي على كل حي، والشاعر هنا يناجي النخلة، ويشكو إليها الهرم الذي أصابها وأصابه، وكأنه يسقط ما حل به من هرم وشيب على النخلة، فيتأملها، ويخاطبها، ويناجيها، فقد ولى عهد الصبا عنها كما ولى عنه هو أيضا، فماذا بعد أن يأتي نذير الهرم، إنه الموت الذي لا يعرف شيئا عن خبره.

وقد جاء شعره على الشكل المثلث؛ فهو في المثلث الأول التزم قافية (الحاء)، وفي المثلث الثاني التزم قافية (الميم)، وفي الثالث التزم قافية (الراء). وهذا الشكل الجديد مع خفته وسرعته، استطاع الشاعر أن يطوعه للتعبير عن تجربته التأملية، فجاء مقبولا مستوعبا لتجربته وعرض أفكاره وتأملاته.

ومن نماذج المثلث الذي جاء على شكل مقاطع ثلاثية، تنتهي في البيت الثالث بقافية موحدة في كل مقاطع القصيدة قول الشاعر من قصيدة (ابنتي) متأملا في حقيقة ابنته بين مظاهر الوجود:

مـا وزن جِرمـك يـا بنيـ ـة بـين أجـرام الوجـود؟

(١) ديوان عماد: ١٤٥/٢ .

ما وسع جهدك بين ما اعـ ـــتركت عليـــه مـــن جهـــود؟
فعـــــلام أهـــــوال الحيـــــا ة، وفـــيم أهـــوال الحمـــام؟

*********

أمـــن المشـــقة فـــي التكـــو ون للمشـــقة فـــي الفنـــاء؟
لا وقـــت بينهمـــا للاســـ ـــتجمام مـــن هـــذا العنـــاء
فلـــم الحضـــور وقـــد نويـــ ـــت قبلـــه أن لا مقـــام؟(١).

إنه يتأمل صغيرته التي لم تتم عامها الثاني حتى اختطفها الموت من بين يديه، يراها لا شيء بين أجرام الوجود، وقد جاءت تأملاته على الشكل المثلث، والقافية هي حرف (الميم) الثابت في البيت الثالث من كل مثلث.

**٢- المربع**

من التجديدات التي بدت في شعر عماد أيضا نظمه على النظام الشعري المربع؛ وفيه نرى الشاعر يقسم قصيدته إلى أقسام، يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر، ويراعي في هذه الأشطر الأربعة نظاما معينا للقافية(٢).

ومن نماذج الشعر التأملي الذي جاء على هذا الشكل المربع قول الشاعر من قصيدة (في الملعب):(٣)

اصـحبا الـدنيا علـى علاتهـا واحـذرا الشـعر فـإن الشـعر مـاكر
يكشـف المخبـوء مـن آفاتهـا فتخـالا أن فيهـا الخيـر نـادر

*******

هـــي بالضـــدين تعتـــز معـــا يمـرح الطـاووس فيهـا والعقـاب
وبهـا ذو النـاب يلقـي مرتعـا والـذي قـد جاءهـا مـن غيـر نـاب

(١) ديوان عماد: ٢٠٩/١ .(من مجزوء الكامل).
(٢) انظر: موسيقى الشعر : ص ٢٨١ .
(٣) ديوان عماد: ٥٨/٢ .

الدنيا مزيج من الخير والشر، والجمال والقبح، فلا قيمة لأحدهما إلا بوجود الآخر، وقد جاءت تأملات الشاعر على الشكل المربع، وهو يراعي في هذا الشكل قافية الشطر لا البيت، حيث جاء شطرا العروض في كل بيتين بقافية متحدة، وجاء كل ضربين في كل بيتين بقافية متحدة، والقوافي هي (الهاء، الراء، العين، الباء).

ومن نماذج المربع الذي تنوعت فيه القافية من مربع إلى آخر في الثلاثة أبيات الأولى من المربع، مع اتحاد القافية في البيت الرابع في جميع مقاطع القصيدة قول الشاعر من قصيدة (نظرات في الكون)(١):

هذه هي الدنيا الكبيـ ـرة أيها الجرم الصغير
فانظر إلى آفاقها كم كوكب فيها يسير؟
أتظن هذا الملك مخـ ـلوقا إلى العبد الفقير؟
العفو- لا، لا فقر- لـ ـكنْ أنتَ من أغنى العبيدْ

***********

إن كان هذا ما فهمـ ـت فبئس فهمك في الفهوم
الأرض قد وسعت مُنا ك فما احتياجك للنجوم؟
للكون شأن أنت شطـ ـر منه لا أنت العموم
أفلست تفنى بينما للكون قد كتب الخلودْ؟

الشاعر يخاطب نفسه متأملا في هذه الدنيا فيرى نفسه صغيرا بين مظاهر الكون التي خلقها الله عز وجل، ثم يعود محدثا نفسه في سخرية ليرى نفسه من أغني العبيد ويرى نفسه جزءا ضئيلا من هذا الكون الكبير، بل هو يفنى ويموت بينما الكون بما فيه من مظاهر طبعية يبقى.

---

(١) السابق: ١/١٧-٢٢.

وقد جاءت القافية على الشكل المربع، حيث جاء هذا الشعر على المقاطع الرباعية التي تتنوع فيها القافية من مربع إلى آخر مع اتحاد القافية في البيت الرابع في جميع مقاطع القصيدة(١).

**٣- المخمس**

وهو نوع من الشعر تتنوع القافية فيه كل خمسة أبيات مع اختلاف قافية البيت الخامس عن قافية الأبيات الأربعة، واتحاد قافيته في كل القصيدة، فكأنه يمثل لازمة في كل القصيدة(٢)، ومن نماذجه قول الشاعر من قصيدة (الله)(٣):

من قال للأرض الزمي ... الشمس لزوما في المطيف؟
واستدبريها في الشتا ... واستقبليها في المصيف؟
وجددي عند الربيع ... السمح عهدا والخريف
يهن عليك الحر في ... مسراك والبرد العنيفْ؟
ما العقل يهدي وحده ... في الكون لو يدري البشر

**********

من قال للبدر أنر ... للأرض في الليل البهيم؟
واجذب بها الأمواه في ... في النهر وفي البحر العظيم؟
حتى إذا ما صرت من ... سقم كعرجون قديم
عد مرة أخرى لها ... بدرا بميقات قويم

(١) ومن نماذج ذلك أيضا قصيدة ولدي الأول، انظر: ديوان عماد ٢٣٠/١.
(٢) انظر: موسيقى الشعر: ص ٢٨٣ .
(٣) ديوان عماد : ١٢٥/١-١٢٧ .

مـــا العقـــل يهـــدي وحـــده فـــي الكـــون لـــو يـــدري البشـــر.

جـاء هـذا الشـعر علـى النظـام المخمـس، ونلاحـظ أنـه اسـتوعب تـأملات الشاعر، وجاء متعانقا مع تجربتـه التأمليـة، وهـو يكشـف عـن تأملاتـه فـي الكون، ووقوفه على عظيم صنع الله البديع وقدرتـه فـي تنظيم هذا الكـون وحركته.

## موسيقى القافية

القافيـة لا تقـل أهميـة عـن الـوزن، فهـي "شـريكة الـوزن فـي الاختصـاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتـى يكـون لـه وزن وقافيـة"(١). وهـي تمثـل عنـد الخليـل "آخـر حـرف فـي البيـت إلـى أول سـاكن يليـه مـن قبلـه مـع حركـة الحرف الذي قبل الساكن"(٢).

وللقافية أهميتها في إحداث إيقاع صوتي تضيفه إلـي موسيقى البيت، لـذا فهي من أهم أجزاء الإيقـاع التـي تـتحكم فـي ضبطه واتزانـه، فقيامهـا علـى "عدة أصوات تتكرر فـي أواخـر الأشطر أو الأبيـات مـن القصيدة... يكـون جزءًا مهما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوّقـع السـامع ترددها، ويستمتع بمثـل هـذا التـردد الـذي يطـرق الآذان فـي فتـرات زمنيـة منتظمـة، وبعـد عـدد معـين مـن مقـاطع ذات نظـام خـاص يسـمى بالوزن"(٣).

إنهـا تعدّ ضـابطاً لأنغـام البيـت الشـعري، وتمثـل نهايتـه بموسـيقاه التـي لا تكتمل دونـها، فتكرارها يزيد في وحدة النغم الموسيقي، كما أنّها تُعَدُّ علامـة

(١) العمدة: ١٣٩/١.
(٢) السابق : ١٥١/١.
(٣) موسيقى الشعر : ص ٢٤٤ .

بارزة موضّحة لنهاية البيت الشعري، إضافة إلى ما تشتمل عليه من المعاني والدلالات.

والقافية نوعان: مطلقة ومقيدة، وقد أحسن شاعرنا في اختيار قوافيه، حيث عمد إلى اختيار القوافي الشائعة التي يتقبلها الذوق العربي، وقد جاءت قوافيه في شعره التأملي منوعة بين المطلقة والمقيدة، وإن كانت المطلقة أكثر من المقيدة.

والقافية المطلقة تمتاز عن المقيدة بأنها تضفي على الأبيات حركة إيقاعية وموسيقى داخل القصيدة بأكملها، إذ إن تقييد القافية ربما يقلل من الإيقاع الموسيقي للبيت الشعري.

من نماذج القافية المطلقة قول الشاعر من قصيدة (شاعر في مصر):

متى كانت الأموات تهتز غبطة ... بذكر، ويشفيها من الموت إعظامُ؟

تعلات إفلاس، ومن فاته الغنى ... يقل: إن فقر المرء صون وإكرامُ

ولكن رويد المترفين فربما ... نعمنا بما نالوا، وهم عنه نوامُ

نرى الزهر في جناتهم فيروقنا ... ويا ربما هم ما رأوه وما شاموا

لقد جهلوا فيه الجمال وما دروا ... بأن فريقا بالذي جهلوا هاموا(١)

حكم نابعة من تأملات الشاعر في الحياة؛ فمتى كانت الذكرى تنفع الموتى؟ إن الذي ينفعه عمله الصالح، وبعض الفقراء إنما يقنع بعيشته وفقره ويدعي الزهد لعدم استطاعته الحصول على المال، وقد يكون الفقير أسعد حالا مع فقره من الغني الذي لا يشعر بالراحة والدعة والأمان مع غناه.

---

(١) ديوان عماد: ٧٧/١ .(من الطويل).

وقد جاءت القافية في هذه الأبيات مطلقة ورويها حرف (الميم) قبله حرف مد ألف، وهذا يناسب الحالة الشعورية والنفسية للشاعر، ويتلاءم مع تجربته التأملية، ويعطيه فسحة لعرض تأملاته ونظراته في الحياة.

ومن نماذج القافية المطلقة –أيضا– قول الشاعر من قصيدة (هواجس الغروب):

وغريبة للغرب تسرق خطوها ... يقتادها خبر من الأخبارِ
أبدا على سفر لذاك أخالها ... صفراء، شيمة مدمن الأسفارِ
لكنها منحت برغم شحوبها ... ذوقا يحببها إلى النظارِ
فتخيرت ثوبا يلائم وجهها ... من عُصفر متبّرج وبهارِ
والذوق حسن لو جلتْه دميمة ... غنيت عن الأصباغ والأحبارِ(١)

تأمل الشاعر الشمس وقت الغروب جعله يراها في سفَر دائم، ولونها وقت الغروب هادئ تميل إليه النفوس، والذوق يزيد القبيح جمالا، والجميلة دون ذوق وأدب لا جمال فيها.

وقد جاءت القافية في هذه الأبيات مطلقة، رويها (الراء) المسبوقة بحرف الألف الممدود، ومد الصوت بالقافية المطلقة فيه تآلف نغمي مع التأمل البادي في القصيدة، وكأن إطلاق القافية يعطي فسحة ومساحة للشاعر للتعبير عن تأملاته.

ونلاحظ في القافية المطلقة استعمال الشاعر القافية المتواترة (/o/) أكثر من غيرها– كما في النماذج السابقة– وفي هذا ما يكثف الإيقاع الموسيقي في البيت الشعري وفي القصيدة كلها، ويضفي عليها نوعا من الحركة والمرونة.

---

(١) ديوان عماد : ١١٢/١. (من الكامل التام).

**أما عن القافية المقيدة** التي تنتهي بالسكون، فجاءت منها قصائد كثيرة- أيضا- من الشعر التأملي، وجاءت جلها يسبقها حرف مد(ألف، واو، ياء) وهو مما يخفف من وطأة القافية المقيدة، ويزيد من موسيقى البيت.

**ومن نماذج القافية المقيدة** قول الشاعر من قصيدة (نظرات في الكون):

فالذوق آفة عيشنا لكن أعنْهُ من غناءْ؟
أنكون أصناما فنجـ ـهل كل ما تحت السماءْ؟
الوصل تُغليه النوى والعيشُ يُحليه الشقاءْ
ومن الذي يرمي الورو د لأن شوكا في الورودْ؟(١)

حكم نابعة من تأملات الشاعر الطويلة في الحياة والناس، فالحياة مزيج من الخير والشر والجمال والقبح، والوصل والبعد، والسعادة والشقاء، ولا معنى لها إلا بوجود الضدين معا حتى تظهر قيمة كل منهما.

والقافية في هذا الشعر جاءت مقيدة، وتظهر براعة الشاعر في أنه جاء بحرف مد قبل القافية المقيدة(غناءْ، سماءْ، شقاءْ، ورودْ) هذه الحروف الممدودة تسمى الردف(٢)، وقد أحدث الردف الإيقاع المطلوب، وفي هذا ما يضفي على البيت الشعري نوعا من الحيوية والمرونة والحركة، ويخفف من أثر تقييد القافية لدى المتلقي، ويزيد من الإيقاع في القصيدة .

ومن نماذج القافية المقيدة- أيضا- قول الشاعر من قصيدة (الغد):(٣)

---

(١) السابق : ٢٠/١ . (من مجزوء الكامل).
(٢) الردف: حرف مد قبل الروي(ألف أو واو أو ياء).
(٣) السابق: ٧٤/١ . (من المتقارب).

ألا أيهـــا الغـــد لـــو تُشـــتري لكنـــت اشـــتريت بمـــال وفيـــر
ولكـــن رويـــدك لا تنكشـــف وغـب ثـم غـب فـي ثنايـا السـتورْ
فمـــا غبـــت عفـــوا ولكنـــه قضـــاء حكـــيم قضـــته الـــدهورْ
فلـو نبصر الشر في الغيب يومـا لأودى بنـا الرعـب قبـل الظهـورْ
وإن نبصـــر الخيـــر كفاحـــا إليـــه فيـــذهب قبـــل الحضـــورْ

جـاءت القافيـة فـي هـذا الشـعر مقيـدة، وقـد اسـتعاض الشـاعر عـن تقييـد القافيـة بـالردف قبلهـا وهـو حـرف المـد (الـواو)، ليحـدث الإيقـاع المطلـوب، وهي براعة من الشاعر، فهو مما يكثف من الإيقاع في القصيدة، ويضفي علـى الـنص الشـعري الحيويـة والمرونـة والحركـة، ويخفـف مـن أثـر تقييـد القافية لدى المتلقي.

ممـا سـبق يتأكـد لنـا أن الشـاعر نـوّع فـي قوافيـه تنوعـا يخـدم تجربتـه الشعرية، ويعبر عن حالته النفسية والشعورية، ويكثف من وجود الإيقاع المستمر داخل القصيدة، هذا التنوع يكشف عن تأثر الشاعر بما يكتب، حيث جـاءت هذه القـوافي تـتلاءم مـع موضـوع القصيدة تلاؤمـا يشد مـن أزرها، ويزيد من موسيقاها، ويعمق تجربـة الشـاعر، ويثير المتلقـي ويشد انتباهه.

## موسيقى التصريع

التصريع إحدى دعائم الموسيقى الخارجيـة فـي الشعر، وهو يضفي علـى الألفاظ والعبارات إيقاعا وموسيقى تسري بين ألفاظ البيت الشـعري، فتؤدي إلى نوع من النغم المتعادل، والرنين المتوازي.

وهو من أنمـاط الإيقاعات المهمـة داخل الـنص الشـعري، فهـو يسـهم فـي إثراء الحركـة الموسيقية اللازمة لبنية القصيدة، لما فيـه من تنـاغم يجعـل

**النفس تتلقاه بالارتياح والقبول، وهو عبارة عن "استواء آخر جزء في صدر البيت وعجزه، في الوزن والروي والإعراب"(١).**

**ومن شواهده في شعر عماد التأملي قوله في مستهل قصيدة (السواد في الحداد):**

**لبس السواد وسار في إخوانه ليقال فاض الحزن من أردانه(٢)**

**التصريع واضح بين(إخوانه) في عروض البيت، و( أردانه) في ضربه، والكلمتان متساويتان في الوزن والتقفية، وعدد الحروف، وهذا مما يزيد من الموسيقى، ويكثف الحضور الإيقاعي الصوتي في البيت.**

**والتصريع هنا يوحي بنبذ الشاعر التصنع والمراءاة، ويرى الحزن في القلب لا بالمظاهر، فارتداء الثوب الأسود ليس دليل الحزن، والثوب الأبيض ليس مرآة الفرح والسرور، فالحزن يكون في القلب ويظهر أثره على المرء.**

**ومن نماذج التصريع– أيضا– قول الشاعر في أول قصيدة (الساقية الجافة):**

**برغمي أيتها الساقية وقوفك صامتة صادية(٣)**

**فنجد أن التصريع واقع بين (ساقية) عروض البيت، و(صادية) ضرب البيت، وهذا التماثل الواقع في الوزن والتقفية أدى إلى وجود إيقاع داخلي وموسيقى ناشئة من ترديد هذه الحروف المتماثلة.**

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، تحقيق: شاكر هادي شكر، ٥ /٢٧١، النجف، العراق ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

(٢) ديوان عماد : ١/ ٥٠ . (من الكامل).

(٣) السابق : ٥٨/١ .(من المتقارب).

والشاعر قد استعان بالتصريع لإثراء الإيقاع في القصيدة وتكثيفه، وذلك من خلال التجانس الصوتي الذي ينشأ بين المقاطع في نهاية كل مصراع من البيت، وما ينجم عن التكرار الصوتي من أثر سمعي يشد انتباه المتلقي ويؤثر في نفسه.

ومن نماذج التصريع- أيضا- قول الشاعر في قصيدة(شاطئ العجمي):

من معيدي إلى الشاطئ المسحور عند رمل كلؤلؤ منثور(١)

التصريع واقع في كلمة (مسحور) في العروض، وكلمة (منثور) في الضرب، وهذا التماثل الواقع في الوزن والتقفية أدى إلى وجود إيقاع وموسيقى ناشئة من تكرار هذه الحروف المتماثلة.

هذا التصريع يوحي بهيام الشاعر بالبحر وتأمله له تأملا طويلا، كما يعكس حالة الشاعر النفسية وما سيطر عليه من حزن ويأس بسبب الهرم الذي تمكن منه، وعدم استطاعته الوصول إلى البحر ليتأمل جماله ومياهه الزرقاء.

ونماذج التصريع كثيرة(٢) تؤكد لجوء الكاتب إليه واستعانته به، فهو يعطي الشعر طلاوة ومائية وموقعا في نفس القارئ، ذلك أنه يحرك الإحساس بالقافية في نهاية البيت قبل الوصول إليها.

**ثانيا: الموسيقى الداخلية**

تظهر الموسيقى الداخلية في براعة الشاعر ومهارته في نظم الكلمات، وترتيبها وتنسيقها، وعنايته بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع،

---

(١) السابق : ١٩٠/٢ .

(٢) انظر: انظر نماذج أخرى للتصريع: ديوان محمود عماد: ٥١/١، ٢٢٨ ، ٢٥٧،٢٨٩، ١٨/٢، ٧٠/٢، ١٩٤/٢، عود على بدء، ص ١١٣، ١٣٣.

والتجانس بين اللفظ والمعنى حتى يكون لها نغم وإيقاع يرتاح إليه الذوق الشعري.

والموسيقى الداخلية هي: "ذلك الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقى بين الكلمات ودلالتها حيناً، وبين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر، أو قل: ذلك الانسجام الذي يحققه الأسلوب الشعري من خلال النظم وجودة الرصف"(١).

إن مهمة اختيار الحروف والكلمات وقدرة توزيعها موسيقيا في أنحاء النص الشعري- من العوامل المهمة التي تؤدي إلى إحداث موسيقي داخلية بين ألفاظ البيت، وبروز إيقاع داخلي يجذب المتلقي، وتكشف عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته ومشاعره، كما تشف عن إبداعه وإحساسه بالعنصر الصوتي ووقع الكلمات.

### ١- موسيقى الحرف

يلعب تكرار الحرف دورا عظيما في الموسيقى اللفظيّة، فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقيّة، وقيمة نغميّة جليلة تؤدي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون الشعري.

وموسيقى الحرف هي ذلك النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف داخل النص الشعري، ومدى ملاءمة هذا النغم للتيار النفسي والشعوري عند الشاعر(٢). والشاعر الموهوب هو الذي يستطيع أن يحقق التوافق

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: د/ إبراهيم عبد الرحمن ص ٣٥٨، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: د/ صابر عبد الدايم ص ٢٨، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

النغمي، والانسجام اللفظي بين الحروف، وذلك بأن يوافق بين أصوات الحروف ووقعها، وبين حالته الشعورية والنفسية.

ومن نماذج ذلك قول الشاعر من قصيدة (ولدي الأول)(١):

نحـــن بـــالأمر ولـــدنا وبـــــــالأمر نلـــــــد
وبـــالأمر يحـــب الـــوا لـــــد البـــــر الولـــــد
ذاك إلهـــام مـــن النـــو ع بـــــه النـــــوع خلـــــد

إن الشاعر يرى الإنسان مسخر لا مخير، وكل شيء عليه مقدر، فليس له اختيار في وجوده في تلك الحياة، فحياته مقدرة وموته مقدر، وإذا نظرنا في البيت الأول نجد الشاعر يكرر حرف (اللام) عشر مرات، وقد استطاع أن يوزعه في كلمات من أصل اشتقاقي واحد: (ولدنا، نلد، الوالد، الولد)، وحرف اللام من الحروف التي تشبه حروف المد، وهو حرف ذلق رخو، نجح الشاعر في توزيعه، وأن يحقق به نمطا موسيقيا واضحا، وإيقاعا خفيا يسري داخل البيت الشعري.

كما أن حرف (الراء) تكرر في البيت الأول (أربع مرات) وفي البيت الثاني (ست مرات أيضا)، وفي البيت الثالث (أربع مرات)، وهو من الأصوات التي تصلح في موضع الرقة وتتناسب مع التأمل، وهو حرف تستسيغه الآذان، وتطرب له، وقد أشاع في هذا النص الشعري موسيقى هادئة تسري في أجزاء البيت.

كما نلاحظ تكرار كلمة (بالأمر) ثلاث مرات، تأكيدا على أن الإنسان ليس له تدخل في خلقه، فكل شيء بأمر الله تعالى، وهو مما يشف عن انشغال الشاعر بالتفكير في أصل الوجود.

---

(١) ديوان عماد: ٢٣٠/١، (من مجزوء الرمل).

ومن نماذج موسيقى الحرف -أيضا – قول الشاعر من قصيدة (سحر الأعوام)

فنـــاء يـــدرك الأحيـــاء منـــه المـــوج قـــد فـــرا
فيـــا عـــالم ســـر الخلـــد مـــن علمـــك الســـرا؟
ســـألت ولـــم أكـــن بالخلـــد إذ أســـألك مغتـــرا
فلـــو عشـــنا بـــلا مـــوت لمتنـــا الميتـــة الكبـــرى
عشـــية لا نـــرى أرضـــا ولا كوخـــا ولا بـــرًا
ولا نلقـــى لنـــا ثوبـــا يقينـــا البـــرد والحـــرا
فموتانـــا قنـــاطر قـــد عبرنـــا فوقهـــا النهـــرا
نشـــيع صـــاحب القصـــر لنســـكن بعـــده القصـــرا
ويـــدفع بعضـــنا بعضـــا ليكســـب فـــي الثـــرى شـــبرا(١)

الموت والفناء نهاية كل حي في هذه الحياة، والشاعر يؤمن بذلك، لكنه لا يعرف سر الموت، وما يتبعه فهو لغز يحير المتأمل. وقد تكرر حرف (الراء) في هذا الشعر مرتين فأكثر في كل بيت، ماعدا بيتين جاء فيهما مرة واحدة، وهذا من شأنه أن يؤكد بروز موسيقى صوت حرف الراء، ويكثف من الإيقاع الداخلي في الأبيات.

كما أن حرف (الراء) والذي جاءت عليه القافية صوت مجهور، وكأن الشاعر يريد أن يجهر بهذه الحقيقة التي لا مهرب منها، وهي أن الموت يدرك جميع الأحياء، ولا مفر منه لأحد أبدا.

(١) عود على بدء ص ٦٠ .

وحرف الراء من الحروف التي "تستسيغها الأذان ولا يتعسر فيها النطق"(١)، فهو حرف ذلق، سهل المخرج، سريع النطق به، ومن صفاته التكرير حيث يرتعد اللسان ويهتز عند النطق به، وهو يناسب تأملات الشاعر، ويتواءم مع جو القصيدة ويحدث فيها إيقاعا هادئا متزنا.

كما تكرر حرف (السين) أربع مرات وهو صوت رخو مهموس، فتكرار صوته "يكون مقبولا سهل النطق به لا يحتاج إلى جهد عضلي كبير"(٢)، وهو مما يناسب التأمل والتفكير الهادئ، ويكثف من الإيقاع في النص الشعري.

إن تكرار حرف معين في حد ذاته ربما لا يعنى شيئا إذا جاء منفردا خارج الإطار التركيبي للكلمة، وإنما تظهر قيمته عند دخوله في تركيب لفظي، ومن هنا يكتسب اللفظ إيقاعاً خاصاً، ورنيناً ترتاح إليه الآذان.

وإلى جانب موسيقى الحرف نجد تكرار الكلمات (موت، متنا، الميتة)، (سألت، أسألك) (عالم، علمك)، (سر، السرا)، (الخلد) وهو يؤكد سيطرة فكرة الموت على الشاعر، هذا التكرار من شأنه أن يشيع موسيقى داخل النص الشعري ويكثف من وجود الإيقاع.

كما أدى الطباق بين (عشنا/ متنا)، (البرد/ الحر) إلى موسيقى داخلية من شأنها أن تفاجئ القارئ وتوقظه ليتابع تأملات الشاعر في الحياة والموت، ويتأمل هو بنفسه في حقيقة الموت والحياة.

---

(١) موسيقى الشعر: ص ٢٦ .

(٢) السابق: ص٣٦ .

## ٢- موسيقى الكلمة

إذا جاءت الكلمة في موقعها المناسب من النص أحدثت إيقاعا موسيقيا مؤثرا خفيا، وذلك أن يكون اللفظ "رقيقا في موضع الرقة، قويا عنيفا في موضع القوة والعنف، وأن تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقي، وألا يكون مبتذلا أو كثير الشيوع لا يرتاح إليه الذوق الشعري"(١).

إن للكلمة دورا مهما في تكثيف الموسيقى الداخلية، وبروز الإيقاع ونموه في النص الشعري، والشاعر الجيد هو الذي يستطيع التوفيق بين الكلمات ودلالاتها، ويجانس بين اللفظ والمعنى، ويراعي الانسجام الصوتي بين الألفاظ، وهذا كله له أثره الواضح في توفير الموسيقي، وتكثيف الإيقاع.

ومن نماذج الموسيقى الداخلية في الكلمة قول الشاعر من قصيدة عمر الكون:

منظر جامد لمن يجتليه ... من بعيد، وأين منا اجتلاء
جل صبر العين التي رعته ... من قديم وما اعتراها انثناء
كل برنامج يخلد يقلى ... هل لبرنامج الوجود انتهاء(٢)

فنجد أن كلمة (اجتلاء) في آخر البيت الأول ترتبط معنويا وموسيقيا بكلمة (يجتليه) في آخر الشطر الأول من نفس البيت، وفي هذا من الموسيقى ما هو واضح بين، كما أن الاجتلاء يستدعي النظر الطويل والتأمل العميق، وفي هذا ما يكشف عن تأمل الشاعر في الكون، كذلك نجد في البيت الثاني كلمة (رعته) في الشطر الأول وكلمة (اعتراها) في الشطر الثاني، وكلمة (برنامج) في البيت الثالث، هذا التكرار من شأنه أن

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: ص ٢٠.
(٢) ديوان عماد: ٥١/١ . (من الخفيف)

يوقظ المتلقي وينبهه لهذا الصوت المكرر، كما يزيد من إيقاع البيت وموسيقاه.

هذا اللون من ألوان الإيقاع الموسيقى تنبه نقادنا القدامى إلى قيمته وأثره في الشعر، وسماه ابن المعتز: "رد أعجاز الكلام على ما تقدمها"، فمنه ما توافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في الشطر الأول، ومنه ما توافق آخر كلمة أول كلمة من نصفه الأول، ومنه ما توافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه(١) . كما مر في النماذج السابقة.

وتكمن قيمة هذا اللون البديعي الإيقاعي في أنه يدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعراء إذا كان كذلك، ويكسب البيت الذي فيه أبهة ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة"(٢)، إذ إنه يربط أول البيت بآخره برباط موسيقى، وفيه نوع من التكرار الموسيقى المحبب إلى النفس، وذلك من خلال إعادة صوت تكرر في صدر البيت، وهو مما يدعو المتلقي إلى الانتباه واليقظة والتفاعل مع الشاعر.

كما نلاحظ تكرار صوت (الهمزة) المسبوقة بحرف المد (الألف) في الكلمات: (اجتلاء، انثناء، انتهاء) وهو مما ينمي الموسيقى الداخلية في النص الشعري، ويكثف من وجود الإيقاع.

إن تكرار صوت الكلمة مرة أخرى في النص الشعري يضفي على البيت الشعري نوعا من الموسيقى، وترديد أصوات معينة في البيت الشعري

---

(١) انظر: البديع لابن المعتز ، تحقيق : إغناطيوس كراتشقوفسكى، ص٤٧ ، ٤٨، دار المسيرة ، بيروت، الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) انظر: العمدة: لابن رشيق ٣/٢ .

يكثف الإيقاع ويزيد من موسيقى البيت الشعري، وهو مما يدعو إلى إيقاظ المتلقي ويجذب انتباهه لهذا الصوت المكرر.

ومن نماذجه– أيضا– قول الشاعر من شعره التأملي في الحياة: من قصيدة (ريا وسكينة):

وما للجرم من وطن ولكن مضى في أوجه الدنيا مضيا

ولو أن الثريا ذات خلق لما سلمت من الجرم الثريا(١)

فكلمة (الثريا) في آخر البيت توافق الثريا في حشو الشطر الأول

ومنه أيضا قوله في قصيدة (الهرم والخلود):

عجيب خلود كيان البنا ء ومن شاده ماله كيان(٢)

وفيه وافق الصوت (كيان) الذي ورد في نهاية البيت الصوت (كيان) الذي جاء في حشو الصدر، وهو مما يزيد من موسيقى البيت الشعري.

ومن نماذج ذلك –أيضا– قول الشاعر من قصيدة (أبو العلاء بعد ألف عام):

أمن بعد الفناء يقر عينا سخين العين من قبل الفناء؟(٣)

إن تكرار أصوات الكلمات (الفناء، عينا/ العين) يزيد من موسيقى البيت، ويكثف من الإيقاع، ويلفت انتباه المتلقي.

إن تكرار الكلمات (الثريا، كيان، الفناء، عين) في النماذج السابقة يؤكد سيطرة الفكرة على الشاعر، ويشف عن نظر الشاعر الطويل وتأملاته في السماء وفي الأرض وفي حياة الناس وحقيقة الموت.

---

(١) ديوان عماد: ٦٧/١ .

(٢) السابق: ١٠٢/١ .

(٣) السابق: ٢٨٩/١ .

وقد أدى تكرار هذه الكلمات إلى تقوية الإيقاع الموسيقي، فمثل هذه التماثلات الصوتية إذا أحسن الشاعر استغلالها وتوزيعها داخل النص الشعري، فإن ذلك ينعكس بالإيجاب على إيقاع النص وموسيقاه.

إن التكرار يعمل على زيادة النغم وتقوية الجرس، إذ يحدث نغماً رخيماً يتصاعد من تلك الكلمة عند إلقائها في نفس القارئ، لأن تكرار الكلمات والحروف هو تكرار للأصوات التي تؤلف هذه الكلمات، وهو ما يحدث جواً نغمياً في النص الشعري، هذا كله بشرط أن يكون موظفا في خدمة المعنى، ومرتبطا بحالة الشاعر النفسية والشعورية.

### ٣- موسيقى العبارة

تظهر موسيقى العبارة في حسن تأليفها، والتآخي والترابط بين أصوات حروفها ومفرداتها، وما توحيه هذه المفردات من دلالات وإيحاءات تعمق المعنى وتقويه، وتكشف عن الفكرة وترسخها في ذهن المتلقي.

وقد ذكرت جانبا من ذلك استدعاه التحليل في موسيقى الحرف، وموسيقى الكلمة، ومن ذلك قول الشاعر من قصيدة (الغد) (١)

فيا غد إنك سر الوجو د لأنك تشغل فيه الصدور
وتحفز فيه جميع القوى فتجري البحور، وترسو الصخور
ولو كنت حالا لمات الرجا ء، ومات الممات، ومات النشور
ولم يبق إلا السكون الكبير ولا شيء عند السكون الكبير

يرى الشاعر الغد هو سر الوجود ذلك أنه يشغل الصدور والأفكار، فالمرء يود معرفة ما غاب عنه، لكن جهله بالغيب خير له، فلو كان حالا لما سعى الإنسان لتحصيل رزقه.

---

(١) السابق: ٧٤/١ .

ونلاحظ التوافق بين العبارتين (تجري البحور، ترسو الصخور)، وبين (مات الرجاء، مات الممات، مات النشور) وهو مما ينمي الإيقاع الداخلي في النص، ويكثف من وجود الموسيقى الداخلية ويثريها.هذا التواؤم والتوافق أدى إلى تعميق المعنى في نفس المتلقي، وأثبت تأملات الشاعر الطويلة في الكون والحياة.

كذلك تكرار عبارة (السكون الكبير) مرتين، وهو مما يؤدي إلى وجود إيقاع متكرر يضيف إلى الموسيقى ثراء ومتعة فنية.

ومن نماذج الموسيقى الناتجة عن توافق العبارات قول الشاعر من قصيدة (حلم):(١)

كم في الورى من يرى الجنات إذا رأى الحسن مسرورا وفرحانا؟

كم في الورى من يرى نار الجحيم إذا رأى الحســـــن محزونـــــا

إن البهجة بالجمال تابعة لحالة المرء النفسية، فإذا كان منشرح الصدر صحيح النفس رأى ما حوله جميلا حتى إن رآه الناس قبيحا، ولو كان حزينا رأى كل ما حوله قبيحا حتى لو كان جميلا يسر الناظرين، حِكَم استقاها الشاعر من واقع الحياة ونظراته الطويلة إليها وتأملاته في أحوالها.

ونجد أن البيتين عبارة عن مقابلة، فالبيت الأول يقابل البيت الثاني، وعبارة (مسرورا وفرحانا) تقابل (محزونا وغضبانا)، وتساويها في الوزن وعدد الحروف، و(الجنات تافهة/ تقابل الجحيم ندى) .

إن التساوي بين الكلمات، والتواؤم بين مدلولها وأصواتها وما توحي به يتواءم مع الحالة الشعورية لدى الشاعر، ويحدث أصواتا موسيقية رخيمة

(١) السابق: ٩٩/١ . (من البسيط).

وإيقاعا هادئا، وهو لا شك يعكس تجربة الشاعر، ويساعد على إبراز مشاعره وأحاسيسه إلى المتلقي.

هذه المقابلة جاءت جلية واضحة، وقد أحدثت في النص الشعري نوعا من الموسيقى الداخلية والإيقاع الهادئ الذي يجذب المتلقي، والمقابلة لها دورها البارز في ترسيخ الأفكار وتعميقها، وإحداث نوع من الإقناع والإمتاع النفسي، كما أنها تؤدي إلى بروز موسيقى الكلمات المتقابلة، والشاعر البارع هو الذي يستطيع توظيف المقابلة توظيفا فنياً، فتؤثر بإيقاعها المعنوي في نفسية المتلقي وقلبه.

كما أن التكرار الواضح في( كم في الورى)، (إذا رأى الحسن) مما يزيد من موسيقى البيت الشعري ويكثف من الإيقاع.

ومن نماذج موسيقى العبارة – أيضا– قول الشاعر في قصيدة (الشاعر الراحل)(١):

والحسن فيها ماله عابد ... والقبح فيها ما به كافر

وخيرها ليس به محتف ... وشرها ليس له زاجر

دنيا بها عن أهلها شاغل ... سيان فيها البر والفاجر

والعالم المخلص في علمه ... مثل الذي في جهله سادر

توسل الشاعر لبسط فكرته وتأكيدها بالتضاد؛ فالمقابلة التي لجأ إليها الشاعر: (والحسن فيها ماله عابد / والقبح فيها ما به كافر)، (وخيرها ليس به محتف / وشرها ليس له زاجر)،)، (العالم المخلص في عمله/ مثل الذي في جهله سادر) والطباق بين (البر/ الفاجر) يؤكد نظرات

(١) السابق: ٤٢/٢ .(من الكامل).

الشاعر الطويلة في الحياة وتفكيره في حقيقتها وتأمله إياها فهي لا شك فانية تفنى كما يفنى كل شيء حي فيها.

إن المقابلة في الأبيات السابقة لا شك أنها أحدثت نوعا من الموسيقى الرقيقة بين الكلمات، وكثفت من وجود الإيقاع داخل النص الشعري، مما يتوافق ونفسية الشاعر والحالة الشعورية لديه، فضلاً عن الموسيقى المنبعثة من تكرار بعض الحروف والكلمات، وهي تكشف عن حالة الشاعر النفسية، وتأملاته الطويلة في الحياة.

إن محمود عماد استطاع أن يجمع لشعره التأملي من الموسيقى الخارجية ما يبرز أفكاره، ويوضح معانيه، ويزيده ثراء، وذلك من خلال الأوزان والقوافي المألوفة المتداولة التي تقبل عليها النفس، وتميل إلى موسيقاها الأسماع، وتعود بالفائدة على الهيكل العام للتشكيل الإيقاعي في القصيدة. كما وظف الحروف، والكلمات، والعبارات، لإثراء شعره بالموسيقى الداخلية التي تعطيه إيقاعا موسيقيا يشد المتلقي ويجذبه، ويلفت انتباهه، ويضفي عليه الحيوية، ويميزه بالإيقاعية، ويكشف عن الفكرة ويبرزها، ويوضح المعنى ويرسخه، ويحقق لشعره الإمتاع والإقناع.

## خاتمـــة

الحمـد لله، والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا رسـول الله –صـلى الله عليـه وسلم–.

**وبعـد فقد تمخض البحث عن النتائج التالية**:

– إن نزعـة التأمـل باديـة فـي شـعر محمـود عمـاد؛ وهـي عنـده تجربـة شعورية، وصورة حية، تمتزج فيها الفكرة مع العاطفة، وقد استطاع أن يوافق بين فكره وتأمله وبين تجربته الشعرية، وهو بهذا يؤكد على براعته الأدبية ومقدرته الفنية.

– بواعث التأمل عند محمود عماد كثيرة، فمنها: تكوين شخصيته التي كانت تنزع إلى التأمل، وأخلاقه وثقافته، وعصره، والنزعة الإنسانية المسيطرة عليه، واتجاهه الشعري، وحنينه إلى الريف والطبيعة، هذه العوامل كانت سببا مباشرا في بروز النزعة التأملية في شعره.

– تأمل عماد في الكون والوجود، وكان في تأملاته مؤمنا هادئ النفسِ لا تقوده تأملاته إلى مدارك الشك أو الجحود، وإن أصابته الحيرة أحيانا فإن نظراتـه الطويلـة، وتأملاتـه العميقـة، تهديـه إلـى معرفـة الحـق سـبحانه وتعالى، والوقوف على قدرته وعظمته التي تتجلى أمامه في الكون، فجاءت تأملاته تتماشى مع التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة.

– كما تأمل في الحياة والناس من حوله، وعرض لقضايا مجتمعه وما أصابه من أمراض وعلل تنخر في جسده، وتؤدي إلى انهياره، ودعا إلى المساواة، والعدل، والإصلاح، ونبذ العنف والغش، والخداع، والنفاق، لذا جاء شعره صورة صادقة للعصر الذي يحيا فيه، فكان شاعرا خصبا،

متفردا في تأملاته، له نظرات فكرية صائبة، وحكم قيمة هي خلاصة تأملاته في لحياة.

– تأمل الشاعر في الموت وحقيقته، وفكر طويلا في أمره وما يتبع الميت بعد أن يطويه الثرى، وقد وجدت الشاعر– من خلال تأملاته– مستسلما لقضاء الله، راضيا بقدره ، مؤمنا بأنه سبحانه هو الذي خلق الحياة والموت وقدرهما على كل حي، وهي فلسفة نابعة من التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة.

– كما تأمل في مظاهر الطبيعة ومشاهدها، وفكر طويلا في مفرداتها، فتأمل الساقية، والنخلة، والربيع وما يحدثه من تغيير في مظاهر الطبيعة المختلفة، وتأمل مظاهرها الخلابة في البحر في سكونه وثورانه، ومياهه الصافية، وشروق الشمس، ومنظر الغروب... الخ، وقد قادته تأملاته في مشاهدها إلى إدراك الجمال فيها، ووقوفه على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، والاعتراف له بالربوبية، وهي تأملات تتماشى مع التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة.

– وقد تأمل عماد المرأة، وأحب جمالها الروحي، وجاءت قصائد كثيرة في ديوانه تنادي المرأة بالالتزام بالجمال الطبعي، والمحافظة على جمالها الروحي، بهدف تقويمها، وصيانتها من التبذل، وحرصا على توفير المهابة والوقار لها في نفوس الرجال، ووضعها على الدرب الصحيح الذي يتسق وتعاليم الإسلام القويمة، ويتفق مع الفطرة السليمة التي فطرها الله عليها.

– معجم الشاعر ولغته في شعره التأملي هو تلك اللغة المعاصرة، السهلة القريبة من الإفهام، البعيدة عن التكلف والغموض، المعبرة عما في نفسه بيسر وسهولة، وقد اعتمدها الشاعر منهجا له في شعره، وسبيلا للتعبير

عن تجربته التأملية، ووسيلة لإبراز المعنى، وإثبات الفكرة، وترسيخ رؤيته في ذهن المتلقي وفكره، بما يوقظه ويثيره، ويضمن لشعره النجاح والقبول، وهذا لا ينفي اعتماده اللغة التراثية التي تؤكد ارتباطه بالتراث واعتماده عليه أحيانا.

– استعان الشاعر بأساليب اللغة المختلفة التي وظفها لتكوّن أسلوبه الخاص في الكشف عن التجربة التأملية، وإثبات الفكرة، ووضعها في حيزها الملائم من الأسلوب، والتعبير عما يختلج في نفسه من انفعالات وتصورات، ومشاعر وأحاسيس، ومن هذه الأساليب:الاستفهام، والتكرار، والنداء، والحس القصصي، والتناص، والتضاد، وقد استطاع أن يطوع هذه الأساليب لعرض تأملاته والكشف عما يكنه في نفسه، ويعمق تجربته ويثريها، ويرسخ الفكرة وينميها، ويشف عن براعته وثقافته، ويجذب المتلقي ويشد انتباهه، ويحقق لشعره الإقناع والإمتاع.

– تنوعت الصورة الشعرية في شعر محمود عماد التأملي؛ فلجأ إلى التصوير البياني الذي يعتمد التشبيه والاستعارة والكناية، لكنه لم يحفل بذلك التصوير كثيرا، ولم يعن به عناية واضحة في شعره.

– كما اعتمد على التصوير التقريري في الكشف عن تجربته التأملية، وعبر بالكلمات ودلالاتها عما يريد تصويره، وأدرك إيحاءات الكلمة وما تدل عليه وتشي به، واستطاع أن يوظفها في التعبير عن أفكاره وتأملاته، وترجمة معانيه، وفي هذا ما يؤكد مقدرته الشعرية.

– استطاع الشاعر بما يمتلك من قدرات أدبية وفنية التعبير عن تأملاته في لوحات جامعة تستوعب الصورة كلها، يتخللها صور جزئية تتآلف مع بعضها لتكون اللوحة العامة، وتتحد جزئياتها لتبلور في النهاية الصورة الكلية، وقد اعتمد في تصويره الحركات والألوان والأصوات، وأدرك الدور

الفعَّال الذي تلعبه في تشكيل الصورة ورسمها، وإبراز الفكرة وتوضيحها، والأثر النفسي الذي تحدثه في نفس المتلقي، مما كان له أكبر الأثر في إقناعه وإمتاعه.

- جمع الشاعر في شعره من الموسيقى الخارجية ما يبرز أفكاره، ويوضح معانيه ويزيدها ثراء، وذلك من خلال الأوزان والقوافي التي تناسب التجربة التأملية، وتتسع للتعبير عن تأملات الشاعر، وهي أوزان تقبل عليها النفس، وتميل إلى موسيقاها الأسماع، وتعود بالفائدة على الهيكل العام للتشكيل الإيقاعي في القصيدة.

- وظف الشاعر الحروف، والكلمات، والعبارات، لإثراء شعره بالموسيقى الداخلية التي تعطيه إيقاعا موسيقيا يشد المتلقي ويجذبه، ويلفت انتباهه، ويضفي عليه الحيوية، ويميزه بالإيقاعية، ويكشف عن الفكرة ويبرزها، ويوضح المعنى ويرسخه، ويحقق لشعره الإمتاع والإقناع.

- وفي النهاية أوصي بتأمل شعر محمود عماد ودراسته، فهو حافل بالموضوعات التي تصلح للدراسة والبحث، ومنها: تجليات الطبيعة في شعره، الاتجاه الإنساني، الاتجاه الاجتماعي،الشباب والشيب،المرأة، النزعة التشاؤمية، السخرية. وغيرها من الموضوعات التي يزخر بها شعر محمود عماد وتصلح للدراسة والبحث.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله – تعالى– على سيدنا محمد وآله.

# فهرس المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.
- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر من ١٩١٤م إلى ١٩٦٥م: د/ رجا سمرين، دار اليراع بالأردن، الأولى١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: د/مفيد قميحة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون.
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د/ صابر عبد الدايم، الزقازيق، الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- الأدب الإسلامي وصلته بالحياة: محمد الرابع الحسني الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- الأدب العربي في المهجر: د/ حسن جاد حسن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.
- الأدب العربي المعاصر في مصر: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م.
- أدب المهجر: د/ عيسى الناعوري، دار المعارف، القاهرة، الثالثة،١٩٧٧م.
- الأسس المعنوية للأدب: د/ عبد الفتاح الديدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الثانية ١٩٩٢م.
- الالتزام في الشعر العربي: أحمد أبو حماقة، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى ١٩٧٩م.

- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف، العراق ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- البديع لابن المعتز : تحقيق: إغناطيوس كراتشقوفسكى، دار المسيرة ، بيروت، الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق: د/ كامل حسن البصير، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- البيان النبوي: د/ محمد رجب البيومي، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٧م.
- تأمل ظاهرة الموت في شعر الديوانيين: د/عبده السيد محسن، القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) د/ محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الثالثة ١٩٩٢م.
- التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني: د/ عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٩٣م.
- التصوير البياني: د/ حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٢م.
- التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر: د/عبد اللطيف خليف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر: د/ عثمان الصالح، السعودية، الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- خمسة من شعراء الوطنية: عبد الرحمن الرافعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م.

- دراسات في الأدب العربي الحديث: د/محمد مصطفى هدارة ، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
- ديوان ابن الرومي: تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الثالثة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- ديوان عبد الرحمن شكري: جمع وتحقيق: نقولا يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ديوان عماد: الشاعر محمود عماد،(الجزء الأول) مطبعة شبرا الفنية، القاهرة ١٩٤٩م.
- ديوان عماد: الشاعر محمود عماد،(الجزء الثاني) القاهرة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.
- ديوان عنترة: تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بغداد ١٩٧٠م
- الديوان في الأدب والنقد: عباس العقاد، إبراهيم المازني، دار الشعب، القاهرة، الرابعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- ديوان من دواوين: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م.
- رسائل القاضي الفاضل دراسة تحليلية: د/ محمد عبد الرحمن عطا الله، دار الحضارة للطباعة، طنطا، الأولى ٢٠٠٠م.
- سِقط الزند: أبو العلاء المعري، دار بيروت، ودار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمي: صنعة أبي العباس ثعلب، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق: د/إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.
- شرح اللزوميات: نظم أبي العلاء المعري، تحقيق: سيدة حامد وآخرون، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.
- شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: د/ إبراهيم عبد الرحمن، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: د/ عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة ١٩٦٦م.
- شعر المتنبي قراءة أخرى: د/ محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.
- صورة الأسد في شعر أبي زبيد الطائي: د/ صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف، القاهرة، بدون.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- العامل الديني في الشعر المصري الحديث: سعد الدين الجيزاوي، المجلس الأعلى للآداب، القاهرة ١٩٦٤م.
- عضويّة الموسيقى في النصّ الشعريّ: د/عبد الفتّاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- عود على بدء: محمود عماد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
- الغد في الشعر الجاهلي: د/ عبده السيد فراج، المنصورة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الفكرة في الشعر العربي القديم دراسة نقدية وتطبيقية: د/ رفعت التهامي عبد البر، وما بعدها، مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- فن الشعر: د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.
- فن الشعر: د/محمد مندور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
- في النقد الأدبي الإسلامي: د/إبراهيم عوضين، مطابع الشناوي بطنطا، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، الثامنة ١٩٨٩م.
- كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: د/علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون.
- محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة: د/ صابر عبد الدايم، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

- المرشد إلى فهم أشعار العرب:عبد الله الطيب ، دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم (القسم الثاني): د/ أحمد محمد علي حنطور، وما بعدها، مطبعة التركي بطنطا، ١٩٩٠م.
- مشاهير شعراء العصر (القسم الأول): أحمد عبيد، مطبعة الترقي، دمشق، الأولى ١٩٢٢م.
- مطالعات في الكتب والحياة: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م.
- مع أبي العلاء في سجنه: طه حسين، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.
- من صحائف النقد الأدبي: د/ عبد الوارث عبد المنعم الحداد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
- موسيقى الشعر: د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢م.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: د/ صابر عبد الدايم، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- النقد الأدبي الحديث: د/محمد غنيمي هلال، طبع نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٥م.
- **ثانيا ـ الأطروحات العلمية**:
- محمود عماد شاعرا (رسالة ماجستير مخطوطة) د/عبد الفتاح نور، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر ١٩٨٦م.

- المنحى التأملي في الشعر المهجري (رسالة دكتوراه مخطوطة): د/إبراهيم أحمد إبراهيم، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث (رسالة دكتوراه مخطوطة): د/ حسن عبد السلام، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ١٩٨٦م.
- **ثالثا- الدوريات**:
- **الأديب**:(كانت تصدر في لبنان)، العدد الثاني، فبراير ١٩٧١م، (الشاعر الكاتب محمود عماد): بقلم: نقولا يوسف.
- **الثقافة**: (تصدر في القاهرة)، العدد ٧٥ ، ديسمبر ١٩٦٤م، (الأبعاد الإنسانية في ديوان عماد): سعد محمد أبو الرضا.
- **الشعر**: العدد (١٠٤)، أكتوبر ٢٠٠١م، (الموت والخلود في وصايا الشعراء): أحمد حسين الطماوي.
- **الفكر المعاصر**: (كانت تصدر في القاهرة) العدد (١٣)، مارس ١٩٦٦م، لقاء كل شهر، (محمود عماد عاش في صمت ومات صمت): إبراهيم سعفان.
- **الفكر المعاصر** :العدد (١٦)، يونيه ١٩٦٦م، لقاء كل شهر: مهرجان الشعر السابع في غزة (محمود عماد الشاعر): العوضي الوكيل .
- **المجلة**: العدد ٧٤ ، فبراير ١٩٦٣م، جوائز الدولة التشجيعية تحقيق ثقافي، (الشاعر محمود عماد).

- **المشرق**: (كانت تصدر في لبنان)، العدد الرابع، السنة التاسعة والخمسون، أكتوبر ١٩٦٥م، (نقد ديوان محمود عماد): الأب رفائيل نخلة اليسوعي.
- **الهلال**: (تصدر في القاهرة) العدد الرابع، أبريل ١٩٦٢م.

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | ١٢١٩ |
| تمهيد | ١٢٩٥ |
| أولا: النزعة التأملية | ١٢٩٥ |
| ثانيا: محمود عماد الشاعر والإنسان | ١٣٠٣ |
| **الفصل الأول: بواعث التأمل في شعر محمود عماد** | **١٣٠٧** |
| أولا: أخلاقه وشخصيته | ١٣٠٧ |
| ثانيا: ثقافته | ١٣١٠ |
| ثالثا: عصره | ١٣١٢ |
| رابعا: النزعة الإنسانية | ١٣١٥ |
| خامسا : اتجاهه الشعري | ١٣١٨ |
| سادسا :حنينه إلى الريف والطبيعة | ١٣٢٤ |
| **الفصل الثاني: مظاهر التأمل** | **١٣٢٩** |
| أولا: التأمل في الكون والوجود | ١٣٢٩ |
| ثانيا: التأمل في الحياة والناس | ١٣٤١ |
| ثالثا– التأمل في الموت وحقيقته | ١٣٥٤ |
| رابعا– التأمل في مشاهد الطبيعة | ١٣٦٤ |
| خامسا: التأمل في المرأة | ١٣٧٥ |
| **الفصل الثالث: الصياغة التعبيرية** | **١٣٨٧** |
| مدخل: اللغة وأهميتها | ١٣٨٧ |

| | |
|---|---|
| أولا: المعجم الشعري | ١٣٨٨ |
| ثانيا: أساليب التعبير | ١٣٩٣ |
| ١- أسلوب الاستفهام | ١٣٩٤ |
| ٢- أسلوب التكرار | ١٣٩٧ |
| ٣- أسلوب النداء | ١٤٠٠ |
| ٤- التناص الشعري | ١٤٠٣ |
| ٥- الحس القصصي | ١٤٠٧ |
| ٦- أسلوب التضاد | ١٤١٥ |
| **الفصل الرابع: الصورة الفنية** | **١٤٢١** |
| مدخل: الصورة وأهميتها | ١٤٢١ |
| أولا: الصورة البيانية | ١٤٢٣ |
| ١- التشبيه | ١٤٢٣ |
| ٢- الاستعارة | ١٤٢٦ |
| ٣- الكناية | ١٤٢٩ |
| ثانيا: الصورة التقريرية | ١٤٣١ |
| ثالثا: الصورة الكلية | ١٤٣٧ |
| **الفصل الخامس: الموسيقى الشعرية** | **١٤٤٩** |
| مدخل- أهمية الموسيقى في الشعر | ١٤٤٩ |
| أولا: الموسيقى الخارجية | ١٤٤٩ |
| موسيقى الوزن : | ١٤٥٠ |
| أ- الشعر العمودي | ١٤٥٠ |

| | |
|---|---|
| ب- المشطر | ١٤٥٤ |
| ١- المثلث | ١٤٥٤ |
| ٢- المربع | ١٤٥٦ |
| ٣- المخمس | ١٤٥٨ |
| موسيقى القافية | ١٤٥٩ |
| موسيقى التصريع | ١٤٦٣ |
| ثانيا: الموسيقى الداخلية | ١٤٦٥ |
| ١- موسيقى الحرف | ١٤٦٦ |
| ٢- موسيقى الكلمة | ١٤٧٠ |
| ٣- موسيقى العبارة | ١٤٧٣ |
| خاتمة | ١٤٧٧ |
| المصادر والمراجع | ١٤٨١ |
| فهرس الموضوعات | ١٤٩١ |